

هذا هو أبو طالب

محمد يوسف مرتضى العاملي



هذا هو أب طالب

حقوق النشر محفوظة للمؤلف
طبع الأول
١٤٣٠ - ٢٠٠٩

٦١

للطباعة والنشر والتوزيع

بیروت - لبنان هاتف: ٠٠٩٦١/٧٠٩٠٦٦٢٠

ص.ب: ٢٥/٥٢ الغبيري

E-mail: amjaad2@hotmail.com

هذا هو أبوجالب

محمد يوسف عرتضي العاعلي

أهْبَاط
للطباعة والنشر والتوزيع

الله
بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

تقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآل
الطاہرین.

وبعد..

فإن من صفات الإنسان المؤمن مواليه لأهل الحق، والسعى للكون
معهم، وتبني أهدافهم، والعمل على نصرتهم قولًا وعملاً، وتقويتهم،
وتقوية خطفهم ونهاجمهم.. ويرى أن التوفيق لهذا الأمر هو من النعم الإلهية
الكبرى التي تستحق الشكر المتواصل لله سبحانه، والكون في موضع رضاه
بارك وتعالى..

وأبو طالب «عليه السلام» الذي نصر الله ورسوله بيده ولسانه، وقلبه
هو بلا شك من هؤلاء الأصفباء والأزكياء الذين تحبّ مواليهم،
ونصرتهم، والدفع عنهم، فإن نصرتهم نصرة للدين، وتشيد لدعائمه
وتقوية لأهله..

وذلك لأن هذا الرجل الإلهي الصابر المجاهد قد تعرض لأقسى
أنواع التجني، والأذى، والعدوان، في أعز ما في الوجود عليه، وأقدس
شيء لديه، والذي ضحى من أجله بكل غالٍ ونفيس، ألا وهو دينه
وعقديته، وأسلامه وآياته..

وقد حدثنا التاريخ: أن عبيدة بن الحارث بن المطلب الذي جرح في حرب بدر، وانتهت به جراحته تلك إلى نيل درجة الشهادة، قال لرسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» وهو ينزف: أما لو كان عمك حيًّا لعلم أني أولى بما قال منه.

قال: وأي أعمامي تعني؟

فقال: أبو طالب حيث يقول:

كذبتم وبيت الله يبزى محمد
ولسانطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله
ونذهب عن أبنائنا والخلائل

فقال رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»: أما ترى ابنه كاللث العادي بين يدي الله ورسوله، وابنه الآخر في جهاد الله بأرض الحبشة؟!

فقال: يا رسول الله أخطأت علي في هذه الحالة؟

فقال: ما سخطت عليك، ولكن ذكرت عمي فانقبضت لذلك^(١).

إذا كان رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» لم يرض من الجريح الشهيد عبيدة بن الحارث بن المطلب، حتى أن يقول: إنه أولى من أبي طالب ببيت من الشعر.. فبادر «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» إلى نصرته.. فكيف لا يكون كل مسلم مؤمن في موقع الناصر لهذا الرجل المظلوم، وكيف لا يبادرون إلى

(١) راجع: بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ١٩ ص ٢٥٥ وتفسير القمي ج ١ ص ٢٦٥ وتفسير الصافي للفيض الكاشاني ج ٢ ص ٢٨١ وتفسير نور الثقلين للحوizي ج ٢ ص ١٣١ والغدير للأميني ج ٧ ص ٣١٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ٨٠ ونسب قريش لمصعب ص ٩٤.

دفع الإفتراءات التي تهدف إلى الطعن في دينه، وفي إسلامه وإيمانه؟!..

من أجل ذلك، لا يسعنا إلا أن ننهي الأخ الكريم الفاضل، والأديب الكامل السيد محمد يوسف مرتضى العاملي (أيده الله)، على ما بذله من جهد مشكور في بيان الحق، وجلاء الصورة - صورة ايمان وجهاد أبي طالب «عليه السلام» - التي عملت اليد الآثمة على تشويعها..

ونحن إذ نغبط هذا الأخ المسدد على نيله مقام الناصر للحق، والمدافع عن أهله، فإننا نحيي فيه هذه الروح، روح الإنصاف والأدب الرفيع في خطابه حتى مع الحاقدين والآثمين.. ونُقدر ونُثمن له مراعاته لضوابط الموضوعية والبحث العلمي، الهدائى والرصين..

ونسأل الله له التوفيق والتסديد، والمزيد من العطاء، ونلتزم منه الدعاء. والحمد لله والصلوة والسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين..

حرر بتاريخ ١٥ شعبان المعظم ١٤٢٩ هجرية

عيثا الجibel (عيثا الزط سابقاً)

جعفر مرتضى العاملي

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، الذي هدانا صراطه، وسلك بنا سبيله، وأسبغ علينا فضله، وأهدى إلينا بره.. والصلوة والسلام على سيدنا ونبينا، وحبيب قلوبنا، وشفيع ذنوبنا، الرسول الأجلد، والمصطفى أحمد، أبي القاسم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين...

من المفارقات المهمة في التاريخ الإسلامي، مسألة إسلام أبي طالب «عليه السلام»، وقضية إيمانه، فقد لعبت الأهواء دوراً كبيراً فيها، وحملتها الأقلام المأجورة وأبعدتها عن الحقيقة، فمسخت الحق باطلأ، وجعلت الباطل حقاً، حيث لم يظلم أحد في التاريخ، بعد رسول الله وأهل بيته الأطهار صلوات الله عليه وعليهم، مثل أبي طالب «عليه السلام» فقد انقسم المؤرخون بين متغافل ظالم، متجرد على الحق والحقيقة، متهم مفتاح عليه، قائل بكتابته، وأنه عاش كافراً ومات كافراً... وبين مؤيد، بل ومؤكد على إسلامه وإيمانه، فقال أنه عاش أول حياته حنيفياً على دين جده إبراهيم الخليل «عليه السلام»، وقضى بقية حياته مسلماً، مجاهداً، مضحياً ومدافعاً عن رسول الرحمة والهدى محمد «صلى الله عليه وآله» وعن رسالته السمحاء... ولو فتشنا في كتب التاريخ التي كتبت عن أبي طالب «عليه السلام» عن سبب أو عمل قبيح قام به حتى استوجب هذا الظلم، لما وجدناه، نعم لو فتشنا هذه الكتب، لما وجدنا له ذنباً سوى كونه والد الامام

علي «عليه السلام»، وأنه أحد الأركان التي قام عليها الإسلام واستقام من خلال ما وفره للنبي «صلى الله عليه وآلها» من كفالة ورعاية، وحماية وإيواء، ومؤازرة ونصرة و.. فالكلل: مخالف، وموالٌ مجتمع له على الذكر الحسن، والصنع الجميل، وأنه قد وضع ثقله العائلي والاجتماعي في خدمة الدعوة الإسلامية وحمايتها وحياتها صاحبها، بل وحاضراً ومشجعاً أيضاً، حيث وقف سداً منيعاً في وجه عتاة قريش، قاطعاً كل يد حاولت أن تتد لصاحب الدعوة أو لدعوته بسوء قائلأً له: إذهب يا ابن أخي، فقل ما شئت، فوالله لا أسلنك لشيء أبداً...

وهكذا نرى أن أعظم مظلوم في التاريخ الإسلامي بعد النبي وآلـه صلـ الله عليه وعليهم أجمعين، نرى أنه في الطليعة من المجاهدين، كيف لا...!
وهو الذي تعهد الدعوة الشريفة في مهدـها، وسقاها، بذرة في صحراء الجاهلية الجافة تحدق بها قلوب قاسية جافية، وعيون ترمـقها بالحقد، فحرماها ورعاها، وسقاها حتى صـلبـ عودـها واستقامت... ولو لا جهاد أبي طالب «عليـه السلام» لقضـى علىـ النبيـ والنـبوـةـ، ولـكانـ الـاسـلامـ فيـ خـبرـ كانـ...ـ وفي ذلك يقول ابن أبي الحديد المعتزلي:

لـاـمـثـلـ الدـيـنـ شـخـصـاـ فـقـاماـ	وـلـوـلاـ أـبـوـ طـالـبـ وـابـنـهـ
وـهـذـاـ بـيـشـرـبـ جـسـ الحـيـاماـ	فـذـاكـ بـمـكـةـ آـوـيـ وـحـامـيـ
وـأـوـدـيـ فـكـانـ عـلـيـ تـمـاماـ	تـكـفـلـ عـبـدـ مـنـافـ بـأـمـرـ
قـضـىـ مـاـ قـضـاهـ وـأـبـقـىـ شـيـاماـ ⁽¹⁾	فـقـلـ فـيـ ثـبـيرـ مـضـىـ بـعـدـمـاـ
وـلـهـ ذـالـلـمـعـالـيـ خـتـاماـ	فـلـلـهـ ذـاـفـاتـ حـالـلـهـ دـىـ

(1) ثـبـيرـ وـشـيـامـ: جـبـلـانـ.

جهول لغا أو بصير تعامي
من ظن ضوء النهار الظلاماً^(٢)

وماضر مجد أبي طالب
كما لا يضر إية^(١) الصباح

وكذلك ذكر السيد علي خان في كتابه الدرجات الرفيعة:

به قام أزر الدين واشتد كاهله
موازره دون الأنام وكافله
فها ضر ضوء الصبح من هو جاهله
ولا انجب ليل الغي وانزاح باطله^(٣)

أبو طالب عم النبي محمد
ويكفيه فخرًا في المفاخر أنه
لشن جهلت قوم عظيم مقامه
ولولاه ما قلت لأحمد دعوة

هذا وقد اكتسب هذا الجدل حول أبي طالب، أهمية سياسية كبيرة بعد
الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآلـه»، حيث كان ما كان من أمر خلافته
«صلى الله عليه وآلـه»، واغتصاب الخلافة من صاحبها الشرعي - علي بن أبي
طالب «عليه السلام» تحت غطاء بيعة السقيفة - ليشتد هذا الجدل ويتعااظم
في العهد الأموي، بين نهج إسلامي صحيح بقيادة الإمام علي بن أبي طالب
وبنيه «عليه السلام»، وبين نهج تسلطي أموي وخاصة في زمن معاوية الذي
استولى على الخلافة بالقوة والمكر والخداع والقتل، بعد أن قتل أصحاب
الحق بالغدر والغيلة حيناً، ودس السم أحياناً، فاستولى على الخلافة وهو
الطليق ابن الطليق، وحوّلها ملكاً وراثياً... ثم ليستمر هذا الجدل في زمن
ابنه يزيد لعنه الله وفي عهد خلفائه...

(١) إية: ضوء، إية الصبح: ضوئه.

(٢) شرح النهج م ٧ ج ١٤ ص ٢٧٦.

(٣) آل أبي طالب ج ١، ص ٣٤، للسيد محسن الأمين.

وما يثير العجب والاستغراب أنه بالرغم من أن الروايات والأحاديث التي وردت في أبي طالب «عليه السلام»، إن دلت على شيء، فقد دلت على كبير فضله، وعظيم منزلته، وعلو قدره، وحقيقة إسلامه وإيمانه بالله، وبنبيه محمد «صلى الله عليه وآله» ومن سبقه من أنبياء ورسل، وأنه كفله خير كفالة، ورباه وتعهده في بيته وفداه بولده وضحى في سبيل حمايته، حتى قوْطع ونفي بسببه وهو الزعيم في قومه والقائد المطاع في أمره، ومع ذلك نجد أن المؤرخين قد ظلموا وشوهو تاریخه وكذبوا عليه ولفقوا الأحاديث والروايات المكذوبة بکفره.. وهذا هو شعره كما نشره يصرحان بل ويضجأن بصريح إسلامه وإيمانه، كيف لا وهو القائل:

^(١) ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديناً

ومن شعره المطبوع في ديوانه، ونقله ابن أبي الحميد أيضاً:

يا شاهد الله علىَّ فاشهد أني على دين النبي أحد
^(٢) من ضلَّ في الدين فاني شهيد

هذا والتاريخ - يشهد - العدو قبل الصديق - أن بعض الخلفاء في صدر الإسلام وغيرهم من العرب، قد حكموا باسم هذا الدين، وباسمنبيه الأكرم «صلى الله عليه وآله» وباسم حصل التوسيع، وسقطت

(١) الغدير ج ٧، ص ٣٧٤ - وقد ورد في شرح النهج م. ج ١٤ ص ٢٥٤ بخلاف في صيغة القدر:

وعرضت ديناً قد علمت بأنه من خير أديان البرية ديناً

(٢) ليالي بيشاور، ج ٢، ص ٩٠٩ وفي شرح النهج م. ج ١٤، ص ٢٧٢ ط الأعلم.

الامبراطوريات - الفارسية والبيزنطية - وتكون للعرب ملك امتد من الهند شرقاً حتى الأطلسي غرباً، الى بحر قزوين وجبال طوروس شمالاً فالمحيط الهندي جنوباً - والتاريخ يشهد أنه لولا جهاد وتضحيات أبي طالب «عليه السلام»، ما كان ذلك ليتم لهم ولا كان الاسلام شيئاً مذكوراً.

فقد لعب أبو طالب «عليه السلام» الدور الكبير في قيام الدعوة الاسلامية من خلال الحماية والرعاية، والنصرة لها ولصحابها.

واما الفتوحات، فأبو طالب «عليه السلام»، ولا شك شريك كبير فيها وذلك على قاعدة: إنما الأعمال بالنيات، وعليه فكل ما حصل للإسلام والمسلمين هو شريك في الثواب عليه وله عظيم الأجر فيه.

ورغم كل ذلك يسقطه المؤرخون من حسابهم، ومن هذا الحصاد، ثم يعدون عليه فيلتفون ويأفكون فهم إن ترجوا له ما زادوا عن بضعة أسطر أو صفحات على أكثر تقدير، ولكنها في المضمون لا تغنى عن شيء، ثم نراهم يكثرون في ظلمه، فيضعون الروايات الملفقة، والأحاديث المكذوبة في كفره - يقول صاحب مجلة العرفان:

(أليس من أفظع الظلم أن يقال على المنبر: اللهم ارض عن عمي نبيك: حزة والعباس، ويترك أبو طالب^(١)...؟؟؟ - ما لكم كيف تحكمون؟!

فما هو السر يا ترى في إعراضهم عنه وإغفالهم حقه؟ ثم التجني عليه ورميه بالكفر...؟؟؟).

هذا ما مستكشفه هذه الدراسة المتواضعة والموضوعية، والعادلة إن شاء

(١) شيخ الأبطح ص ١٥ هامش رقم ١ للعلامة السيد محمد علي شرف الدين.

الله تعالى، عملاً بقول سيدنا أمير المؤمنين علي «عليه السلام» ووصي رسول رب العالمين علي بن أبي طالب «عليه السلام»:

ابذل لأن Hick دمك ومالك، ولعدوك عدلك وإنصافك...

والله ولي التوفيق، وهو من وراء القصد...

ديرقانون رئيس العين

٢٠٠٧ - ٩ - ٢٠ م الموافق ٨ رمضان ١٣٢٨ هـ

محمد يوسف مرتضى

أسماؤه وألقابه، كنيته ونسبه

إنه ابن عبد المطلب «شيبة الحمد»، رئيس مكة وزعيمها المطاع، ورئيس العرب والقاضي بينهم، الشجاع والسخي المعطاء وآخر الأوصياء ^(١) لعيسي بن مریم «عليه السلام» ...

أما اسمه، فقد اختلف فيه المؤرخون، فمن قائل أن اسمه شيبة ومنهم من قال أن اسمه عمران، وقيل عبد مناف، ويقول آخر أن اسمه كنيته: أبو طالب ^(٢) ... أما الأظهر والأقوى فيبدو أن اسمه عبد مناف بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب بن فهر، بن مالك ابن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن الياس، بن مضر، بن نزار بن معد، بن عدنان... بدليل قول والده عبد المطلب عندما كلفه بـ محمد «صلى الله عليه وآله»:

(١) منية الراغب في إسلام أبي طالب، ص ٥٢ / آية الله الشيخ محمد رضا الطبي.

(٢) المستدرک للحاکم، ورد ذلك في كتاب آل أبي طالب، ج ١، ص ٧، للعلامة السيد محسن الأمين.

أوصيك يا عبد مناف بعدي
بموحد بعد أبيه فرد^(١)

وقد لقب بألقاب عدة، أشهرها، شيخ الأبطح، كما لقب بسيد
البطحاء، وشيخ الأباطح، ورئيس مكة... .

أما انتسابه إلى عدنان فلا خلاف عليه، ولكنهم اختلفوا فيما فوق
عدنان، أي بين عدنان وأسماعيل «عليه السلام»، فمنهم من ذكر أربعة آباء
وآخر سبعة وبعضهم عدّ أربعين آباً^(٢) .

ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» خالفهم في ذلك، فوقف عند عدنان
ولم يتجاوزه، ويقول: كذب النساibون، قال الله تعالى: وقرؤنا بين ذلك
كثيراً^(٣) .

(١) المناقب: ابن شهر شوب، ج ١، ص ٣٢.

(٢) شيخ الأبطح، ص ١٧، للعلامة السيد محمد علي شرف الدين.

(٣) نفس المصدر، ص ١٨.

الفصل الأول:

من الولادة حتى الزواج

- ١ - ولادته**
- ٢ - البيت والبيئة**
- ٣ - مكانته في قريش**
- ٤ - علاقاته**
- ٥ - زواجه**

١ • ولادته:

ولد أبو طالب «عليه السلام» في أم القرى - مكة المكرمة - والبلد الأمين - سنة خمس وثلاثين وخمسين ميلادية، أي قبل ولادة الرسول الأكرم «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» بخمس وثلاثين سنة، أما وفاته ففي منتصف شوال من السنة العاشرة للنبوة وروي غير ذلك انه توفي في شهر رجب كما روی غير ذلك، انه توفي في شهر رمضان، وله من العمر ثمان وثمانون سنة، أي قبل الهجرة بثلاث سنوات، وبعد خروجه من الحصار بثمانية أشهر وواحد وعشرين يوماً^(١) ..

وإذا أردنا أن نعرف أبا طالب، وننفذ إلى نفسه وإلى شخصيته فتتعرف عليها ونعرفها، لا بد لنا من أن نعرف البيت الذي ولد فيه، ومن هو أبوه؟ والبيئة التي نشأ وترعرع فيها...

٢ • البيت والبيئة:

ولد أبو طالب في بيت رفيع الأركان نسباً وشرفه وعلماً، لم تدنسه جاهلية العرب ولا ناله شرك بخزي ما فارق الخيفية لحظة، ولا انقطع عنها، فهو يستضيء بمصابح جده الخليل ابراهيم «عليه السلام»، في الوقت

(١) آل أبي طالب، ج ١، ص ٨، للعلامة السيد محسن الأمين.

الذي كانت فيه بيوت مكة، وجزيرة العرب كلها، تختضن في كل ركن من أركانها قطعة من حجر أو من خشب، وقد صنعتها أيديهم، يسجد لها كل من في البيت صاغراً متضرعاً، أو تجد لها آلهة من ثمر، فإذا عضهم الجوع أكلوها، وقد يأكلها قيل: جاعت جهينة^(١) فأكلت ربها...

أبصر أبو طالب النور في هذا البيت الرفيع الضارب جذره في الآيهان، ودرج في مدارج الحياة تظلله المثل العليا التي اتصف بها أباوه وأجداده العظام فاغتنى من هذا الثراء الوراثي، ونهل من نبعه الفياض بالفضائل والمكارم والأخلاق...

فأبوه عبد المطلب: أمير قريش، من أعظم الشخصيات، لا في تاريخ العرب فحسب، وإنما في تاريخ الإنسانية جماء، كيف لا؟ وهو الدوحة الكريمة التي تفرعت عنها شخصيات عديدة من أبطال الإسلام وعظمائه ويكتفي فخرأ أنه جد رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأبيه، وجد أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب لأبيه.. «عليهم السلام»^(٢).

سطع نجمه وعلا - عبد المطلب - وتألقت شخصيته العظيمة فبهر الناس بانسانيته قبل أن تشرق شمس الاسلام، فكان نبراساً للحق، ولملذاً للعدالة، ومقصداً لكل مظلوم أو مغلوب على أمره، فهو رئيس العرب وسيدهم، والقاضي بينهم، وهو الذي سن في الجاهلية^(٣) الكثير من السنن

(١) قبيلة من القبائل العربية.

(٢) عبد المطلب بن هاشم ص ٩، سلسلة عظماء الاسلام، محمد كامل حسن المحامي.

(٣) سن هنا: أكد على أحکامها وثبتها بعد ما عفا عليها غبار الجاهلية وأماتها، بعض هذه السنن معلوم الحرمة لدى الأنبياء ومن اتبعهم، ولم تكن حلالاً قبل أن =

- قبل الاسلام - فأقرها القرآن الكريم^(١) فهو الحنيفي المسلم، على ملة أبيه ابراهيم الخليل «عليه السلام» ...

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصَارَائِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢) ...

ويقول المسعودي: فمن كان مقرأً بالتوحيد، مثبتاً للوعيد، تاركاً للتقليد، عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف^(٣)

وعنه يقول العلامة السيد محمد علي شرف الدين رحمه الله: كان عبد المطلب مفزع قريش في النواصب، وملجأها في الأمور، فهو حكيم قريش وحليمه وحاكمها، وشريفها وسيدها كحالاً وفعالاً غير مدافع. ولقد أفصح التاريخ أيضاً عن بلوغه الغاية في الحكمة، وصفاء النفس... ولذا

= ينتها عبد المطلب ويحييها بعد موتها، فكان واسطة في ابلاغ هذه السنن عند الله سبحانه وتعالى وجاء الإسلام فأكدها وأقرها...

(١) جاء في منية الراغب في ايهان أبي طالب ص ٥٣: أن عبد المطلب سن في الجاهلية ستناً كثيرة ولما جاء الإسلام أقرها في القرآن الكريم: حرم نساء الآباء على الآباء - سن الديبة في القتل، منه من الأبل - طاف بالبيت سبعة أشواط - وجد كنزًا فأنخرج منه الخامس - سمع زمز زمزم حين حفرها: سقاية الحاج - وفي شيخ الأبطح زيد عليها : نهى عن قتل المؤودة - قطع يد السارق - حرم الخمر والزنا - حظر طواف العراة في بيت الله الحرام، ص ١٩ - شيخ الأبطح.

(٢) القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية ٦٧.

(٣) مروج الذهب للمسعودي، ج ٢، ص ١٠٣.

توصل الى رفض عبادة الأصنام، فوحد الله سبحانه وتعالى^(١).

من هنا، من هذا البيت، المذارة المضيئة «الذي ولد فيه أبو طالب، ومن خلال هذه البيئة الطيبة الريح، الأصيلة في طهارة النسب، والعامرة بالفضيلة ومكارم الأخلاق، التي درج وترعرع فيها» ومن الكلية العظيمة - كلية أبيه عبد المطلب - الحافلة بأنواع التعاليم والدروس الأخلاقية والسياسية، والتي نستطيع من خلالها أن نقرأ أبا طالب، قراءة صحيحة، فنتعرف عليه، ونصل إلى حقيقته، وندرك عظيم شخصيته وبنبله، وبالغ حكمته... وحربي به أن يخلف آباء في جميع مزاياه: حكمة... وعلماء... وتوحيداً، وحلو شمائلاً.. فقد قيل:

الإنسان ابن بيته... والابن سر أبيه...

ولا عجب فقد تقدم على أبيه في بعض الجوانب، حيث ساد مكة والعرب وهو قُلُّ - فقير - فقالوا: لم يَسْدُّ في قريش فقير قط، إلا أبو طالب وعتبة بن ربيعة، هذا لشرفه وهذا لصدقه، وإنما كانت قريش تسود بالمال، وكان أبو طالب شاعراً خطيباً^(٢).

فمن هو أبو طالب يا ترى...؟

٣. مكانته في قريش:

إنه رئيس مكة، شيخ الأبطح وشيخ قريش، سيد البطحاء وعم النبي محمد «صلى الله عليه وآله»، وكافله ومربيه، وحارسه وناصره... تربى في

(١) شيخ الأبطح، ص ١٩.

(٢) آل أبي طالب، ج ١، ص ٨، للعلامة السيد محسن الأمين.

بيت رفيع، عامر بالآيات، تلقى المعرف في كلية أبيه العظيم فحمل منه ما حمل من مكارم الأخلاق، وعظيم الفضائل، فكان صورة واضحة الخطوط، مشرقة الجوانب، فيه من عظمة عبد المطلب وصفاته، وبطولة هاشم وكرمه، وحكمة جده قصي وشجاعته، ويكتفي فخرًا أنه والد بطل الإسلام أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب «عليه السلام»، ويكتفي عزًا أن الله سبحانه وتعالى أراده كفيلًا لأشرف خلقه، فكان نصير رسالة السماء، ومربياً وحارساً لأكرم مخلوق...»

وقد تفرد بميزة لم تكن لسواه وهي أنه لم يسد في قريش فقيرًا قط غير أبي طالب، فالسيادة فيها لم تكن إلا بالمال، أما هو فقد سادها، فقيرًا عملاً، بلا مال ولا حطام... بل وساد العرب كافة... جاء عن علي «عليه السلام»:
إن أبي ساد الناس فقيرًا، وما ساد فقير غيره^(١).

لا عجب ولا غرابة إذاً في أن يكون أبو طالب كما كان، وقد اختاره الله سبحانه وتعالى ليكون كافلاً وراعيًّا ومربيًّا للنبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» وعلى قدر المسؤولية يكون المسؤول (التربية هنا، ليست بمعناها الخاص والمعارف عليه من تعليم وتأديب وإنما رعاية الشؤون والحياطة والشهر عليه لأن الله سبحانه وتعالى هو المربi للنبي والمؤدب فقد قال الرسول «صلى الله عليه وآله» أدبني ربِّي فأحسن تأديبي) - فلو لم يكن أبو طالب على قدر هذه المسؤولية الكبيرة والخطيرة، وأهلاً لها، وأية مهمة أعظم من كفالة ورعاية وتربية أفضل وأنبل وأعظم خلق الله، وخاتم أنبيائه..؟

(١) سيرة المصطفى، ص ٤٨، للعلامة السيد هاشم معروف الحسني.

فلو لم يكن أبو طالب صاحب خلق عظيم، ولو لم يكن موحداً مسلماً
ومؤمناً، لما اختاره الله هذه المهمة التي تصغر أمامها كل المهام - وهو العليم
بخلقه - وفائد الشيء لا يعطيه.

لقد قام أبو طالب بالمهمة خير قيام وأداتها خير الأداء، فكان نعم
الكافيل، والمربى، والحاامي والنصير، والمسلم المؤمن ...

شارك أباء الزعامة في حياته، كما شاركه رعاية الرسول أيضاً، وانفرد
بها بعد وفاته، فكان الزعيم بلا منازع، والراعي الأوحد والكافيل بدون
شريك ...

ملك النفوس، وتربيع على عرش القلوب، فكان صاحب المقام
الكريم، والجاه العظيم بدون مال أو عقار، وإنما باستعداده الفطري،
وموهبته، ومقدراته، وكريم أخلاقه ...

ذلك هو أبو طالب، بيضة البلد،شيخ قريش... وسيد البطحاء...

٤. علاقاته:

أما علاقاته... فتشعبت، اجتماعياً وسياسياً، واقتصادياً، واتسعت
لتتعدى الجزيرة العربية... فقد أقام شبكة واسعة من العلاقات الاجتماعية
والسياسية في المجتمع المكي والعربي على حد سواء، ولم يكتف بذلك
فانتطلق إلى خارج جزيرة العرب، يقيم العلاقات مع الجوار، يوفد الوفود،
ويرسل الرسائل إلى النجاشي، ملك الحبشة، بل ويدعوه إلى الإسلام - فكان
داعية إسلامية بامتياز - حيث يقول له في إحدى رسائله:

أتعلم - ملك الحبش - أنَّ مُحَمَّداً
نبي كموسى وال المسيح بن مریم
فكل بأمر الله يهدى ويُعصم
أتى بالهدي مثل الذي أتى به

وأنكم تتلوونه في كتابكم
فلا تجعلوا الله نداً وأسلموا
بصدق حديث لا حديث الترجم
فإن طريق الحق ليس بمظلم^(١)

وقد ذكر هذه الآيات آية الله محمد رضا الطبي في كتابه منية الراغب
في إيهان أبي طالب ص ١١٩ مع تغيير في البيت الأول^(٢) :
تعلّم خيار الناس أن محمداً
وزير الموسى وال المسيح بن مريم
هذه بعض صفات أبي طالب..

وكذلك كانت له سقاية الحاج ورفادته، وهو الذي سنَ القسامه^(٣) في
الجاهلية، للعرب، في دم عمرو بن علقمة فأثبتهما السنة في الاسلام، وحرم

(١) ماذَا في التارِيخ، م ١٦، ص ٢٥١، العلامة الشيخ محمد حسن قيسى. وفي روضة
الواعظين ص ١٦٦ - ١٦٧، مع تغيير في صدر البيت الأول : ليعلم خير الناس
أن محمداً، العلامة زين المحدثين محمد بن الفتال النيسابوري.

(٢) مجمع البيان ج ٤ ص ٤٤٦ . دار المعرفة، الطبعة ٢، ١٩٨٨، بيروت مع بعض
التغيير في البيت الأول والثاني والثالث:

تعلم مليك الحبش أن محمداً
وزير كموسى وال المسيح بن مريم
أتى بهدىً مثل الذي اتيا به
 وكل بأمر الله يهدي ويعصى
وأنكم تتلوونه في كتابكم
صدق حديث لا حديث المرجِم
(٣) القسامه : بالفتح: هي الأئمان، تقسم على أولياء القتيل، إذا أدعوا الدم يقال قتل
فلان بالقسامه، إذا اجتمعت جماعة من أولياء القتيل فادعوا على رجل أنه قتل
صاحبهم وكان معهم امارة غير البينة فحلفو خمسين يميناً أن المدعى عليه قتل
صاحبهم، وهؤلاء الذين يقسمون على دعواهم يسمون قسامه.

الخمر على نفسه فجاء بذلك القرآن الكريم ..^(١)

وهكذا فإن الجاهلية العميماء التي كانت تعصف بالمجتمع المكي، والعربي على حد سواء، بشرورها وأثامها، ووثنيتها البغيضة، لم تكن لتهز بنيان أبي طالب، أو تثال من شموخه، فلم تستطع أن تنفذ إلى نفسه وتلوثها أو تزعزع شخصيته وتحرفه عن النهج القويم، نهج آبائه إبراهيم «عليه السلام» واسحاق «عليه السلام» - الحنفية المسلمة البيضاء - فإن له من العقل الراجح، والفكر النافذ، والخصائص الموروثة ما يرتفع به ويسمو فوق هذه الجاهلية الكريهة، بل ويعطيه القوة لكسر جدارها وإحداث الثغرات فيه، ثغرات يتسرّب من خلالها بصيص فجر، وأمل ونور... فهي مرحلة بين بعثتين: نبي سبق، ونبي يأتي... ينقطع فيها بينهما وحي السماء إلى الأرض.. فيهيء الله لها رجالاً صالحين - أوصياء - كعبد المطلب وابنه أبي طالب، حتى تكون الحجة البالغة لله على الناس، كما ورد في القرآن الكريم: وما كنا معدلين حتى نبعث رسولاً^(٢) ... وبدليل قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا تخلو الأرض من حجة، ولو خلت لخفت، وساخت الأرض بأهلها...

وفي ذلك يقول العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي: فقد كان أبو طالب «عليه السلام» مستودعاً للوصايا فدفعتها إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(٣).

(١) شيخ الأبطح، ص ٢٢.

(٢) القرآن الكريم، سورة الأسراء، آية ١٥.

(٣) ظلامة أبي طالب، ص ٣٣ للعلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي.

وقال الصدوق: روي أن عبد المطلب كان حجة وأن أبو طالب كان وصيه^(١).

وقال المجلسي: بل كان من أوصياء إبراهيم «عليه السلام»^(٢) ..

من هنا فان وجود عبد المطلب، ومن بعده ابنه أبو طالب، يصبح ضرورياً، لأن المرحلة المهدة والبشرة بشرورة شمس النبوة^(٣).

كيف لا، وهو «أبو طالب»، الملاذ الأمين، والملجأ للمظلوم.. وبه يستسقى الناس عند امتناع المطر فتنهمر الساء بعائها وتغدق.. وتخصب الأرض بعائتها فتجود بالعطاء.. إنه الوصول للرحم، الكشاف للكروب، البر الرحيم، الجoward بها يملك من غير منة، والسمع بها يستطيع، بلا طلب... قوى الارادة، منطيق فصيح، يتذفق ببلاغة.. حديدي القلب، جميل الطلعة، مهوب الجانب، موفر الاحترام والتعظيم^(٤).

تراه عميقاً في علمه، عارفاً عالماً بالتشريع، سن سنتاً أقرها الاسلام، وقد حرم الخمر على نفسه، مبتعداً بها عن ارتكاب الموبقات، وممارسة الشرك فلم يذكر عنه أنه سجد لصنم قط^(٥) ..

وفوق هذه وتلك، إنه (باقية الخليل إبراهيم «عليه السلام» وسلالة

(١) نفس المصدر، ص ٤٤.

(٢) نفس المصدر، ص ٤٤.

(٣) مؤمن قريش: فيه ما يؤيد هذا الرأي، ص ١٠١.

(٤) هكذا جاء في وصفه في التاريخ ص ١٠٧ - ١٠٨. من اثبات الوصية، وقد أخرجها الخبر في كتابه، مؤمن قريش، ص ١٠٢، حاشية رقم ١.

(٥) ليالي بشاور، ص ٩٣٩، ج ٢، لـ سلطان الوعاظين: السيد محمد الموسوي الشيرازي.

الذبيح اسماعيل «عليه السلام»^(١) ..

٥. زواجه :

هذا وقد تزوج أبو طالب من السيدة الجليلة، صاحبة المحتد الكريم والخلق النبيل، الهاشمية الفاضلة، طاهرة النفس، فاطمة بنت أسد، وقد جاء في نسخة الخطبة قوله - أبو طالب - :

(الحمد لله رب العالمين) رب العرش العظيم، والمقام الكريم، والمشعر العظيم، الذي اصطفانا أعلاماً وسادة، وعرفاء خلصاً وقادة، وحجبة بها ليل، أطهاراً من الخنا والريب، والأذى والعيب، وأقام لنا المشاعر، وفضلنا على العشائر، نخب ابراهيم وصفوته، وزرع اسماعيل، وقد تزوجت فاطمة بنت أسد، وسقت المهر، وأنفذت الأمر، فاسألهوا وشاهدوا)، فقال أسد: زوجناك ورضينا بك^(٢) ..

ولم يذكر التاريخ أبداً، أن أبو طالب قد تزوج من سواها، لا قبلها ولا في حياتها... وهي من أوائل المسلمات... هاجرت إلى المدينة المنورة بعد وفاة زوجها أبي طالب، وقد كانت مثال المرأة الصالحة المؤمنة، مرضت بعد معركة بدر، وتوفيت في المدينة في السنة الرابعة للهجرة، وقد صلى عليها الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» فألبسها قميصه، ودفنتها بنفسه، (واضطجع في قبرها وترغ بترابه، وبكاهها قائلاً: جراك الله من أم خير، لقد

(١) مؤمن قريش، ص ١٠٣ .

(٢) شيخ الأبطح، ص ٢٣ - ٢٤ .

كنت خير أم^(١) ..

أنجبت خمسة أولاد، كلهم لأبي طالب، لأنها لم تتزوج أحداً غيره، قبله أو بعده، وهم: أربعة ذكور: طالب، عقيل، جعفر وعلي (عليه السلام). ومن الاناث أم هاني ...

(١) نفس المصدر، ص ٢٤.

الفصل الثاني:

كفالة الرسول (ص)

- ١ - أبو طالب يكفل الرسول (ص)
- ٢ - السر في هذا التكليف
- ٣ - كفالته للنبي محمد (ص)

١. أبو طالب يكفل الرسول (ص):

عندما شعر عبد المطلب «عليه السلام» بدنو الأجل، وقد بلغ الخامسة والثاني من عمره، وفي قول آخر: ^(١) **المئة والعشرين**، جمع أولاده، وكانوا تسعة بعد أن توفي عبدالله والد النبي «صلى الله عليه وآلـه»، فوزع عليهم مهامه التي كان يقوم بها، والخدمات التي كان يقدمها لأهل مكة أو للوافدين إليها، وتدير شؤونهم، غير أن أكثر ما كان يشغل باله وتفكيره، حفيده محمد «صلى الله عليه وآلـه» وكفالتـه... وكيف سيتركه وحيداً بعد وفاته...؟ كيف لا..؟ وقد استأثر بقلبه، وأثره على أولاده...؟

أدار عينيه في أولاده، واحداً، واحداً، ليختار منهم من يعهد إليه بهذه المهمة التي أخذت منه كل مأخذ، وشغلت عقله وفكره... وعليه أن يحسن الاختيار...؟

أوصى عبد المطلب أولاده التسعة بمحمد، خيراً، قائلاً لهم: (محمد يتيم فأووه، وعائل فأغنوه، إحفظوا وصيتي فيه) ^(٢)... ثم اختار من بينهم ولده عبد مناف: أبو طالب - لكافالة محمد - إختاره هذه المهمة الشاقة، وهو

(١) أبو طالب، مؤمن قريش، ص ٩٣.

(٢) منية الراغب في إيمان أبي طالب، ص ٥٤.

الذي كان قد شاركه بها منذ أن بزغ النور المحمدي^(١) ..

جاء في كتاب منية الراغب في إيمان أبي طالب لآية الله الشيخ محمد رضا الطبي صفحه ٥٣ و ٥٤ ، نقلأً عن كتاب المناقب للإمام الأوزاعي ما يلي:

وفي المناقب عن الإمام الأوزاعي قال: كان النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» في حجر عبد المطلب فلما أتى عليه إثنان ومئة سنة، ورسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ابن ثمانين، جمع بنيه وقال: محمد يتيم فأووه، وعائل فأغنوه، إحفظوا وصيتي فيه..

فقال أبو هب: أنا له..

فقال: كُفَّ شرك عنه.

فقال العباس: أنا له..

فقال: أنت غضبان لعلك تؤذيه.

فقال أبو طالب: أنا له..

فقال: أنت، يا محمد أطع له..

فقال رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»: يا أبه، لا تحزن، فإن لي رباً لا يضيعني، فامسكه أبو طالب في حجره، وقام بأمره، يحميه بنفسه وماله وجاهه في صغره من اليهود المرصدة له بالعداوة، ومن غيرهم منبني أعمامه، ومن العرب قاطبة، الذين يحسدونه على ما آتاه من النبوة... .

وأنشأ عبد المطلب يقول:

(١) شيخ الأبطح، ص ٢١ سندًا عن السيرة الخلبية، ج ١، ص ١١٥، هـ ١.

أوصيك يا عبد مناف بعدي
بموحد بعد أبيه فرد^(١)

ثم أردد يقول:

عبد مناف وهو ذو تجارب
بابن الذي قد غاب غير آيب^(٢)

وصيت من كنيته بطالب
بابن الحبيب أكرم الأقارب

فيجيئ أبو طالب:

إني سمعت أعجب الأعاجب
بان بحمد الله - قول الراهب^(٣)

لاتوصني بلازم وواجب
من كل حبر عالم وكاتب

٢. السر في هذا التكليف:

ثم يعود عبد المطلب ويكرر وصيته بحفيده الحبيب محمد «صلى الله عليه وآله» موجهاً كلامه لأبي طالب:

أنظر يا ابا طالب أن تكون حافظاً لهذا الوحد الذي لم يشم رائحة أبيه،
ولم يذق شفقة أمه، أنظر أن يكون من جسدك بمنزلة كبدك، فاني تركتبني
أجمعهم وخصصتك به لأنك من أم أبيه، فانصره بلسانك ويدك ومالك،
فانه والله سيسودكم، ويملك ما لا يملك أحد من آبائه...^(٤).

إذاً فقد اختص عبد المطلب، أبا طالب بكفالة محمد «صلى الله عليه وآله» من دون أبنائه، ولم يكن هذا الاختيار لأبي طالب محض صدفة، او

(١) منية الراغب في إيمان أبي طالب، ص ٥٣ - ٥٤. الشيخ محمد رضا الطبي.

(٢) ماذافي التاريخ، م. ١٥، ص ٢٢٩.

(٣) نفس المصدر، ص ٢٢٩.

(٤) نفس المصدر، ص ٢٢٩.

اختياراً عشوائياً، كما لم يكن لأنه من أم أبيه فقط، بل لأن الكفيل أو المسؤول يجب أن يتوافر فيه من صفات المسؤولية ما يجعله مؤهلاً ليكون على قدرها فيكون أهلاً لها، فكيف إذا كانت هذه الكفالة وهذه المسؤولية عظيمة بقدر مكفوتها النبي محمد «صلى الله عليه وآله» فمحمد هذا ليس إنساناً عادياً بل هونبي، وأينبي...؟ إنه خاتم الأنبياء، فهو رسول للبشرية جموع، ونبوته ليست لفتة أو لقوم من الناس، فهو للناس كافة، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز مخاطباً نبيه محمداً «صلى الله عليه وآله» وما أرسلناك الا رحمة للعالمين^(١) .. فكيف إذاً والحالة هذه سيكون الكافل والمسؤول والمربى، يا ترى...؟ فالذي خلق محمداً «صلى الله عليه وآله» ويريد أن يبعثهنبياً رسولاً للعالمين، - وهو المتتدخل في كل شيء - لا بد وأن يتدخل في هذه الحالة فيبهيء له كافلاً ومربياً، وناصرأً يمحوه ويشر عليه ويكون على قدر المسؤولية، حاملاً لصفاتها فإن لم يكن الكافل والمربى والحاكمي متحلياً بهذه الصفات، حاملاً لها قولهً ومارسة فإنه سيسقط في مهمته لأن فاقد الشيء لا يعطيه...

من هنا نرى أن الله سبحانه وتعالى له مشيئة في اختيار أبي طالب لهذه المهمة الكبيرة والخطيرة، فأبو طالب يحمل هذه الصفات كلها... ويقول سماحة العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى في كتابه ظلامة أبي طالب:

قيل لاكتم بن صيفي: من تعلم الحكم، والرياسة والحلم والسيادة؟
 فقال: من حليف العلم، والأدب، سيد العجم والعرب أبي طالب بن

(١) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، آية ١٠٧.

عبد المطلب^(١) ...

وكان أبو طالب «عليه السلام» من يهابه الرجال ويكره غضبه وهو
من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية^(٢) ...

وأنه كان مستودعاً للوصايا، فدفعها إلى رسول الله «صلى الله عليه
وآله»^(٣) ...

كما ويروي السيد العلامة المحقق العاملي عن الصدوق: أن عبد المطلب
كان حجة وأن أبي طالب كان وصيه^(٤) ...

وعن المجلسي: أنه كان من أوصياء إبراهيم^(٥) ...

وها هو أبوه عبد المطلب يقول له: (يا أبي طالب، إني قد عرفت ديانتك
وأمانتك، فكن له كما كنت له)^(٦) ...

إذا فنقطة الارتكاز في موضوع الكفالة هي : الدين والأمانة... .

(١) ظلامة أبي طالب، ص ٤٢ - ٤٣.

(٢) ظلامة أبي طالب، ص ٤٣ مسندة إلى الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلوات الله عليه ص ٢٩٧، ج ٥، ص ٢٩٧، للعلامة المحقق السيد جعفر مرتضى، عن السيرة الخلبية ج ١، ص ١١٣، ط ١، دار السيرة.

(٣) ظلامة أبي طالب، ص ٤٤.

(٤) نفس المصدر.

(٥) نفس المصدر.

(٦) منية الراغب في إيمان أبي طالب، ص ٥٣. سبق ووردت بعض هذه الصفات وقد
أوردت هنا على سبيل التذكرة لا تكراراً.

وأيُّ دين هذا الذي قصده عبد المطلب...؟

وهو على دين آبائه ابراهيم واسماويل، وهل هو غير الحنيفية
البيضاء..؟

ومن أعلم وأعرف بالولد أكثر من الوالد..؟

فكيف إذا كان هذا الوالد عبد المطلب، حكيم قريش وحليمه،
وحاكمها وشريفها وسيدها، كماًًاً وفعلاً، والذي بلغ الغاية في الحكمة
وصفاء النفس، فرفض عبادة الأصنام، ووحد الله سبحانه وتعالى... .

يقول الخنزيري عن عبد المطلب: (يرفض أن ينخفض الهمام لصنم فقط،
فيبعد حجرة صماء، أو خشبة بالية، وهو ذو العقل الرجيع والذكاء
الوقاد)^(١) ...

ويقول ابن أبي الحديد في شرحه نهج البلاغة، عن عرضه للإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام:

(فأما الذين ليسوا بمعطلة من العرب، فالقليل منهم، وهم المتألهون،
 أصحاب الورع والتحرج عن القبائح: كعبد الله وعبد المطلب وابنه أبي
طالب)^(٢) ...

وهكذا نرى أن عبد المطلب وابنيه: أبو طالب وعبد الله لم يكونوا من
المعطلة من العرب ولم يكونوا عبدة أصنام بل كانوا متألهين، موحدين،

(١) مذمن قريش، ص ٨٢، عبدالله الخنزيري.

(٢) شرح النهج ج ١، صفحة ٩٤، فصل أديان العرب وفرقهم في الجاهلية (دار
الأعلمي ١٩٩٩ م).

أصحاب ورع وتقى، مترفين عن فعل القبائح.. فالدين والأمانة إذا هما المحور الرئيسي في الموضوع، وعنوان الكمال في الإنسان عامة وفي الكفيل خاصة، وبناء عليه فقد رفض عبد المطلب كفالة أبي هب، قائلًا له:

كُف شرك عنه..^(١).

وقال للعباس : أنت غضبان لعلك تؤذيه..^(٢).

و قبلها لأبي طالب لأنه يعرف دياته وأمانته...^(٣).

فمن اتخاذ الدين لباساً والأمانة منهاجاً، بلجدير بالمسؤولية منها عظمت، وكيفما كانت.. ومن هنا نرى أن كفالة أبي طالب لـ محمد «صلى الله عليه وآله» لم تكن محض صدفة أو عشوائية، ولا لقرابة أو لرحم فقط، فالمسألة بأسبابها... وإنها هي مشيئة الله سبحانه وتعالى... فهو أعلم حيث يضع رسالته...

(١) منية الراغب راجع ما سبق.

(٢) منية الراغب راجع ما سبق.

(٣) منية الراغب راجع ما سبق.

الفصل الثالث:

تربيته وحبه لمحمد (ص)

- ١ - معنى التربية**
- ٢ - قد عرفت ديانتك وامانتك**
- ٣ - مع الراهب بحيرا**

تربيته وحبه لمحمد (ص)

١. معنى التربية:

ال التربية بحد ذاتها مهمة شاقة وخطيرة أيضاً، فعليها يتوقف مستقبل الإنسان ومصيره، ونمط حياته، اجتماعياً وفكرياً، فكيف إذا كانت هذه التربية متعلقة بأكبر شخصية وأخطرها دوراً، شخصية بحجم العالم، كل العالم - الحالي والآتي - . كيف لا وهي سترسل رحمة للعالمين، نبأاً للهدي والرحمة... محمد «صلى الله عليه وآلـه».. وبالرسالة التي سيحملها..؟ (لا أقصد هنا بالتربية، المعنى الدقيق وال حقيقي للتربية بالنسبة للنبي «صلى الله عليه وآلـه» بل عنني رعاية شؤونه وحياته والشهر عليه وحمايته فالله سبحانه وتعالى هو المتكفل بتربيته وتأديبه والرسول «صلى الله عليه وآلـه» يقول: أدبني ربي فأحسن تأديبي وعلى قاعدة قول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ولتصنع على عيني.

من هنا نرى أن ما أوكل إلى أبي طالب «عليه السلام» لم يكن أمراً عادياً، وإنما كان في أشد الخطورة والتعقيد... وأية تربية أخطر وأعقد من تربية شخص كمحمد «صلى الله عليه وآلـه»، أفضل الأنبياء وخاتمهم، وأعظم وأنبل خلق الله، وتنشئته وتهيئته للدور الذي سيضطلع به..؟ ! فلو لم يكن أبو طالب «عليه السلام» مؤمناً حقاً، وصاحب الخلق الرفيع والمنهج

القويم، لما أوكل إليه هذا الأمر، فهذا والده العظيم عبد المطلب يقول له:

٢ - قد عرفت ديانتك وأمانتك:

يا أبا طالب: إني قد عرفت ديانتك وأمانتك، فكن له كما كنت له^(١).

وكيف لا يكون كذلك وهو الذي حرم الخمر على نفسه في الجاهلية

فجاء بذلك القرآن الكريم^{(٢) ... !؟}

ويكفيه فخرًا وعزًا وشرفاً أنه مربى الرسول وحاميه وناصره، وأنه الوالد والمربi أيضاً للوصي، أبي الأوصياء، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» إنه بحق مربى النبوة والأمامية، فهل هناك عز وشرف وفخر بعد هذا...؟! إنها والله، نعم الله، أنها على هذا البيت، بالإضافة صاحب شرف العرب، من بُعث رحمة للعالمين، إلى هذه العائلة الكريمة، لينفرد وبالتالي أبو طالب بكفالته وتربيته - وذلك سنة ٥٧٨ م، وله من العمر ثمانية أعوام^(٣) - فانكب عليه، وأحله من قلبه محلًا علياً، وقدمه على أولاده، وكذلك فعلت زوجته السيدة فاطمة بنت أسد رضوان الله عليها، فاحتضنته بكل اعتنائها، وحننت عليه وفضلته بالحباء على جميع أبنائهما، فنشأ «صلى الله عليه وآله» في هذه العائلة عزيزاً، مكرماً ومفضلاً على الجميع، فها أحسن بفقد الأب أو الأم، فيا له من بيت أعلى الله عمارته، وشرف مقامه، وفي ذلك يقول العلامة السيد محمد علي شرف الدين رحمه الله:

(١) راجع ما سبق.

(٢) راجع ما سبق.

(٣) شيخ الأبطح، ص ٢٥.

(وشب في ذلك البيت الرفيع العهاد الذي سبق بعنایته تعالي، أن خرج منه المهدى والنور للعالم بأسره، فیا له من بيت شرف الله مقامه، وأعلى دعame، وأجل شأنه، وفضله على بيوتات العالمين، وما أطيب نشره، وأنمي غرسه!... منه عبق طيب النبوة، فعطر المشرق والمغرب وفيه نها غرس الوصایة)، والتي بها أكمل الله الدين وأتم النعمة، (فلک أبا طالب، سعادة الأبد في ابن أخيك نبی العالم وعظيم بنی آدم، ولک الغبطه في أهلك وولدک، أبطال السيف والقلم، وأقطاب رحی العلم والحكم) ^(١) ...

٢. مع الراهب بحیرا:

منذ أن إنتقل محمد «صلی الله علیه وآلہ» إلى بيت عمه أبي طالب، أصبح الشغل الشاغل له، فأكب على تربيته ورعايته، فكان محمد «صلی الله علیه وآلہ» ينمو ويكبر، وتکبر معه آمال أبي طالب «علیه السلام»، لما كان يظهر من مواهب وظواهر...

وبلغ من عنایة أبي طالب «علیه السلام» بابن أخيه محمد «صلی الله علیه وآلہ» حدأ لا يوصف، فكان لا يفارقہ أبداً في حله في ترحاله، في نومه أو في عمله، فلا يغيب عن بصره واهتمامه طرفة عین أبداً، فها هو وقد عزم على السفر في تجارة الى الشام، يأبى إلا أن يصطحب معه محمداً «صلی الله علیه وآلہ»، ويأبى محمد «صلی الله علیه وآلہ» الا أن يخرج مع عمه، وفي ذلك يقول صاحب الغدير. فامسك محمد «صلی الله علیه وآلہ» بزمام ناقته وقال: يا عم الى من تكلني، لا أب لي ولا أم؟

فرق له أبو طالب وقال:

(١) شیخ الأبطح، ص ٢٦.

والله لأنخرجن به معي، ولا يفارقني، ولا أفارقه أبداً..^(١) وهو باصطحابه معه إنما يصيب هدفين:

الأول: يبقىه تحت مراقبته، فلا يغيب عن عينيه، ولا يصل إليه أحد بسوء.

الثاني: يطبق فيه أصول التربية والتعليم فيوقفه على أحوال من مضى من الدول وأخبارها، ويعرفه معلم البلدان البعيدة، خارج محیطه ويطلبه على أخبار الناس والدول الحاضرة، ولتتم له بذلك دراسة الواقع الجغرافية، وأثار الأمم السالفة، ففي ذلك علم كثیر، وفوائد جمة، واستبصار وتفكير..

وعندما بلغ الركب مدينة بصرى الشام، نزلوا في دير كان يعيش فيه راهب يقال له بحيرا، قد انتهى إليه علم النصرانية، فأولم لهم على غير عادته، ودعاهم جميعاً لتناول الطعام، رافضاً أن يغيب عنه أحد، صغيراً كان أم كبيراً، وعندما رأى محمدأً «صلى الله عليه وآلـه»، وتفرس فيه، وتفحصه جيداً، وعرف فيه صفات النبوة، صفات كان قد قرأها في الكتب المقدسة، وعرف ما سيؤول إليه أمره، عندما رأه وعرف فيه ما عرف، قال لأبي طالب:

ارجع يا بن أخيك إلى بلدك، واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت، ليبغونه شرآ، فإنه كائن لا بن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده^(٢) ... فعاد أبو طالب بابن أخيه إلى بلدك، بعد ما سمعه من

(١) الغدير ج ٧، ص ٣٨٢.

(٢) ماذَا في التاريـخ، م ١٥، ص ٢٣٤.

تحذير الراهب له، من اليهود وخطرهم على ابن أخيه، غير أن هذه الحادثة، لم تكن لتزيد أبا طالب حباً لابن أخيه، أو معرفة بها سيكون عليه شأنه، فقد كان يعرف عنه الكثير، وأنه سيكوننبياً، وكان يقول: ولقد كان أبي يقرأ الكتب جميماً، ولقد قال: إن من صلبي لنبياً، لورددت أني أدركت ذلك فآمنت به، فمن أدركه من ولدي فليؤمن به^(١).

ولم يشأ أبو طالب أن تمر هذه الحادثة مع بحيرا مرور الكرام، دون أن يسجلها شرعاً على جبين التاريخ، صفحة ناصعة تقرأها الأجيال، جيلاً بعد جيل:

عندي يفوق منازل الأولاد	ان ابن آمنة النبي محمد
والعيش قد قلصن بالأزواد ^(٢)	لما تعلق بالزمام رحمته
مثل الجمان مفرق الأفراد	فارفض من عيني دمع ذارف
وحفظت فيه وصية الأجداد	راغبت فيه قرابة موصولة
ببضم الوجه مصالح انجاد ^(٣)	وأمرته بالسير بين عمومة
فلقد تباعد طيبة المرتاد ^(٤)	ساروا لا بعد طيبة معلومة
لاقوا على شرك من المرصاد	حتى إذا ما القوم بصرى عاينوا

(١) مؤمن قريش، ص ١٠٧ . وفي الغدير أيضاً ج ٧، ص ٣٨٨.

(٢) قلص : قلص القوم : اجتمعوا وساروا، قلصت الناقة، أسرعت واستمرت في مضيها - وهنا : حلت بالزاد وسارت مسرعة.

(٣) مصالح : الماضي بالحوائج : الصلة الجين الواضح : انجاد جم جنجد : الشجاع السريع الاجابة الى ما دعى عليه.

(٤) طيبة: ناحية.

عنه ورد معاشر الحساد
ظل الغمام وعن ذي الأكباد
عنه وجاهد أحسنَ التجهاد
^(١)
في القوم بعد تجاول ويعاد
^(٢)
حبر يوافق أمره برشاد

حبراً فأخبرهم حديثاً صادقاً
قوماً يهوداً قد رأوا المارأى
ساروا والقتل محمد فنهاهم
فشنى زبيراً من بحيراً فانشنى
ونهى دريساً فانشنى عن قوله

وبلغ من حب أبي طالب لابن أخيه محمد «صلى الله عليه وآله»
وحياطته له، حداً لا يوصف، فكان لا ينبعه إلا إلى جانبه، ولشدة خوفه
عليه، كان إذا عُرف مكان نومه، يقيمه ليلاً من مضجعه، وينقله إلى مكان
آخر، ويضجع ولده علياً مكانه، وذات ليلة، قال له علي: يا أبا، إني
مقتول..؟

فقال أبو طالب:

كل حي مصيره لشعوب
لداء الحبيب وابن الحبيب
الثاقب والباع والفناء الرحيب
فمصيب منها وغير مصيب
^(١)
آخذ من سهامها بصيب

إصرن يابني فالصبر أحجى
قد بذلناك والبلاء شديد
لداء الأغر ذي الحسب
^(٢)
إن يصبك المنون فالنبل يبرى
كل حي وإن تملى بعيش

(١) زبير ودريس: أحبار من اليهود، تعرضوا للركب، يريدون شرّاً بالرسول، فردهم بحيراً عنه.

(٢) وردت هذه القصيدة لأبي طالب في كتاب الغدير، ج ٧، ص ٣٨٣ - ٣٨٤.

(٣) في بعض المصادر: ترى..

فأجابه علي بقوله:

أن أمرني بالصبر في نصر أَحْمَد
ولكتني أحببت إن تر نصرتني
وسمعي لو جه الله في نصر أَحْمَد
ووالله ما قلت الذي قلت جازعا
وتعلم أني لم أزل لك طائعا
نبي الهدى محمود طفلة ويا فعا^(٢)

(١) الغدير ج ٧، ص ٣٩٨ - ٣٩٩، ووردت في: آل أبي طالب ص ٩ - ١٠، ج ١
للعلامة السيد محسن الأمين.

(٢) الغدير ج ٧، ص ٣٩٩، كما وردت في: آل أبي طالب، ج ١ - ص ١٠.

الفصل الرابع:

حامي الرسول وناصره

- ١ - والله لا أسلمه إليكم أبدا
- ٢ - لو وضعوا الشمس في يميني
- ٣ - قريش تقايض أبا طالب
- ٤ - أبو طالب يفقد الرسول
- ٥ - أبو طالب يشمل أنصار الرسول بحمايته

١ - والله لا اسلمه إليكم أبداً:

إن لأبي طالب «عليه السلام» تاريخاً حافلاً، مشهوداً بالجهاد، فقد عاش حياته المديدة، مليئة بالمواقف الجهادية في سبيل الله وفي سبيل رسوله محمد «صلى الله عليه وآلها» والدفاع عن رسالته السمحاء، والوقوف في وجه عتاة قريش، بلسانه تارة، وبسيفه طوراً، وبالمحاورة والحكمة، والسياسة تارة أخرى، مما مكن رسول الله «صلى الله عليه وآلها» لأن ينشط في بث دعوته بين القبائل الواقفة إلى مكة للحج، أو بين المكينين أنفسهم، ونشرها مستظلاً بحماية عمه أبي طالب، حتى صلب عودها، وأغصنت، وأورقت، وأينع ثمرها.... ثم ما هو يرفع الصوت عالياً ويجهر بدعوته، ويسفه أحلام قريش، ويسخر من آهاتهم، ويعييها، ويدعو الناس لترك عبادة الأصنام والدخول في الدين الجديد، ويعبدوا إلها واحداً لا شريك له، هو الله الخالق البارئ، المصور المدبر، وهو على كل شيء قادر...

وعندما جهر النبي محمد «صلى الله عليه وآلها» بدعوته، أخذت قريش تجتمع وتفرق ثم تجتمع للنظر في الأمر، والخروج بمواقف وقرارات، توقف محمد «صلى الله عليه وآلها» هذا أو تقنه بترك دعوته والرجوع عنها، ولكن دون جدو... فها هو قد عاب آهتها، وسفه أحلامها وضلل آباءها، فقامت قيامتها، وهبت لتدافع عن آهتها، وأخذت تكيد لـ محمد

«صلى الله عليه وآله» وأعلنت صراحة عن رغبتها في قتله والتخلص منه، وكان من البديهي، أن تصطدم بأبي طالب «عليه السلام» فهو الكافل لـ «محمد» وهو المانع له والمحامي عنه... وهكذا كان... فقد وقف أبو طالب سداً منيعاً في وجه قريش ومنعها عن ابن أخيه أو التعرض لرسالته... وأخذت قريش ترسل له الوفود الواحد تلو الآخر، تشكو لأبي طالب ابن أخيه: أنه قد سب آهتهم، وسفه أحلامهم، وضلل آباءهم، فاجتمعوا إليه قائلين: يا أبا طالب: (إن ابن أخيك قد سب آهتنا، وسفه أحلامنا، وعاب ديننا، فإما أن تكتفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه - فانك على ما نحن عليه - فنكفيكه) ...

فقال لهم أبو طالب: (بفيكم الحجر، والله لا أسلمه إليكم أبداً...) ^(١).

وتعود قريش إلى أبي طالب مرة ثانية، وها هم عنده، وكان فيهم أشراف قريش، ومنهم، عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة، وأبو سفيان، وأبو جهل بن هشام، فقالوا لأبي طالب:

(يا أبا طالب، إنك منا حيث قد علمت، وقد حضرك ما ترى، وتخوفنا عليك، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك، فادعه فخذ له منا، وخذلنا منه، ليكف عننا، ونكشف عنه، وليردنا وديتنا، وندفعه ودينه) .. ^(٢)

وهنا أرسل أبو طالب ولده عقيلاً بطلبه، فجاءه محمد «صلى الله عليه وآله» فقال له أبو طالب:

(يا ابن أخي، هؤلاء أشراف قومك، قد اجتمعوا لك، ليعطوك

(١) منية الراغب في إسلام أبي طالب، ص ١٣٦ الآية الله الشيخ محمد رضا الطبي.

(٢) نفس المصدر، ص ٩١.

وليأخذوا منك - فقال محمد «صلى الله عليه وآله»:
نعم أعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب، وتدين بها لكم العجم،
فقال أبو جهل، نعم، وابيك، عشر كلمات..
قال محمد «صلى الله عليه وآله»: تقولون لا إله الا الله، وتخليعون ما
تعبدون من دونه.

فصفقوا بآيديهم ثم قالوا: أتريد يا محمد أن تجعل الآلة إلهاً واحداً؟ إن
أمرك لعجب !

ثم قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما
تريدون فانطلقا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه، ثم
تفرقوا^(١).

٢. لو وضعوا الشمس في يميني:

وهنا طرحت قريش التذمر والشكوى جانبًا، وعزمت على التشدد في
مواجهة محمد «صلى الله عليه وآله» ومواجهة عمه أبي طالب، فلجاجات الى
التهديد والوعيد، وأنذررت أبا طالب بحرب لا هوادة فيها، حتى يهلك أحد
الفريقين.. فجأواه قائلين:

(يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا - وإننا قد استنهيناك من ابن
 أخيك، فلم تنهه عننا، وإنما والله! لا نصبر على هذا، من شتم آبائنا وتضليلهم
وتسييه أحلامنا، وعيّب آهتنا، حتى تكتفه عننا، أو ننازله واياك في ذلك،

(١) المصدر السابق، ص ٩١ - ٩٢.

حتى يهلك أحد الفريقين)^{١١}.

وهنا رأى أبو طالب أن الحكمة تقتضي الحذر والتروي، فلا بأس من المداورة والسياسة، والابتعاد عن التشنج في المواقف، وتأزيم الأمور فلا تذهب إلى ما لا تحمد عقباه، وليستمر المدوء سيد الموقف، فخاطب ابن أخيه قائلاً:

(إن قومك، قالوا لي كذا وكذا، وذكر له مقالتهم - وقد أراد أن يعرف عزيمة ابن أخيه ومدى تصميمه - فأردف قائلاً: فأبقي عليَّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق).

وهنا - وقد أدرك رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ما اراده عمه من هذا الموقف، وهذا القول... فما كان من محمد «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» الا أن قال وبعزيمة المؤمن القوي:

(يا عمه، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري، على أن
أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك دونه ما تركته) ^(٢) ..

ثم استعبر وقام من مجلسه، واستدار يريد الذهاب، وعندما رأى أبو طالب أن ابن أخيه حازم في تصميمه على السير بالدعوة حتى النهاية، أبى هو الآخر الا أن يستمر في حاليه ونصرته، حتى يظهر الله أمره، أو يهلك دونه - كيف لا؟! وهو الذي اختارته السماء لكفالته وحاليه ونصرته - فقال لابن أخيه وبلهجة تفيض رقة وحناناً، وتضجع عزماً وعنفواناً وقوه إرادة:

(١) مؤمن قريش، ص ١٤٩ - للختيري.

(٢) الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج ٣، ص ٨٣. للعلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملی - ط الثالثة دار السیرة.

أقبل يا ابن أخي !

فأقبل عليه، فقال له: (إذهب يا ابن أخي ! فقل ما أحببت، فوالله لا
أسلمك لشيء أبداً) ^(١).

ثم أنشأ يقول:

حتى أغيب في التراب دفينا
وأبشر بذلك وقر منك عيونا
ولقد دعوت وكنت ثم أمينا
من خير أديان البرية دينا ^(٢)

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
فاصدعا بأمرك ما عليك عضاضة
ودعوتنى وعلمت أنك ناصحي
ولقد علمت بأن دين محمد

وقد زاد بعضهم بيتأ على هذه الأبيات، القرطبي، وابن كثير في تاريخه،
ولغاية في نفس يعقوب:

لولا الملامة أو حذاري سبة لوجدتني سمحاً بذلك مبينا
وإذا نظرنا إلى هذا البيت، نرى فرقاً كبيراً بينه وبين ما سبقه من أبيات،
سواء في الأداء الفني والقوة الشعرية أو الانسجام..

وقد اعتبره السيد أحمد زيني دحلان، مدخولاً في شعر أبي طالب فقد
قال في أنسى المطالب ص ١٤: ان هذا البيت موضوع أدخلوه في شعر أبي
طالب وليس من كلامه ^(٣) ..

ثم لو أنها افترضنا أو سلمنا جدلاً أنه من نظم أبي طالب.. فإن أخشى

(١) الغدير، ج ٧، ص ٤٠٠. وفي أبو طالب مؤمن قريش ص ١٥٠.

(٢) الغدير ج ٧، ص ٣٧٤. وفي مؤمن قريش ص ١٥٠ - ١٥١.

(٣) الغدير ج ٧، ص ٣٧٣، مستنداً من أنسى المطالب، ص ١٤.

ما يخشاه كان: العار والسبة - فيها لو أظهر إيمانه - حتى لا تهتز صورته في قريش أو تهبط منزلته، فتصعب عليه عندها نصرة الرسول «صلى الله عليه وآله».. وهذا ما منعه من إظهار ما يكتم من إيمان بنبوة محمد «صلى الله عليه وآله»، وصدق دعوته، والا فما معنى قوله: لوجدتني سمحاً بذلك مبينا؟!.. وهذا يعني أنه يبطن الإيمان في قلبه ويمنعه من إبانته، أي إظهاره^(١) الخوف من الملامة والسبة - ولو كان غير ذلك، لكان هناك تهافت بينه، وبين البيت الذي سبقه والذي يؤكد فيه على أن دين محمد «صلى الله عليه وآله» من خير أديان البرية ديناً، وكذلك بينه وبين الآيات الأخرى أيضاً، حيث نراه يأمر محمداً «صلى الله عليه وآله» بمواصلة دعوته، ويعده بالبشر، وقرة العين، بحرايته ونصرته:

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر بذلك وقرّ منك عيونا
وبعد هذه المواقف الواضحة والمتركرة من أبي طالب، والتي يؤكد فيها عزمه على منع محمد «صلى الله عليه وآله» من قريش وكيدها ويطشهها، مصرأً على حمايته ونصرته حتى لو اضطر إلى الدخول معها في حرب لا تبقى ولا تذر وتأتي على الكبير والصغير، وقد وصل به الأمر حدّاً أن أمره بمواصلة دعوته حتى النهاية، واعداً إياه بالحماية والنصر... أبعد هذه المواقف يشكك في إيمان أبي طالب؟!...

(١) أبان، في اللغة: أظهر وأوضّح.

٣ - قريش تعارض أبي طالب:

واغتاظت قريش من موقف أبي طالب هذا، ووُقعت في حيرة من أمرها، فلا السكوت ولا التغاضي أوقف محمدًا «صلى الله عليه وآله» عن نشر دعوته، وعيّب آهاتهم، وتضليل آبائهم، ولا التهديد ولا الوعيد أخاف أبي طالب ومنعه عن حماية محمد «صلى الله عليه وآله» ونصرته...

وهنا، أرادوا تغيير تعاملهم مع أبي طالب، فلجأوا إلى أسلوب آخر، فلعل وعسى... واختاروا أسلوب المقايسة... رجلاً برجل... فمشوا إليه قائلين: يا أبي طالب (هذا عماره بن الوليد، أشهر فتى في قريش وأجمله وأشعره، فخذه، فلك عقله ونصرته، واتخذه ولدًا، فهو لك.. وأسلم إلينا ابن أخيك، هذا الذي قد خالفك دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك،
وسفه أحلامهم، فنقتله، فإنها هو رجل برجل^(١) ...

وأمام سخافة القوم، وفجاجة رأيهم، وقولهم المضحك، انتفض أبو طالب.. وبلهجة هادئة ساخرة قال: والله لبس ما تسوموني ! أتعطونني إينكم، أغذوه لكم ! وأعطيكم إبني تقتلونه؟!.. هذا والله - ما لا يكون أبداً^(٢) ..

عندما تدخل المطعم بن عدي بن نوفل، وهو حليف لأبي طالب، فقال: والله يا أبي طالب ! لقد أنصفتك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه، فما أراك ت يريد أن تقبل منهم شيئاً^(٣) ...

(١) الغدير ج ٧ ص ٤٠١، مؤمن قريش ص ١٥٥.

(٢) المصدران السابقان، الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، ج ٣، ص ٨٣.

(٣) المصدران السابقان، الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، ج ٣، ص ٨٣.

فرد عليه أبو طالب: والله ما أنسفوني...! ولكن قد أجمعت خذلاني،
ومظاولة القوم على، فاصنع ما بدا لك^(١) ...

واحتمد الموقف وتصاعد، فتنابذ القوم، وبادي بعضهم بعضاً، وارتفع
صوت أبي طالب بقصيدة عرض فيها بالمطعم بن عدي، وعم بها من
خذله من عبد مناف، ومن ناصبه العداء من قريش، ذاكراً ما سأله وما
تباعد من أمرهم:

الآليت حظي من حياطنكم بـ^(٢)
يرش على الساقين من بوله قطر^(٣)
إذا ما علا الفيفاء^(٤) قيل له: وبر^(٥)
إذا سئلا قالا: إلى غيرنا الأمر^(٦)
كما جرجمت من رأس ذي علق صخر^(٧)

الأقل لعمرو والوليد ومطعم^(٨)
من الخور حجحاب^(٩) كبيرة رغافه^(١٠)
تخلف خلف الورد ليس بلا حق^(١١)
أرى أخوينا من أبيينا وأمنا^(١٢)
بلى لها أمر ولكن تجرجا^(١٣)

(١) الغدير ج ٧ - ص ٤٠١، مؤمن قريش، ص ١٥٦، وفي الصحيح من سيرة النبي

الأعظم (ص) ج ٣، ص ٨٤.

(٢) البكر: الفتى من الآبل.

(٣) الخور: الضعف.

(٤) حجحاب: القصير - الدميم - الشيء.

(٥) الفيفاء: الأرض القفر ولا ماء فيها.

(٦) وبر: دويبة تشبه الهر وتدايه في الحجم.

(٧) تجرجم: سقط وانحدر.

(٨) ذو علق: جبل في دياربني أسد.

ها نبذان مثل ما ينبد الجمر
 فقد أصبحوا منهم أكفها صفر^(١)
 من الناس إلا أن يرس له ذكر^(٢)
 وكانوا لنا مولى إذا بني النصر
 ولا منهم ما كان من نسلنا شفر^(٣)
 وكانوا كجفر بنس ما صنعت جفر
 إله العباد واصطفانا له الفخر
 لأهل العلي فبینهم أبدا وتر^(٤)
 إلى علجة زرقاء حال بها السحر^(٥)

أخص خصوصا عبد شمس ونوفلا
 هما أغمز اللقوم في أخويها
 هما أشركا في المجد من لا أبا له
 وتسم وخزوم وزهرة منهم
 فوالله لا تنفك منا عداوة
 فقد سفهت أحلامهم وعقولهم
 وما ذاك إلا سؤدد خصنا به
 رجال تمالوا حاسدين وبغضة
 تر وليد^(٦) أبوه كان عبدا لجدنا

(١) خالي الوفاض

(٢) رأس الحديث : حدث به سرا.

(٣) شفر : أحد : ما في الدار شفر : ما فيها أحد.

(٤) أراد الوليد بن المغيرة في هذا البيت، وقد كان من المستهزئين بالرسول «ص» وقد
 مشى في جماعة من قريش إلى أبي طالب بشأن محمد «ص»، وكان يسمى الوحيد،
 وهو الذي نزل فيه قوله تعالى: (ذرني ومن خلقت وحيدا)، جاء ذلك في الغدير،
 ج ٧، ص ٤٠٢، هامش ٣، مسندًا إلى تفسير البيضاوي، ج ٢، ص ٥٦٢ وتاريخ
 ابن كثير ج ٤، ص ٤٤٣، وتفسير الخازن ج ٤، ص ٣٤.

(٥) الغدير ج ٧، ص ٤٠١ - ٤٠٢، ومؤمن قريش، ص ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨، كما
 وردت هذه القصيدة في : ماذا في التاريخ م: ١٦: ص ٢٤٥ - ٢٤٦ ولكن من دون
 البيتين الثاني والثالث.

أخذت قريش تعمل على مضايقة النبي محمد «صلى الله عليه وآلها» وتکيد له، وتحين الفرص لاغتياله ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً..

وحدث مرة أن مرّ الرسول «صلى الله عليه وآلها» بجماعة من قريش، وهو في طريقه إلى الكعبة يريد الصلاة، وكانوا قد نحرروا جزوراً، ولم يسلم عليهم، فقال أبو جهل لعنه الله - وكان الرسول قد دخل في الصلاة - من يفسد عليه صلاته..؟

قال ابن الزبوري: أنا أفعل.. وقام وأخذ فرثاً ودماء وألقاه.. على الرسول «صلى الله عليه وآلها»، فلطخ به ثيابه ووجهه.. فانصرف النبي «صلى الله عليه وآلها» حزيناً، كثيماً، وأتى عمه أبا طالب، وقال يسأله: من أنا...؟ فقال أبو طالب: ولم يا ابن أخي..؟!..

قال: ألا ترى يا عم ما فعل بي؟!..

قال له: ومن فعل بك ذلك...؟

فجكى له ما حدث...
فسألة: وأين تركتهم؟...
قال: في الأبطح...
فنادى شيخ الأبطح قومه: يا آل هاشم، يا آل عبد المطلب، يا آل عبد مناف، خذوا أسلحتكم، واستل سيفه، وتوجه نحو القوم، وما أن رأوه مقللاً شاهراً سيفه حتى جعلوا ينهضون، فقال لهم: والله، لئن قام أحد من مكانه جللتني بسيفي، ثم قال: يا محمد... من فعل بك هذا؟...
قال النبي «صلى الله عليه وآلها»: عبدالله بن الزبوري...
فدعاه أبو طالب فوجأ أنفه، ثم أخذ فرثاً ودماء فلطخ به وجوه القوم

ولحاظهم ورؤوسهم، وأساء لهم القول، ثم قال: (يا ابن أخي، أرضيت..؟).
قد سألت: من أنت؟ ...

أنت محمد بن عبدالله، وذكر النسب، ثم قال: أنت والله أشرف منهم حسباً، وأرفعهم منصباً، يا معاشر قريش، من شاء منكم أن يتحرك فليفعل.. أنا الذي تعرفونني^(١) ثم أنشأ يقول:

قرم أغرس مسود	أنت النبي محمد
كرموا وطاب المولد	لمسودين أطائب
عمرو والخضم الأوحد	نعم الأرومة أصلها
ن وعيش مكة آنكد ^(٤)	هشم ^(٢) الريكة في الجفا ^(٣)
فيها الخبيرة تشد	فجرت بذلك سنة
بها يهاث العنجد ^(٥)	ولنا السقاية للحجيج

(١) شيخ الأبطح، ص ٣٨ - وقد ذكرت هذه الحادثة في منية الراغب في إيهان أبي طالب، بالفاظ ثلاثة. ص ١٣٩ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ وذكرت في الغدير ج ٧، ص ٣٩٩ - ٤٠٠، وفي مؤمن قريش، ص ١٦٣ - ١٦٤.

(٢) هشم: كسر، يقال هشم التريد: كسر الخبز وفته، التريد: المرق. الريكة: الزبدة عزوّجة باللبن.

(٣) الجفان: جمع جفنة، القصعة الكبيرة.

(٤) المازمان: مضيق بين جمع وعرفة، وبين مكة ومنى وهو شعب بين جبلين.

(٥) العنجد - الزبيب ذو اللون الأسود.

عرفاتها والمسجد^(١)
 وأنا الشجاع العربد^(٢)
 فيها نجيع أسود
 أسد العربين توقن
 في القول لا يترى
 وانت طفل امرد^(٣)

والمأذمان وما حوت
 أني تضام ولم أمت
 وبطاح مكة لا يرى
 وبنوا بيك كأنهم
 ولقد عهدتك صادقا
 ما زلت تنطق بالصواب

ثم أنشد أبو طالب يمدح قومه لما رأه من قيامهم معه ووقفهم إلى
 جانبـه وحدهـم عليهـ، ويـفاخـرـ بهـمـ، ذاـكـراـ فـضـلـ رسـوـلـ اللهـ «صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ
 وـآلـهـ» فـيـهـمـ وـمـكـانـهـ مـنـهـمـ لـيـجـمـعـواـ رـأـيـهـمـ «صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ
 وـآلـهـ» وـيـشـدـواـ أـزـرـهـ مـعـهـ، فـقـالـ:

فـعـبـدـ مـنـافـ سـرـهاـ وـصـمـيمـهاـ^(٤)
 فـقـيـ هـاشـمـ أـشـرافـهاـ وـقـدـيمـهاـ
 هـوـ الـمـسـطـفـيـ مـنـ سـرـهاـ وـكـرـيمـهاـ

إـذـاـ اـجـتـمـعـتـ يـوـمـاـ قـرـيـشـ لـفـخرـ
 فـإـنـ حـصـلـتـ أـشـرافـ عـبـدـ مـنـافـهاـ
 وـإـنـ فـخـرـتـ يـوـمـاـ فـإـنـ مـحـمـداـ

(١) أنكـدـ: عـسـيرـ

(٢) العـربـدـ: الـقـويـ مـنـ كـلـ شـيـءـ، ذـكـرـ الـأـفـاعـيـ.

(٣) شـيـخـ الـأـبـطـحـ، صـ ٣٨ـ - وـوـرـدـتـ هـذـهـ الـقـصـيـدةـ فـيـ الـغـدـيرـ جـ ٧ـ، صـ ٣٧٦ـ - وـفـيـ
 شـرـحـ النـهـجـ لـابـنـ أـبـيـ الـحـدـيدـ جـ ٧ـ، صـ ٢٧١ـ.

(٤) سـرـهاـ وـصـمـيمـهاـ: خـالـصـهاـ وـكـرـيمـهاـ، فـلـانـ مـنـ سـرـ قـوـمـهـ اـيـ مـنـ خـيـارـهـ وـلـبـاـهـمـ
 وـأـشـرافـهـ.

علينا فلم تظفر وطاشت حلومها^(١)
 إذا ما ثنا صعر الخدود نقيمها^(٢)
 ونضرب عن أحجارها من يروها
 بأكناها تندى وتنمى أروها^(٣)

تدعت قريش غثها وسمينها
 وكنا قد بعثنا نقر ظلامة
 ونحصي حماها كل يوم كريهة
 بنا انتعش العود الذواء وإنها

٤. أبو طالب يفقد الرسول:

وفعلت مواقف أبي طالب الجريئة، فعلها في قريش، وبدل أن ترهبه
 قريش، أرهبها وكبح جماحها، ومنعها وبالقوة من تنفيذ ما كانت تضمره
 من قتل النبي محمد «صلى الله عليه وآله»، وتعمل عليه.. فقد بدأها بالهجوم
 قبل أن تبدأه..

واشتد حرص أبي طالب على الرسول محمد «صلى الله عليه وآله»،
 فأصبح أكثر حذراً وحيطة عليه، ومراقبة له..

وافتقده ذات مرة فلم يجد، وبحث عنه كثيراً، ولكن دون جدوى،
 وأخذ منه القلق مأخذاً واشتد به الخوف على ابن أخيه، وكان كلما مضى
 وقت لم يجد فيه حمداً «صلى الله عليه وآله» تصاعد خوفه..

وها قد جاء المساء وأصبح الصباح أيضاً، ومحمد لم يعد فازداد حزنه

(١) طاشت حلومها : ذهبت عقوها.

(٢) ثنا : عطفوا - صعر : جمع أصعر يقال صعر خده أي أماله إلى جهة كما يفعل
المتكبر.

(٣) الذواء : اليابس - الأكنا : جمع كتف : ناحية الأرومة : الأصل.
وردت هذه القصيدة في مؤمن قريش، ص ١٥٩.

وخشيته من أن تكون قريش قد فعلت فعلتها، ونفذت رغبتها فقتلتة، فدعا إليه فتيان قومه، من بنى هاشم والمطلب، وأخبرهم أنه قد فقد محمدًا «صلى الله عليه وآلـه» في أمسه ويومه هذا، وطلب منهم أن يخبيء كل منهم سكيناً تحت ثوبه وأمرهم أن يجلس كل واحد منهم إلى جانب سيد من سادات قريش، بعد أن أوصاهم قائلاً: إن عدت ومعي محمد فلا يحدثن أحد منكم أمراً وإن عدت من دونه فليضرب كل واحد منكم الرجل الذي بجانبه من سادات قريش، حتى ولو كان هاشميًّا.. وبدون أمر مني...»

وانطلق، ومعه بعض من قومه ليبحثوا عن محمد «صلى الله عليه وآلـه»، فوجدوه قائماً يصلٍ بجنب صخرة في أسفل مكة، فانكب عليه يقبله بلهفة شديدة، ثم جاء به قريشاً وهم في ناديهم عند الكعبة، ووقف عليهم، والغضب يعلو وجهه المتجمهم، وقال لفتياه: أبرزوا ما في أيديكم.... ولما رأت قريش السكاكين دهشوا وقالوا: ما هذا يا أبا طالب...؟!

قال: ما ترون؟.. وأخبرهم أمره، وما كان قد عزم عليه، فأسقط في أيديهم، وقالوا وقد علا وجوههم الانكسار والخوف:
وهل كنت فاعلاً؟!

قال: (إي ورب هذه وأمى إلى الكعبة) ^(١).

ثم أنشد شعراً، أثني فيه على النبي محمد «صلى الله عليه وآلـه»، ومدحه، وهاجم قريشاً، وذمها، وأكد أنه سيقى له الحامي والنصير ما دام

(١) وردت هذه الحادثة في الغدير ج ٧، بالألفاظ ثلاثة: ص ٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٢ ووردت في مؤمن قريش ص : ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ وفي منية الراغب في ايمان أبي طالب: ص ١٤٠ - ١٣٩ . مع بعض الاختلاف في الصياغة، فيما بينها.

حيَا، ومهما جرَّت عليه الدواهي:
 ألا أبلغ قريشاً حيث حلَّت
 فلاني والضوابع غاديبات
 لآل محمد راع حفبيظ
 فلست بقاطع رحبي وولدي
 أيأمر جمعهم أبناء فهر
 فلا وأبيك لا ظفرت قريش
 بنى أخي ونوط القلب مني
 ويشرب بعده الولدان ريا
 أيا ابن الانف أنف بني قصي
 وكل سراير منها غرور
 وما تسلو السفافرة الشهور^(١)
 وود الصدر مني والضمير
 ولو جرت مظلماها الجزور
 بقتل محمد والأمر زور؟
 ولا لقيت رشاداً إذ تشير
 وأبيض مأوه غدق كثير
 وأحمد قد تضمنه القبور
 كأن جبينك القمر المنير^(٢)

٥ - أبو طالب يشمل أنصار الرسول بحمايته:

ولم تقتصر حماية أبي طالب على شخص الرسول «صلى الله عليه وآله» فقط، ولا هو حصر نصرته في نطاق ضيق أو معين، وإنما وسع دائرةها وجعلها بامتداد الرسالة ذاتها، فشمل بها أنصار النبي محمد «صلى الله عليه وآله»، أيضاً، وكل من آمن برسالته، فنراه ينتصر لعثمان بن مظعون، عندما عذبه قريش، واقتلت إحدى عينيه، وذلك لأنَّه آمن بـ النبي محمد «صلى الله عليه وآله»،

(١) السفارة، جمع سفير، وهو القيم بالأمر، وقد أراد بها أصحاب الأسفار - الكتب - الشهور: جمع شهر : العالم.

(٢) وردت هذه القصيدة في الغدير ج ٧ - ص ٣٩٠ - وفي مؤمن قريش ص ١٦١ - ١٦٢ - وفي منية الراغب، ص: ١٤٠.

الله عليه وآلـه» ورسالته، ويغضب أبو طالب، ويتهـدـد فريشاً ويتـوعـدهـا،
ويرـفـضـ الـديـةـ منهاـ، مـصـراـ علىـ تـنـفيـذـ مـبـداـ العـيـنـ بالـعـيـنـ والـسـنـ بالـسـنـ،
فيـقـتـلـ عـيـنـ منـ اـقـتـلـ عـيـنـ ابنـ مـظـعـونـ وـيـنـشـدـ مـهـدـداـ متـوـعدـاـ فيـقـولـ:

أـصـبـحـتـ مـكـتـبـاـ تـبـكـيـ كـمـحـزـونـ
يـغـشـونـ بـالـظـلـمـ مـنـ يـدـعـوـ إـلـىـ الدـيـنـ
إـنـاـ غـضـبـنـاـ لـعـشـانـ بـنـ مـظـعـونـ^(١)
بـكـلـ مـطـرـدـ فـيـ الـكـفـ مـسـنـونـ
يـشـفـيـ بـهـاـ الدـاءـ مـنـ هـامـ المـجـانـينـ
بـعـدـ الصـعـوبـةـ بـالـأـسـاحـ وـالـلـيـنـ
عـلـىـ نـبـيـ كـمـوـسـىـ أـوـ كـذـيـ النـوـنـ^(٢)

إـنـهـ التـصـرـيـحـ النـابـضـ بـالـيـانـ - وـهـلـ هـنـاكـ أـوـضـعـ قـوـلـاـ مـنـ هـذـاـ
الـقـوـلـ؟ـ!ـ اوـ اـعـتـرـافـاـ بـنـبـوـةـ مـحـمـدـ «صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـلـهـ»ـ!ـ...ـ وـإـنـهاـ أـيـضاـ -
الـمـعـرـفـةـ بـالـأـدـيـانـ التـيـ سـبـقـتـ، وـالـاعـتـرـافـ بـهـاـ وـبـالـأـنـبـيـاءـ الـذـيـنـ سـبـقـواـ
وـالـكـتـبـ التـيـ جـاؤـواـ بـهـاـ مـنـ لـدـنـ عـلـيـمـ حـكـيمـ:

أـمـ تـذـكـرـ دـهـرـ غـيرـ مـأـمـونـ
أـمـ مـنـ تـذـكـرـ أـقـوـامـ ذـوـيـ سـفـهـ
أـلـاـ تـرـوـنـ أـذـلـ اللـهـ جـمـعـكـمـ
وـنـمـنـعـ الـضـيـمـ مـنـ يـبـغـيـ مـضـيـمـتـناـ
وـمـرـهـفـاتـ كـأـنـ الـلـحـ خـالـطـهـاـ
حـتـىـ تـقـرـ رـجـالـ لـاـ حـلـومـ لـهـ
أـوـ تـؤـمـنـواـ بـكـتـابـ مـنـزـلـ عـجـبـ

(١) عـشـانـ بـنـ مـظـعـونـ: صـحـابـيـ، كـانـ مـنـ حـكـماءـ الـعـربـ فـيـ الـجـاهـلـيـةـ، بـحـرـمـ الـخـمـرـ، أـسـلـمـ
بـعـدـ ثـلـاثـةـ عـشـرـ رـجـلـاـ، وـهـوـ أـوـلـ مـنـ مـاتـ فـيـ الـمـدـيـنـةـ مـنـ الـمـهـاجـرـينـ كـانـ ذـلـكـ سـنـةـ
٢ـ هـ: عـنـ شـرـحـ النـهـجـ جـ٧ـ - صـ٢٦٨ـ - هـامـشـ ١ـ.

(٢) مـاـذـاـ فـيـ التـارـيـخـ مـ:١٦ـ، ٢٥ـ - وـمـؤـمـنـ قـرـيـشـ، صـ١٦٨ـ، وـالـغـدـيرـ جـ٧ـ، صـ٣٧٥ـ -
وـفـيـ شـرـحـ النـهـجـ، جـ٧ـ، صـ٢٦٨ـ.

أوتؤمنوا بكتاب منزل عجب على نبي - كموسى أو كذبي النون^(١)

وهذا إن دل على شيء، فهو يدل دلالة واضحة على أن أبا طالب كان عارفاً بالكتب السماوية أو قارئاً لها، مطلعاً على نبوة محمد «صلى الله عليه وآله» قبل ظهورها، وأنه مؤمن بها فعلاً، من الكتب السماوية التي سبقت وبشرت به... وهو يصف القرآن الكريم كما وصف القرآن ذاته: عجب – فقد وردت هذه الصفة في القرآن الحكيم في سورة الجن.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا..﴾^(٢).

كما ويؤكد أنه يؤمن بأن القرآن متزل من السماء، من عند الله اللطيف الخبير، فالانزال يكون من الأعلى - من السماء أوتؤمنوا بكتاب منزل عجب... وما هو بقول ساحر او مجنون، ونراه أيضاً يجير أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي - وقد عذبه قريش - عندما استجار به من قريش وظلمها، عندها شكلت قبيلة مخزوم وفداً وأرسلته إلى أبي طالب - فجاءه الوفد قائلاً: يا أبي طالب! هب أنك منعت منا ابن أخيك محمدآ.. فيما بالك ولصاحبنا تمنعه منا؟!..

فأجابهم: إنه استجار بي، وهو ابن خالي - كانت أم أبي طالب مخزومية - وإن أنا لم أمنع ابن خالي، لم أمنع ابن أخي^(٣) واحتدم الموقف، وارتقت

(١) ذو النون: النبي يونس.

(٢) القرآن الكريم، سورة الجن، آية رقم ١.

(٣) مؤمن قريش، ص ١٦٩.

(٤) مؤمن قريش، ص ١٧٠، وقد ورد: إنه ابن أخي، فصححتها إلى: ابن خالي.

الأصوات.. وخوفاً من الفتنة، عاد الوفد يجر أذيال الخيبة، مغلوباً على أمره..

واستمر أبو طالب «عليه السلام» يسطر في كل يوم، مواقف بطولية، ويرسم لوحات إيهانية مشرقة، باذلاً النفس والمال والولد، في سبيل نصرة رسول الإنسانية والرحمة، وحماية رسالته ومؤيديه لا يثنى عن ذلك خوف أو قطيعة أو حصار..

الفصل الخامس:

الصحيفة والعصر

- ١ - الحرب الباردة (المؤامرة)
- ٢ - حمبة الدين لا حمية القرابة
- ٣ - محمد نبي كموسى
- ٤ - الأرضة تأكل الصحيفة
- ٥ - المؤمن الموقن المطمئن

١ - الحرب الباردة (المؤامرة):

أدركت قريش أنها لن تصل إلى النبي محمد «صلى الله عليه وآلـه» بسوء طالما أن عمه أبي طالب على قيد الحياة.. وأفـضـل مضمـعـها كثـرـةـ أـنـصـارـهـ، وسرـعـةـ اـنـتـشـارـ رسـالـتـهـ، بـعـدـ أنـ لـاقـتـ صـدـىـ حـسـنـاـ وـتـجـاـوـبـاـ فيـ مـخـتـلـفـ الـبـلـادـ، فـاعـتـنـقـهاـ الـكـثـيرـ منـ مـخـتـلـفـ الـطـبـقـاتـ وـالـقـبـائـلـ، وـأـسـقـطـ فيـ يـدـ الـقـرـشـيـنـ، وـضـاقـتـ بـهـمـ السـبـيلـ، فـقـدـ فـشـلتـ كـلـ الـأـسـالـيـبـ التـيـ اـتـبـعـهـاـ، وـأـخـفـقـتـ كـلـ الـمـوـاـقـفـ التـيـ وـقـفـهـاـ فـيـ وـجـهـ مـحـمـدـ «ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ»ـ وـعـمـهـ أـبـيـ طـالـبـ، دـلـكـ الجـبـلـ الـمـنـيـعـ.. فـلـاـ الـلـيـنـ وـلـاـ التـهـديـدـ وـلـاـ الـوعـيـدـ أوـ الـانـذـارـ بـالـحـربـ، وـلـاـ تـعـذـيبـ الـأـنـصـارـ، أـفـلـحـ فـيـ وـقـفـ النـبـيـ مـحـمـدـ «ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ»ـ عـنـ دـعـوـتـهـ، أـوـ اـقـنـاعـ أـبـيـ طـالـبـ، وـمـنـعـهـ عـنـ نـصـرـتـهـ، فـمـاـ الـعـلـمـ يـأـتـىـ؟ـ..ـ

اجتمعوا، وتداوـلـواـ فـيـ الـأـمـرـ كـثـيرـاـ، ليـكـيـدـواـ الـنـبـيـ مـحـمـدـ «ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ»ـ وـلـحـامـيـهـ وـحـارـسـهـ، فـأـجـمـعـواـ أـمـرـهـمـ فـيـمـاـ بـيـنـهـمـ عـلـىـ مـكـيـدـةـ خـيـثـةـ، رـأـواـ فـيـهـاـ أـنـهـ سـتـوـصـلـهـمـ إـلـىـ هـدـفـهـمـ بـالـقـضـاءـ عـلـىـ النـبـيـ مـحـمـدـ «ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ»ـ وـعـلـىـ دـعـوـتـهـ...ـ

إنـاـ الحـربـ الـبـارـدـةـ...ـ وـلـكـنـهاـ قـاتـلـةـ، إـنـاـ حـربـ المـوتـ الـبـطـيـءـ...ـ حـربـ توـفـرـ عـلـيـهـمـ سـقـوـطـ الضـحـايـاـ مـنـهـمـ، كـمـاـ الـخـسـائـرـ الـمـادـيـةـ...ـ إـنـاـ الحـصـارـ،ـ حـصـارـ اـقـتصـاديـ وـاجـتمـاعـيـ -ـ يـفـرـضـونـهـ عـلـىـ النـبـيـ مـحـمـدـ «ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ

وآله» وعلى عمه وعشيرته من بني هاشم وعبد مناف وعبد المطلب، والأنصار، ويضيقون عليهم الخناق... فلا تجارة ولا تبادل، ولا زواج ولا تزوج فيها بينهم أبداً.. فاما الملائكة الموت جوعاً، أو تسليم النبي محمد «صلى الله عليه وآلـه» إليهم ليقتلوه، وبذلك يوفرون على أنفسهم مشقة الحرب، ويحفظون أرواحهم من سيف أبي طالب، وسيوف بني هاشم، فالخاسر هنا هو العدو المحاصر، ولا مسؤولية في ذلك على أحد... هكذا سولت لهم أنفسهم، وأوحـت لهم أفكارـهم، فتعاهدوا على ان يكتـروا صحيحة، اتفقـوا فيها: أن يكونـوا يـداً واحدـة على بـني هـاشـم والمـطلـب وـعـبدـ منـافـ وأنـ يـكونـوا حـربـاً عـلـيـهـمـ، فـلاـ يـهـادـنـوهـمـ، وـلاـ يـناـكـحـونـهـمـ، وـلاـ يـبـعـونـ إليـهـمـ وـلاـ يـبـتـاعـونـ منـهـمـ، وـلاـ يـقـبـلـونـ منـهـمـ صـلـحـاً أـبـداًـ، حتـىـ يـسـتـسـلـمـواـهـمـ ويـسـلـمـواـإـلـيـهـمـ مـحـمـداًـ «صلـىـالـلـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ»ـ، وـيـخـلـوـاـ بـيـنـهـمـ وـبـيـنـهـ يـفـعـلـونـ بهـ ماـ يـرـيدـونـ وـخـتـمـواـ الصـحـيـفـةـ باـختـاتـمـهـمـ، وـجـعـلـوـاـ نـسـخـةـ مـنـهـاـ مـعـلـقـةـ فـيـ الـكـعـبـةـ، بـعـدـ أـنـ تـعـاهـدـواـ عـلـىـ تـنـفـيـذـ جـمـيعـ بـنـوـهـاـ...ـ وـكـانـ ذـلـكـ فـيـ الـأـوـلـ مـنـ الـمـحـرـمـ، مـنـ السـنـةـ السـابـعـةـ لـلـبـعـثـةـ النـبـوـيـةـ، وـقـدـ وـقـعـ عـلـيـهـاـ أـرـبـعـونـ رـجـلـاًـ^(١)ـ.ـ وـعـلـمـ أـبـوـ طـالـبـ بـهاـ عـزـمتـ عـلـيـهـ قـرـيـشـ مـنـ قـطـيـعـةـ، بـعـدـ أـنـ بـلـغـهـ أـمـرـ الصـحـيـفـةـ، فـحـذـرـهـاـ مـنـ مـغـبةـ هـذـاـ الـحـصـارـ وـهـذـهـ الـمـقـاطـعـةـ، وـأـنـذـرـهـاـ بـهاـ سـيـنـاـهـاـ مـنـ وـبـالـ وـخـسـرـانـ وـأـنـ السـحـرـ سـيـنـقـلـبـ عـلـىـ صـاحـبـهـ، وـأـنـشـدـ يـقـولـ:

أـلـ تـعـلـمـواـ أـنـ القـطـيـعـةـ مـأـثمـ	وـأـمـرـ بـلـاءـ، قـاتـمـ غـيرـ حـازـمـ؟ـ!
وـأـنـ سـبـيلـ الرـشـدـ يـعـلـمـ فـيـ غـدـ	لـاـ تـبـعـمـواـ أـمـرـ الغـواـةـ الـأـشـائـمـ
فـلـاـ تـسـفـهـنـ أـحـلـامـكـمـ فـيـ مـحـمـدـ	

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلـىـالـلـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ»ـ، جـ٣ـ، صـ196ـ.

أمانكم هذى - كأحلام نائم
 ولما تروا قطف اللحى والغلاصم^(١)
 ولما نقا ذاف دونه وتزاحم
 تمكّن في الفرعين من آك هاشم
 بخاتم رب، قاهر في الخواتم
 وما جا حل في قومه مثل عالم
 ومن قال: لا.. يقرع بها سن نادم^(٢)

ثمنيتكم أن تقتلواه وإنما
 وأنكم - والله - لا تقتلونه
 زعمتم بأنّا مسلمون محمداً
 من القوم مفضال على العدى
 أمين، حبيب في العباد مسوم
 يرى الناس برهاناً عليه وهيبة
 نبي أتاه الوحي من عند ربه

هكذا يتدرج أبو طالب باسلوبه الشعري، في مخاطبته لقريش، ومقارعته لها، والوقوف بوجهها، فتفعل كلّمته فعلها في النفوس... تأنيب فترهيب، ثم تهديد بحرب لا هوادة فيها، حرب تطیح فيها الرؤوس، وتقطع الأرحام، وتنسى الخليلة حليلها من شدة الخوف، ثم يفصح عن سره المكتون بأسلوب واضح وصريح، لا لبس فيه... فمحمد عندهنبي، جاء يدعو إلى الهدى والرشاد، أرسله رب العباد، ذو العرش القيوم، وأن نبياً كمثله لا يسلم إلى الكفرة الفجرة، بل هو أحق بالاحترام والاتباع، وبالاعتزاز والتكرير... فرسالته رسالة السماء وأمره الذي جاء به، إنها هو أمر ذي العرش العظيم...

نفذت قريش ما اتفقت عليه في صحيقتها السوداء، من ظلم وقطيعة،

(١) وردت: الجحاجم بدل الغلاصم، في آل أبي طالب ص ٢٣.

(٢) مؤمن قريش ص ١٩٠ - ١٩١ - آل أبي طالب ص ٢٣ - ٢٤ وفي الغدير خمسة عشر

بيتاً ص ٣٧١ - ٣٧٢ - ج ٧، وفي شرح النهج ثمانية أبيات م ٧، ج ١٤، ص ٢٨٦.

فاستدعي أبو طالب رجال بني هاشم والمطلب وعبد مناف، وطلب إليهم أن يدخلوا الشعب - شعب عبد المطلب، والذي عرف فيما بعد بشعب أبي طالب، ليكونوا بامان من قريش وظلمها وغدرها، فانقادوا إليه واتبعوا رأيه - الا أبو هب لعنه الله - فقد أصرَ على غيه وعداته لمحمد «صلى الله عليه وآله» ومناصرته لقريش وأصنامها...

وطال أمد الحصار وامتد... وتمضي الأيام بطيئة، بطيئة، ومع كل يوم ينقضي، يستد الحصار، ويضيق الخناق... وينفذ ما حمله الهاشميون معهم من مؤونة... وأخذ الجوع منهم كل مأخذ، فأكلوا «الخطب»^(١) وورق الشجر والأعشاب...

وأنباء الحصار كانت سلامة محمد «صلى الله عليه وآله» وحراسته الشغل الشاغل لأبي طالب، والهم الأول له...وها هو، إذا خيم الليل وأظلم، وضع الفراش لابن أخيه على مرأى من الجميع، ثم إذا هم خلدوا إلى النوم، أنهض محمدًا من فراشه، وأنامه في فراش ولده، وأنام علياً على فراش محمد، حتى إذا سولت لاحظ نفسه بقتل محمد ووقعت الواقعة، يكون المقتول علياً، ويسلم محمد...

٢. حمية الدين لا حمية القرابة:

إنها شهادة التاريخ، بالحب الخالص الذي لا شائبة فيه ولا مصلحة شخصية، شهادة بالحب والفناء فيه، حتى الفداء والتضحية بالنفس والمال

(١) الخطب: بفتح الخطاء، وتسكين الباء جمع خطبة : البقية من اللبن والماء، الشيء القليل، والخطبـة، بمعنى الجرعة من الماء.

والولد... حب للنبي «صلى الله عليه وآلـه» ولرسالته، إنه الإيمان القوي والعقيدة الراسخة...

إنها شهادة التاريخ حقيقة، سجلها لأبي طالب، لا غلوأ أو مزايدة.. بل هي حية الإيمان التي عميت وتعمى عنها عيون المغرضين والقاليـن، لتنقلب الصورة لديهم، فيرونـها أو يقولـون عنها: أنها حـية القرابة والقومـية، وما وسعـهم من تسمـيات..! وأـية قـرابة هـذه...؟ تلكـ التي تـدفع بالوالـد ليـضحـي بـولـدهـ، فـداءـ لـمن هو أـبعدـ... فـيـقـتـلـ ولـدـهـ لـيـسـلمـ ابنـ أـخـهـ..؟! وأـية قـرابة يـتـحدـثـونـ عنـهاـ؟ أيـ عـقـلـ أوـ منـطـقـ هـذـاـ؟! وـقـرـابـةـ الـوـلـدـ أـقوـىـ منـ قـرـابـةـ اـبـنـ الـأـخـ بـلـ وـمـنـ الـأـخـ أـيـضاـ..! وـأـينـ الغـاـيـةـ عـنـ أـبـيـ لـهـ..؟ أـلـيـسـ أـبـوـ لـهـ أـخـ لـأـبـيـ طـالـبـ وـبـالـتـالـيـ أـخـ لـعـبـدـالـلـهـ وـالـدـ مـحـمـدـ «صلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ»، وـعـمـ لـمـحـمـدـ كـأـبـيـ طـالـبـ؟ فـأـيـنـ هيـ حـيـةـ القرـابـةـ عـنـهـ؟...؟

ولـمـاـذاـ كـانـتـ حـيـةـ الدـيـنـ عـنـهـ - عـبـادـةـ الـأـصـنـامـ - أـقوـىـ منـ حـيـةـ القرـابـةـ
وـالـنـسـبـ..؟

لبـشـ ماـ يـحـكـمـونـ..

وـذـاتـ لـيـلـةـ، وـبـيـنـهـ يـنـقـلـ أـبـوـ طـالـبـ وـلـدـهـ عـلـيـاـ لـيـنـيـمـهـ مـكـانـ مـحـمـدـ «صلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ»، قـالـ عـلـيـ «علـيـ السـلـامـ» لـوـالـدـهـ: يـاـ أـبـتـ إـنـيـ مـقـتـولـ؟!..
إـذـ بـالـوـالـدـ الـمـؤـمـنـ الصـابـرـ يـشـجـعـ وـلـدـهـ، وـيـحـضـهـ عـلـىـ الصـبـرـ فـداءـ للـنـبـيـ
«صلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ» فـلاـ يـخـشـيـ الموـتـ فـيـ سـبـيلـهـ، فـيـقـولـ:
إـصـبـرـنـ يـاـ بـنـيـ فالـصـبـرـ أـحـجـيـ
كـلـ حـيـ مـصـيرـ لـشـعـوبـ
لـفـداءـ الـحـبـيـبـ وـابـنـ الـحـبـيـبـ
قـدـ بـذـلـنـاكـ وـالـبـلـاءـ شـدـيدـ

إن تصبك المنون فالنبل تبرى^(١)
كل حي وإن تملى بعمر^(٢)

فيجيئه علي «عليه السلام»، ذلك الذي لم يكن ليخشى الموت، حتى
وهو صغير بعد، أجابه بجواب الشجاع الثابت، غير الجازع، والموطن نفسه
على فداء النبي «صلى الله عليه وآلـه»، والسعى في نصرته، لا لشيء، الا
لو وجه الله تعالى:

أتأمرني بالصبر في نصر أحد
ولكنني أحببت أن تر نصرتي
سأسعى لوجه الله في نصر أحد^(٣)
ووالله ما قلت الذي قلت جازعا
وتعلم أني لم أزل لك طائعا
نبي الهدى المحمود، طفلاً ويافاً

وهنا يؤكد أبو طالب، ومن جديد بأن الحمية الدينية هي دافعه
الوحيد، للتضحية بنفسه وبولده، الأحب إلى قلبه، في سبيل ما هو أسمى
 وأنبل، وأغلى من نفسه ومن ولده، ألا وهو الإيمان والعقيدة، حماية
لصاحب الدعوة، النبي محمد «صلى الله عليه وآلـه»... إنه الدافع الديني
فقط، لا رابطة الدم، إنه الإيمان الثابت والعميق، من الوالد ومن الولد
أيضاً، حيث نرى الولد يعلن صراحة إيمانه ويقينه بنبوة محمد «صلى الله عليه

(١) وردت في احدى الروايات : تترى وفي رواية أخرى : ترمي.

(٢) الغدير ج ٧، ص ٣٩٨ - ٣٩٩ كما وردت هذه الآيات في مؤمن قريش ص ١٨٧
- وفي ماذَا في التاریخ م ١٦ ص ٢٥٥ .

(٣) الغدير ج ٧، ص ١٩٩ وفي مؤمن قريش ص ١٨٨ . وفي ماذَا في التاریخ م ١٦٠ ،
ص ٢٥٦ .

والله، وتأكيده على أنه سيسعى جاهداً في نصرة هذا النبي، ولو جه الله فقط:

سأسعى لوجه الله في نصر أهـدـي
نبي الهدى المحمود، طفلاً وياـعاً^(١)

فلا ينكر الوالد على ولده هذا الاعتقاد وهذا التصريح بنبوة محمد، ولا ينكر عليه هذا الاندفاع وهذا الإيمان، وما ذلك إلا لأن الوالد مؤمن حقاً بهذه النبوة، إيماناً يدفعه للتلفاني، والتضحية بفلذة كبده في سبيل هذه النبوة و أصحابها... فسلام الله على الوالد وما ولد...

إنها شهادة التاريخ حقاً، يسجلها لأبي طالب «عليه السلام» على صفحات من نور، وضاءة مشرقة، تضع إيماناً بالدعوة، وبصاحب هذه الدعوة...

٣. محمد نبـي كـمـوسـى:

ويستمر أبو طالب، صابراً على ظلم قريش، حبيس الشعب فيمن معه من بني هاشم وبني المطلب وعبد مناف صامداً، مصمماً على حماية النبي حتى النهاية، ومهما كان الثمن، حتى يقضي الله أمره...

وتهيج به نفسه، فيرسل نفثات من صدره، يرسلها للتاريخ فيسجلها له، صفحات مشرقة وهاجة، لتقرأها الأجيال، جيلاً بعد جيل، وتتصدر حكمها العادل بحق هذه الشخصية الفذة، والتي لم تأل جهداً ولم تبخـلـ بـنـفـيسـ فيـ سـبـيلـ حـمـاـيـةـ الـاسـلـامـ، وـنـصـرـةـ نـبـيـهـ، فـهـاـذاـ يـقـولـ الشـيـخـ فـيـ أـمـرـ

(١) الغدير ٧، ص ١٩٩ وفي مؤمن قريش ص ١٨٨. وفي ماذا في التاريخ م ١٦٠

الصحيفة:

لؤيأـ و خصا من لؤي بنى كعب
نيـا كموسى ، خط في أول الكتب
ولا حيف فيمن خصه الله بالحب
يكون لكمـ يومـاً كراغية السـقـب^(١)
ويصبح من لم يحن ذنـباً كذـي ذـنب
او اصرـنا بعد المـودـة والـقـرب
أمر على من ذـاقـه حـلبـ الحـرب
لعـزـاء^(٤) من عـضـ الزـمان^(٥) ولا كـربـ
وأـيدـ أـثـرت^(٦) بـالمـهـنـةـ الشـهـبـ^(٧)
بـهـ، وـالـضـبـاعـ العـرـجـ تـعـكـفـ كـالـشـرـبـ
وـمـعـمـعـةـ الـأـبـطـالـ مـعـرـكـةـ الـحـربـ
وـأـوصـىـ بـنـيهـ بـالـطـعـانـ وـبـالـضـربـ

الـأـلـأـلـغـاـعـنـيـ عـلـىـ ذاتـ بـيـنـهاـ
أـلـمـ تـعـلـمـواـ آـنـاـ وـجـدـنـاـ مـحـمـداـ
وـأـنـ عـلـبـهـ فـيـ الـعـبـادـ مـحـبـةـ
وـأـنـ الـذـيـ رـقـشـتـمـ فـيـ كـاتـبـكـمـ^(٢)
أـفـيـقـواـ، أـفـيـقـواـ قـبـلـ أـنـ تـخـفـرـ الزـبـىـ^(٣)
وـلـاـ تـتـبـعـواـ أـمـرـ الـغـوـاـةـ وـتـقـطـعـواـ
وـتـسـتـجـلـبـواـ حـربـأـ عـوـانـاـ^(٤) وـإـنـهاـ
فـلـسـنـاـ وـبـيـتـ اللهـ نـسـلـمـ مـحـمـداـ
وـلـاـ تـبـنـ مـنـاـ وـمـنـكـ سـوـالـفـ
بـمـعـرـكـ ضـنـكـ، تـرـىـ كـسـرـ القـنـاـ
كـأـنـ بـجـالـ الـخـيلـ فـيـ حـجـرـاتـهـ
أـلـيـسـ أـبـوـنـاـ هـاشـمـ شـدـ أـزـرـهـ

(١) راغبة : من رغاء : صوت الناقة، السقب ولد الناقة.

(٢) حرباً عواناً: الحرب الشديدة والمكررة مرة بعد مرة.

(٣) وردت في سيرة ابن هشام: الثرى بدل الزبي عن الغدير ج ٧.

(٤) عزاء: السنة الشديدة.

(٥) عض الزمان: شدته.

(٦) أترت: قطعت.

(٧) الجماعة من القوم اجتمعوا على الماء ليشربوا.

ولسانمل الحرب حتى تملنا
ولكننا أهل الحفاظ والنهي
ولا نشتكي مما ينوب من النكب
إذا طار أرواح الكهاة من الرعب^(١)

له در أبي طالب، إن في كلامه حلاوة، وإن فيه لطراوة يضوع منها عبق
الابهان، دفاقاً عطراً، ينعش فيه النفوس، ويثير القلوب.. إيمان غير
محدود... فلا يبدأ بـمحمد «صلى الله عليه وآلـه» أو ينتهي بـرسالته، وإنما
يمتد إلى بقية الرسالات السماوية التي سبقت، والأنبياء والرسل المتقدمين،
وها هو يقول:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً
نبياً كموسى، خط في أول الكتب
ولأن عليه في العباد محبة
ولا حيف فيمن خصه الله بالحب
إنه يذكر موسى «عليه السلام» ونبيته... وأن محمداً عنده نبي حقاً
مثل موسى، وأن الكتب السماوية السابقة بشرت به وبنبوته وذكرت اسمه،
 فهو نبيٌّ كغيره من سبق من الأنبياء، أرسله الله تعالى وألقى محبته في قلوب
العباد، واحتضنه أيضاً بمحبته فهو «حبيب الله»، أرسله كما أرسل أنبياء
ورسله قبله، بشرت به «صلى الله عليه وآلـه» وبرسالته، تماماً كما ورد في
القرآن الكريم:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقاً
لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَخَمَدُ فَلَمَّا جَاءُهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾^(٢).

(١) ماذا في التاريخ م - ١٦ - ص ٢٥٦ كما وردت في الغدير ج ٧ ص ٣٧٢. وفي
مؤمن قريش ص ١٨٨ - ١٨٩.

(٢) سورة الصاف، آية رقم ٦ (مدنية).

وهذا دليل واضح أيضاً على أن أبي طالب كان مطلعاً على الأديان عالمًا عارفاً بكتابها ومؤمناً بها قبل بعثة محمد «صلى الله عليه وآله»، بل وقبل ولادته أيضاً، وأن الشرك لم يعرف إلى قلبه الطاهر سبيلاً، تماماً كأبيه عبد المطلب، فهو الحنيفي المسلم، يدين بدين جده الخليل إبراهيم «عليه السلام».

٤. الأدلة تأكل الصحيفة:

وتعضي الأيام، رتبية، بطئية على أبي طالب «عليه السلام» ومن معه منبني هاشم والمطلب وعبد مناف، في الشعب، وقد ناهم ما ناهم من قريش وظلمها وعسفها، حيث وضعت عليهم الرقباء حتى لا يأتيهم أحد بطعم أو شراب... فذاقوا مرارة الجوع والحرمان بكل ألوانها وأطياافها، وقد أنفق أبو طالب و Muhammad «صلى الله عليه وآله» و خديجة كل أموالهم حتى لم يعد لديهم من المال والأكل شيء، اللهم إلا ورق الشجر، فأكلوه وحتى الأعشاب، وهم صابرون... صابرون، يتجرعون صاب الألم وألوان العذاب والحرمان...

ويصف ساحة العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى، أطال الله في عمره، حاهم هذه فيقول:

وكانوا ينفقون من أموال خديجة وأبي طالب، حتى نفدت، حتى اضطروا إلى أن يقتاتوا بورق الشجر. وكان صبيتهم يتضاغون جوعاً،
ويسمعهم المشركون من وراء الشعب ويذاكرون فيما بينهم^(١) ...
ثم يقول حفظه الله: إن قريشاً قد قطعت عنهم الأسواق، فلا يتركون

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج ٣، ص ١٩٦.

لهم طعاماً يقدم مكة، ولا بيعاً الا بادروهم إليه، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله «صلى الله عليه وآلـه»^(١) .. ويمضي عامان - وقيل ثلاثة - ويأتي الفرج من الله سبحانه وتعالى، حين أوحى إلى رسوله محمد «صلى الله عليه وآلـه»^(٢) أنه قد سلط الأرضة^(٣) على الصحيفة الملعونة فأكلتها ولم تبق منها إلا اسم الله ...

وهنا، ألقى الصادق الأمين محمد «صلى الله عليه وآلـه» إلى عمه وكفيله، شيخ قريش وسيد البطحاء - هذا النبأ العظيم - وكم كان فرح الشيخ الجليل عظيماً بخبر ابن أخيه، وسررت في جسده فرحة عظيمة ما بعدها فرحة، واطمأنت نفسه، وهدأت روحه، بهذا الخبر السار، بل هذه المعجزة العظيمة، التي سيقرا بها جبروت قريش وظلمها، ويلقي الحجة عليها... وليطمئن القلب، وتهداً النفس، من قبيل ما ورد في القرآن الكريم: ﴿هَوَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبَّ أَرْزِي كَيْفَ تُخْبِي الْمُؤْتَمِنَ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَّ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾^(٤) ...

سأل أبو طالب محمداً «صلى الله عليه وآلـه» وبلهفة: يا ابن أخي ! ...

أربك أخبرك بهذا؟

^(٤)

قال: نعم

(١) نفس المصدر، ص ١٩٧.

(٢) الأرضة : محركة بالفتح، دويدة تأكل الخشب .. جمعها: أرض، بالفتح.

(٣) سورة البقرة - آية ٢٦٠.

(٤) الغدير ج ٧، ص ٤٠٤، ومؤمن قريش، ص ١٩٤.

قال أبو طالب: والثواب، ما كذبتي قط...^(١)

وينطلق أبو طالب، ومعه نخبة من بني هاشم والمطلب إلى المسجد الحرام، وتراءهم قريش مقبلين نحوها، فأخذتها الظنون، أنهم إنما قد جازوا تحت وطأة الحصار والجوع، ليستسلموا، ويسلموا اليهم محمداً «صلى الله عليه وآله»... فيقتلوه، وتنتهي القضية... ولكن... قاتل الله لكن... لقد خاب ظنهم، وتلاشت أحلامهم وقد يادرهم أبو طالب بصوت رaud قاصف، رابط الجأش:

٥. المؤمن الموقن المطمئن:

يا معشر قريش... جرت بيننا وبينكم أمور، لم تذكر في صحيفتكم،
فأتوا بها، لعله يكون بيننا وبينكم صلح..^(٢)

إنه رجل المواقف بحق... بطل في الحرب وتخاذل المواقف الحكيمة،
وأستاذ خبير في الحنكة السياسية..

لقد طلب أولاً أحضار الصحيفة للتعمية على قريش، فهو لم يادرهم بال نتيجة مباشرة، وأوهمهم في الوقت نفسه بامكانية الصلح فيما بينه وبينهم، فلا يفتحون الصحيفة قبل أن يأتوا بها، ويراهما الجميع وتفتح علينا أمام الملأ ويراهما كل واحد من الحضور ويكون بذلك قد هيأهم للمواجهة الكبرى، ومهد السبيل لطرح الخيار المنطقي على قريش فتقبله وتلتزم به... .

إنها البراعة في السياسة بلا شك، والحكمة في اتخاذ المواقف.. وإذا

(١) الغدير ج ٧، ص ٤٠٤، ومؤمن قريش ص ١٩٤.

(٢) ماذَا في التاريخ م ١٧، ص ٢٦١، وفي الغدير ج ٧، ص ٤٠٤.

أحضروا الصحيفة - يحدوهم الأمل أنهم قد ظفروا بـ«صلى الله عليه وآله» وعمه بل وبالهاشميين وقد انتهى الأمر بانتصارهم..

قال لهم أبو طالب: هذه صحيفتكم؟

قالوا: نعم.

قال: هل تنكرون منها شيئاً...؟

قالوا: لا.

فاجأهم بالقول وقبل أن تفتح الصحيفة:

قد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم؟^(١).

قال هذا، بلهجة المؤمن، المطمئن، العالم العارف بالنتيجة، وهو القارئ للمستقبل...

ينظر إليه بعين باصرة فيخترق استاره ويكشف حجبه ويرى ما بين السطور، كيف لا...؟! والنفس منه مرتاحة، والقلب طافح باليقين إطمئناناً إلى صدق ابن أخيه محمد «صلى الله عليه وآله» وما قاله له... فهو عنده الصادق المصدق، والذي لم يكذبه قط....

وعاد أبو طالب ليقول:

أتيتكم في أمر نصف بيتنا وبينكم... إن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني قط: إن الله قد بعث على صحيفتكم دابة، فأكلت ما فيها من ظلم وقطيعة رحم ولم ترك إلا اسم الله فقط، فإن كان كما يقول؟ فأفيقوا عما أنتم عليه، فوالله لا نسلمه حتى نموت عن آخرنا، وإن كان باطلأً دفعناه اليكم فقتلتم

(١) الغدير: ج ٧، ص ٤٠٤. ومؤمن قريش: ص ١٩٤.

أو استحييت..!^(١).

قالوا: رضينا... لقد أنصفتنا يا أبي طالب...

وفتحت الصحيفة، وقرئت... فامتنعت وجوه القوم، وقد صدمتهم الحقيقة، وصعقهم صدق محمد «صلى الله عليه وآلـه»... فإذا الصحيفة، كما قال النبي «صلى الله عليه وآلـه»... وارتقت أصوات المسلمين بالتكبير... وأحبط القوم... لقد ظهر الحق، وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا... ولكن لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور... وأصرّوا على الباطل، وازدادوا بغيًا وعناداً، قالوا لأبي طالب : هذا سحر ابن أخيك...^(٢).

وسطع نور الحق... وبيان الأمر، فكان كما أخبر به محمد «صلى الله عليه وآلـه» فارتفع صوت أبي طالب، وقد انتصر وكسب الموقف: (علام نحصر، ونحبس، وقد بان الأمر، وتبيّن أنكم أولى بالظلم والقطيعة؟!...) ^(٣).

واستدار نحو الكعبة، فدخلها هو ومن معه من الهاشميين، وأخذ بأستارها، ثم قال وبصوت خاشع، رافعاً مظلوميته إلى الله، داعياً آياته: (اللهم انصرنا على من ظلمنا، وقطع أرحامنا، واستحل ما يحرم عليه منا..^(٤)).

فاستجاب له ربه... فنصره ومن يتوكل على الله فهو حسنه ومن ينصر الله ينصره... واختلف القوم، وتفرقت قريش، فقد رأت فرقة منها، ان

(١) نفس المصدر - مؤمن قريش، ص ١٩٥.

(٢) نفس المصدر، الغدير ٤٠٤، مؤمن قريش م، ص ١٩٥.

(٣) الغدير: ج ٧، ص ٤٠٤، مؤمن قريش ص ١٩٥.

(٤) نفس المصدر.

الحصار والقطيعة، ظلم، وجور وعناد.. وهلاك لشرف بطن من قريش،
وان قريشاً قد تماضت كثيراً في غيها وعنادها، فاجمعت رأيها على نقض
الصحيفة وانهاء القطيعة ورفع الحصار...

فانتهت بذلك أيام عجاف بعد ان دامت ثلاثة أعوام تقريباً، عانى فيها
الهاشميون الكثير الكثير من مرارة القطيعة وألم الجوع...

وعادت البهجة الى قلب أبي طالب، فامتلاً سروراً وفرحاً بانتصاره
على قريش، وقد رفع الحصار...

وأما فرحته الكبرى فكانت بمعجزة ابن أخيه محمد «صلى الله عليه
وآله»، والتي ألحقت بقريش الخزي، والمذلة والخسران...

فقال في أمر الصحيفة، وأكل الأرضة لما فيها من ظلم وقطيعة رحم
هذه الأبيات:

وقد كان في أمر الصحيفة عبرة
متى ما يخبر غائب القوم يعجب
محى الله منها كفرهم وعقوتهم
وما نقموا من ناطق الحق معرب
فأصبح ما قالوا من الأمر باطلأ
ومن يختلق ما ليس بالحق يكذب^(١)

أما السيد محسن الأمين فقد ذكرها ثانية أبيات، أي بزيادة خمسة أبيات
وهي:

(١) مجمع البيان، ج ٤، ص ٤٤٥، دار المعرفة ١٩٨٨/٢٦ مع اختلاف البيت الثالث
وفي الغدير ج ٧، ص ٤٠٧ عن الكامل لابن الأثير ج ٢، ص ٣٦. مؤمن قريش
ص ١٩٨، وذكرت في عدة مصادر بثلاثة أبيات أو ثمانية أو اثنا عشرة بيتاً، راجع
كتاب الحجة ص ٤٥، ٤٦.

على سخط من قوما غير معتب
مركبها في الناس خير مركب
طلبج بجنبي نخلة فالمحصب
لنحلف بطلاً بالعتيق المحجب
و ما بال تكذيب النبي المقرب^(١)
وأمسى ابن عبدالله فيما مصدقاً
ستمنعه منا يد هاشمية
فلا والذي تحدى له كل نضوة
يميناً صدقنا الله فيها ولم نكن
نفارقها حتى نصرع حوله
كما قال في موضوع الصحيفة، وكيف تداعى كيد قريش وافكها
وطغيانها:

على نأيهم؟ والله بالناس أرود^(٢)
وأن كل مالم يرضه الله مفسد
ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد
فطائرها في رأسها يتrepid^(٣)
ليقطع منها ساعد و مقلد
فرانصهم من خشية الشر ترعد
أيتها فيها عند ذاك وينجد^(٤)
الأهل أتى بحرينا صنع ربنا
فيخبرهم أن الصحيفة مزقت
تراوحها إفك و سحر مجتمع
تداعى لها من ليس فيها بقرقر
وكانت كفاء، وقعة بأئمة
ويظن أهل المكتبين في هربوا
ويترك حراث يقلب أمره

(١) آل أبي طالب، ص ٢٧ - ٢٨.

(٢) بحرينا، يقصد من هاجر إلى الحبشة بحراً، من المسلمين أرود: أرفق، اراف.

(٣) قرقر: لين، سهل، أو دليل - طائرها: حظها من الشرم والشر - وفي القرآن الكريم، الزمان طائرة في عنقه.

(٤) الحراث: المكتب - يتهم يأتي تهامة، ينجد: يأتي نجداً.

ها حرج، سهم وقوس ومرهد^(١)
 فعزتنا في بطن مكة أتلد^(٢)
 فلن ننفك نزداد عزاً ونحمد
 إذا جعلت أيدي المفيضين ترعد^(٣)
 على ملاً يهدي لحزم ويرشد
 مقاولة بل هم أعز وأمجد^(٤)
 إذا ما مشى في ررف الدرع أح رد^(٥)
 إذا عدسادات البرية أحمد
 وأخلاقه وهو الرشيد المؤيد
 شهاب بكفي قابس يتقد
 إذا سيم خسفاً وجهه يتربد^(٦)
 على وجهه يسفى الغمام ويسعد^(٧)

وتصعد بين الأخشين كتبية
 فمن ينشُّ من حضار مكة عزه
 نشأنا بها والناس فيها قلائل
 ونظم حتى يترك الناس فضلهم
 جزى الله رهطا بالحجاز تابعوا
 قعوداً على خطم الحجون كأنهم
 أuan عليها كل صقر كأنه
 ألا إن خير الناس نفساً والدا
 نبي الاله والكريم بأصله
 جريء على جلى الخطوب كأنه
 من الأكرمين من لؤي بن غالب
 طويل النجاد خارج نصف ساقه

(١) الأخشان: جبلان بمكة - المرهد - الريح.

(٢) ينش: ينشأ بحذف الهمزة - أتلد: أقدم.

(٣) المفيضين: الضاربين بقداح الميس، وقد أراد أنهم يطعمون إذا بخل الناس.

(٤) المقاولة: الملوك.

(٥) ررف الدرع: ما فصل منها - أح رد: بطيء الشيء لثقل الدرع.

(٦) سيم: مبني للمجهول: وصف، كلف.

(٧) النجاد: حمائل السيف، عظيم القامة.

ويقول:

يحض على مقرى الضيوف ويحشد
إذا نحن طفنا في البلاد ويمهد
”^(١)
عظيم اللواء، ثم، أمره، يحمد
على مهل وسائر الناس رقد
وسر أبو بكر بها ومحمد
وكنأ قد يمأ قبلها نتعدد
وندرك ما شئنا ولا نتشدد
وهل لكم فيما يجيء به غد
”^(٢)
لديك البيان لو تكلمت أسود

عظيم الرماد سيد وابن سيد
ويبني لابناء العشيرة صالحًا
أظل بهذا الصلح كل مبرا
قضوا ما قضوا في ليهم ثم أصبحوا
هم رجعوا سهل بن بيضاء راضياً
متى شرك الأقوام في جل أمرنا
وكنأ قد يمأ لأنقر ظلامة
فيما لقصي هل لكم في نفوسكم؟
فاني واياكم كما قال قائل

هذا التوصيف من أبي طالب لـ محمد «صلى الله عليه وآلـه»، وهذه
الخصال الحميدة، والمكانة الرفيعة التي يراها فيه، لتأكيد ثابت على إيمانه
القوي، فهو عنده كالشهاب المضيء، الذي لا يخبو ولا ينطفيء... وهو
الأبي الشجاع الذي لا تلين له قناة، ولا يصبر على ضيم، اجتمعـتـ فيهـ،ـ
ولـهـ،ـ كـرـامـةـ الأـصـلـ وـالـاخـلـاقـ،ـ كـرـيمـ معـطـاءـ،ـ طـوـيلـ النـجـادـ،ـ عـظـيمـ الرـمـادـ..ـ

(١) أظل : الع، ولزم.

(٢) أسود، جبل قتل فيه قتيل فلم يعرف من قتلـهـ،ـ ودفنـ فيهـ،ـ فقالـ أولـيـاءـ المـقـتـولـ للـجـبـلـ،ـ
لـدـيـكـ الـيـلـيـنـ لـوـ تـكـلـمـ أـسـوـدـ،ـ فـذـهـبـ هـذـاـ الـاقـولـ مـثـلـاـ..ـ وـرـدـتـ هـذـهـ القـصـيـدةـ فيـ
الـغـدـيرـ جـ7ـ،ـ صـ4ـ0ـ5ـ ـ4ـ0ـ6ـ وـفـيـ مـؤـمـنـ قـرـيـشـ صـ1ـ9ـ9ـ ـ2ـ0ـ0ـ ـ2ـ0ـ1ـ،ـ مـنـقـوـصـةـ
وـفـيـ مـاـذـاـ فـيـ التـارـيـخـ مـ1ـ7ـ،ـ صـ2ـ6ـ2ـ،ـ 2ـ6ـ3ـ،ـ وـلـيـسـ كـامـلـةـ أـيـضاـ.

سيد وابن سيد... مصلح مرشد، ورشيد مؤيد... ثم يعود أبو طالب،
وفوق كل هذا ليؤكّد على نبوة محمد «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» وعلى إيمانه به،
وبصدقية رسالته:

ألا إن خير الناس نفساً ووالدا
إذا عد سادات البرية أحمد

نبي الاله، والكريم بأصله
وأخلاقه، وهو الرشيد المؤيد

فهل هناك، بعد، مكان للشك في إيمان أبي طالب...؟! أم أن القذى
يعمى بعض العيون فلا ترى في ذلك إلا حمية النسب...؟!

إنه والله الإيمان بلا شك، والإيمان العميق، إنه النصرة والانتصار
للرسالة، لا للقرابة والرحم... وكما يقول الخنزيري في كتابه مؤمن من قريش
صفحة ٢٠١: إن هذا لا يصدر إلا من نصير للرسول محمد «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ».. لا من نصير لـ محمد بن عب الله أخ أبي طالب...

وهذا نموذج آخر من شعر أبي طالب، في موضوع الصحيفة وما
حوت من قطيعة وظلم... ولعله قالها في الشعب أثناء الحصار، وتأتي دليلاً
ساطعاً على إيمان أبي طالب وسلامة معتقده، فأبياتها بل وكلماتها تضج إيماناً
بنبوة محمد «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» وبرسالته... وهذه قطعة منها:

ألم تعلموا أن القطيعة مائمه
وأمر بلاء، قاتم غير حازم؟!

وأن نعيم الدهر ليس ب دائم
وأن سبيل الرشد يعلم في غد

ولا تتبعوا أمر الغواة الأشائم
فلا تسفهن أحلامكم في محمد

أمانكم هذى - كأحلام نائم
ثمنيتكم أن تقتلوه وإنما

ولما تر واقطف اللحى والغلاصم^(١)
 ولما نقا ذاف دونه وتر زاحم
 تمكّن في الفرعين من آل هاشم
 بخاتم رب، قاهر في الخواتم
 وما جا همل في قومه مثل عالم
 ومن قال: لا.. يقرع بها سن نادم^(٢)

وأنكم - والله - لا تقتلونه
 زعمتم بأننا مسلمون محمدًا
 من القوم مفضال على العدى
 أمين، حبيب في العباد مسوم
 يرى الناس برهانا عليه وهيبة
 نبي أتاه الوحي من عند ربه

إنه يحذر قريشاً، قطيعتها لبني هاشم، وسياستها الرعناء وظلمها، وأنها ستعود عليها بالبلاء، والخزي، وينذرها، أن الرشد سيظهر منها طالت الحياة الدنيا وامتد نعيمها وكثير، فهو نعيم زائل وليس ب دائم... وغداً يبين سبيل الرشد، يوم الحساب يوم تجزى كل نفس ما كسبت، وعليها ما اكتسبت، وكما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهُيَ الْجَيَوْانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ...﴾^(٣) .. فلما نعيم دائم، أو عذاب دائم...

كما أنه يحذرهم بسفاهة أحلامهم في محمد «صلى الله عليه وآلـه»، لأنهم يعلمون موقفه منه، فهو ليس بمسلم محمدًا أبداً، وإنما أ Má لهم بقتله كأحلام نائم - أضغاث أحلام - فدون قتله قطف اللحى والجحاجم، كيف لا، ومحمد عنده: المفضل على القوم، أبي على العدى... فهو العالم في قومه، وليس

(١) وردت: الجحاجم بدل الغلاصم، في آل أبي طالب ص ٢٣.

(٢) مؤمن قريش ص ١٩٠ - ١٩١ - آل أبي طالب ص ٢٣ - ٢٤ وفي الغدير خمسة عشر بيتاً ص ٣٧١ - ٣٧٢ - ج ٧، وفي شرح النهج ثمانية أبيات م ٧، ج ١٤، ص ٢٨٦.

(٣) القرآن الحكيم: سورة العنكبوت آية ٦٤.

الجاهل كالعالم، وأن عليه برهاناً وهيبة، أمين، حبيب، ونبي من الله، يوحى إليه من ربه، ويصدع بأمره، فمن ينكره ويعاديه وينكر نبوته سيبوء بالخيبة والندم والخسران - ولات حين مندم - ﴿يَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُونَ عَلَىٰ يَدِيهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي أَنْخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾^(١) .. ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمُرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾^(٢) ..

(١) القرآن الحكيم: سورة الفرقان آية ٢٧.

(٢) القرآن الحكيم: سورة النبأ، آية ٤٠.

الفصل السادس:

اسلام أبي طالب

- * ما هو الاسلام؟ وما هو الايمان؟
- * متى لم يكن أبو طالب مسلماً
- * الأرض لا تخلو من حجة
- * عبد المطلب والخنفية البيضاء
- * إن الدعوة كانت في دار أبي طالب
- * إنك الربيع كعباً
- * كم من حقيقة... ذهبت فريسة الأهواء
- * معاوية وثقافة اللعن، وتشويه الحقائق.
- * يوم بيوم بدر

ما هو الإسلام؟ وما هو الإيمان؟

**ما هو الإسلام..؟ وما هو الإيمان...؟ وما معنى أن يكون الإنسان
مسلمًا ومؤمناً..؟**

الإسلام هو الاعلان بالشهادتين:

أشهد ألا إله إلا الله... وأشهد أن محمداً رسول الله (صلى الله عليه
وآله)^(١)... من دون أن يظهر من الاعتقاد بخلافها، - أي بهذا القول - ...
فمن قالها وصدق بها، حقن دمه، وحرم ماله وسلم عرضه، وجرت عليه
الناكح والمواريث... .

وما الإيمان فهو في عرف المتكلمين :

اعتقاد بالقلب، وتصديق باللسان... (اعتقاد بالجذناب، وعمل
بالأركان).

وفي اللغة : التصديق... كما ورد في القرآن الكريم : «وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ
لَّكَ»^(١)...؟ أي بمصدق لنا..

والإيمان هو شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، والاعتراف

(١) سورة يوسف - آية ١٧ .

والاقرار بما جاء به النبي الأكرم «صلى الله عليه وآلـه» وإقام الصلاة، وآياتـه الزكـاة، والصوم والحجـ، والقول والعمل بالولـية لعلـي «عليـه السلام» ولأبنـاه المعصـومـين من بعـدهـ، والبراءـة من أعدـائهمـ، والدخولـ مع الصـادـقـينـ..

وفي رواية عن فضل بن يسار: لم يناد بشيء مثل ما نودي بالولاية^(١) ...
والمراد من هذا القول: المعنى الأخص، يعني الاعتراف لعلي بن أبي
طالب «عليه السلام» بالولاية بعد الرسول الأكرم «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»
وأنه خليفة من بعده..

وفي حالة الایمان والاسلام، إذا وافق ظاهر المرء باطنه، كان مؤمناً
حقاً، فإن لم يواافق ظاهره باطنه كان منافقاً... الا أنه وفي حالة الضرورة أو
الخوف، تقتضي المصلحة العمل بالحقيقة، فيظهر ما هو منافق لباطنه المليء
بالايمان - وموافق للمشركين، كمؤمن آل فرعون، وأسية بنت مزاحم،
إمرأة فرعون، وك أصحاب الكهف، الذين أظهروا الشرك وأسرروا الایمان،
خوفاً من السلطان وظلمه، وملاحته، أو كأبي طالب «عليه السلام» الذي
أسر الایمان وأظهر الشرك ليحفظ حمداً «صلى الله عليه وآلـهـ ويلـهـ» ويحفظ
رسالته التي بشر بها، ويؤمن لها النجاح والانتشار..

إذا فالاسلام والايقان، قول باللسان، وإقرار بالجتان، وعمل بالأركان... فاين أبو طالب «عليه السلام» من هذا...؟ هل أسلم...؟ أم لم يسلم...؟ وهل مات كافراً ولم يؤمن...؟!؟!

(١) منية الراغب في اسلام أبي طالب، ص ٦٧ - لآية الله الشيخ محمد رضا الطبي.

واحد من ثلاثة أمور: إما جهل وعدم معرفة، أو غباء... أو لغرض في نفس يعقوب...! وإلا... فهل يجوز أن يستفهم إنسان عاقل عن أيهان أبي طالب، وجوداً أو زماناً...؟ ومتى لم يكن أبو طالب مسلماً؟ وهل مضى عليه زمن لم يكن فيه مسلماً...؟ أو كيف..؟ وهو سليل الدوحة الطاهرة، وفرع الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء... تحدّر ماء نطفته من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام المطهرة، خلقاً بعد خلق، من لدن آدم «عليه السلام» إلى أبيه شيبة الحمد (عبد المطلب).. فقد جاء في الأمالي للطوسي، بأسناد عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» يقول: كنت أنا وعلي عن يمين العرش، نسبح الله قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلما خلق آدم جعلنا في صلبه، ثم نقلنا من صلب إلى صلب، في أصلاب الطاهرين وأرحام المطهرات حتى انتهينا إلى صلب عبد المطلب، فقسمنا قسمين فجعل في عبدالله نصفاً، وفي أبي طالب نصفاً، وجعل النبوة والرسالة فيّ، وجعل الوصية والقضية في علي، ثم اختار لنا اسمين شقهما من اسمائهما، فالله محمود، وأنا محمد، والله العلي.. وهذا على، فأنا للنبوة، وعلى للوصية والقضية^(١) ...

هذا والأخبار والروايات في ذلك كثيرة، وليس بالأمكان ذكرها في هذا المصنف الصغير، ونستفيد منها جمِيعاً أن آباء النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» وأجداده نقلوا من أصلاب طاهرة إلى أرحام مطهرة، من لدن آدم «عليه السلام»، إلى عبد المطلب «عليه السلام»، فبعد الله وأبي طالب، حيث كانت النبوة والوصية...

(١) أحمالي الطوسي ١٨٣ ح ٣٠٧، عن منية الراغب، ص ٥٩ - ٦٠ هـ.

وطهارة الصلب مرتبطة بالإيمان والتوحيد بمعنى أنه من كان مؤمناً
كان ظاهر الصلب والرحم.

وقد جاء في علل الشرائع للصدوق، عن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»،
إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَ خَلْقَنِي وَعَلَيَا وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحَسِينَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الدُّنْيَا
بِسَبْعَةِ آلَافِ عَامٍ... ثُمَّ قَدْفَنَا فِي صَلْبِ آدَمَ، ثُمَّ أَخْرَجَنَا إِلَى أَصْلَابِ الْآبَاءِ
وَأَرْحَامِ الْأَمَهَاتِ، وَلَا يَصِيبُنَا نَجْسُ الشَّرْكِ وَلَا سَفَاحُ الْكُفَّارِ...»^(١).

ومن هنا نرى أن السؤال، أو الاستفهام عن أيهان هذه الدوحة الكريمة
غير جائز أبداً.. والثابت قطعاً، من قول الرسول الأكرم «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»
إِنَّ آبَاءَهُ وَأَجْدَادَهُ، وَأَهْلَ بَيْتِهِ، خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ، مُوْحِدُونَ مُؤْمِنُونَ،
وَاللَّهُ سَبَّحَهُ وَتَعَالَى، يَخَاطِبُ رَسُولَهُ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ
بِقُولِهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: وَتَوَكِّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ^(٢). الَّذِي يَرَاكَ
حِينَ تَقُومُ^(٣) . وَتَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ^(٤) ...

روى الحافظ الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في كتابه ينابيع المودة
الباب الثاني وغيره أيضاً من علماء العامة رواه ابن عباس حبر الأمة
قال: أي تقلبه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» حتى في أصلاب الموحدين،نبي إلى
نبي، حتى أخرجه الله من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم^(٥).

(١) منية الراغب في أيهان أبي طالب ص ٦٣.

(٢) سورة الشعراء، آية ٢١٧.

(٣) سورة الشعراء، آية ٢١٨.

(٤) سورة الشعراء، آية ٢١٩.

(٥) ليالي بشاور، م ٢، ص ٨٩٨.

وعن المطلب بن وداعة قال: جاء العباس الى رسول الله «صلى الله عليه وآلـه» وكأنه سمع شيئاً فقام النبي «صلى الله عليه وآلـه» على المنبر فقال: من أنا؟

فقالوا: أنت رسول الله !

فقال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً^(١).

وقد ذكر الشيخ الطوسي في أماله، عن الرسول «صلى الله عليه وآلـه»... فلما أن خلق آدم، نقل ذلك الماء من اللؤلؤ فأجراه في صلب آدم إلى أن قبضه الله، ثم نقله إلى شيث، فلم يزل ذلك الماء ينتقل من ظهر إلى ظهر حتى صار في صلب عبد المطلب، ثم شقه الله عز وجل بنصفين، فصار نصفه في أبي، عبدالله، ونصف في أبي طالب، فأنا من نصف الماء، وعلى من النصف الآخر، ثم قرأ رسول الله «صلى الله عليه وآلـه»: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾^(٢) ...

وجاء في ينابيع المودة: عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكِ فِي السَّاجِدِينَ﴾ ..

قال: من النبي إلى النبي حتى اخر جتك نبياً^(٣).

(١) ينابيع المودة للعلامة القندوزي الحلبي، الباب الثاني، ج ١، ص ١٨.

(٢) منية الراغب، ص ٦٢، عن الأمالي، هامش ٣. والأية من سورة الفرقان.

(٣) ينابيع المودة للقندوزي، ج ١، باب ٢، ص ٢٢.

وروى الثعلبي في تفسيره: عن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، قال:
أهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح في السفينة،
وقدف بي في صلب إبراهيم ثم لم يزل ينقلني من الأصلاب الكريمة إلى
الأرحام الطاهرة حتى أخرجني من بين أبوين لم يلتقيا على سفاح قط^(١) ..

وفي رواية أخرى قال «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»: لم يدنسي بدنـس
^(٢) الجاهلية .

وهكذا، فان طهارة الصلب مرتبطة مع الإيمان والتوحيد، إيماناً
ومعتقداً بوحدانية الله سبحانه وتعالى وبالنبوة والولاية لعلي بن أبي طالب
«عَلَيْهِ السَّلَامُ»، فلو أن آباء النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» كانوا كفاراً، لما قال
الرسول «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» نقلنا من أصلاب طاهرة إلى أرحام مطهرة،
من لدن آدم، حتى انتهينا إلى عبد المطلب ...

وعن الباقي والصادق «عَلَيْهِ السَّلَامُ»: تقلبك في الساجدين، تقلبك في
أصلاب الموحدين، من بي إلى بي، حتى أخر جك بيأ من صلب أبيك في
نكاح غير سفاح من لدن آدم «عَلَيْهِ السَّلَامُ» إلى أبيك عبدالله «عَلَيْهِ
^(٣) السَّلَامُ» .

الأرض لا تخلو من حجة:

وقد جاء في الحديث أن الأرض لا تخلو من حجة لله، إما قائم مشهور

(١) ليالي بشاور، م٢، ص ٨٩٨ - ٨٩٩.

(٢) نفس المصدر، ص ٨٩٩.

(٣) ماذا في التاريخ م ١٥، ص ٢٣١، عن جمع البیان.

أو خائف مستور، ولو لا الحجة لساخت لأرض بأهلها، أو لاجت الأرض
بأهلها^(١) ..

ولأجل ذلك خلق الله سبحانه وتعالى الحجة قبل الخلق، ويكون مع
الخلق، وسيكون بعد الخلق... لقوهم:

إن الحجة قبل الخلق، ومع الخلق، وبعد الخلق، فإن كانوا هؤلاء كفاراً
فمن الحجة على الأرض...؟^(٢) .

ومن هنا نرى أن ايمان أبي طالب لا شك فيه إطلاقاً، فهو كأجداده،
كان مؤمناً بالله عز وجل، وعتقداً به، وبها أنزل من كتب، وما أرسل من
أنبياء ورسل، قبل أن يوجد محمد «صلى الله عليه وآله»، وقبل أن يظهر
أمره..

فقد روي عن الرسول «صلى الله عليه وآله» أنه قال لعلي بن أبي
طالب: إن عبد المطلب كان لا يستقسم بالازلام، ولا يعبد الأصنام، ولا
يأكل ماذبح على النصب، ويقول: أنا على دين ابراهيم... .^(٣)

وروي أن أبي طالب قال عند الوفاة: أنا على ملة عبد المطلب... .^(٤)
وفي مؤمن قريش: إن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب^(٥) .

(١) منية الراغب، ص ٦٤، عن كمال الدين ٢٠١/١ هـ ٣.

(٢) منية الراغب، ص ٦٤

(٣) نفس المصدر، ص ٦٥

(٤) نفس المصدر، وشرح النهج ٧، ص ٢٦٢، ج ١٤.

(٥) أبو طالب مؤمن قريش، ص ١٣٧.

عبد المطلب والحنفية البيضاو:

وما كان دين عبد المطلب..؟!

وهل كان غير الحنفية البيضاو..؟ والتي هي دين جده الخليل ابراهيم «عليه السلام»... بدليل ما سبق من قول الرسول «صلى الله عليه وآله»، ودليل قوله تعالى: **(مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصَارَائِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)**^(١).

وهذا هو عبد المطلب يقول:

إن وراء هذه الدار، داراً يجزى فيها المحسن باحسانه، ويعاقب المسيء
^(٢)
بأساءته ...

وفي هذا الصدد يقول المسعودي في كتابه مروج الذهب، في ذكر
ديانات العرب وأرائها في الجاهلية: فمن كان مقرأً بالتوحيد، مثبتاً للوعيد،
تاركاً للتقليد، عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف^(٣) ...

وها هو عبد المطلب يقول لا برهة ملك الحبشة حين جاء بجيشه، ي يريد
هدم الكعبة، فعسكر بالقرب منها، وطلب مقابلة عبد المطلب، فأتي به إليه،
قال له أبرهة، وقد هابه لاستدارة نور النبوة في وجهه:

سلني يا عبد المطلب.. فأبى عبد المطلب أن يسأله شيئاً غير إبل له،
صادرها جنود أبرهة فيما صادروا، فأمر بردها إليه وقال له وقد استصغر

(١) سورة آل عمران آية ٦٧.

(٢) الغدير ج ٧، ص ٣٩٣.

(٣) مروج الذهب ج ٢، ص ١٠٣ ط دار الأندلس، ط الأولى، ١٩٦٥ م ١٣٨٥ هـ.

شأنه لأنه طلب إبله فقط: ألا تسألني الرجوع؟ - الرجوع عن الكعبة...!
فقال له عبد المطلب: أنا رب هذه الأبل، وللبيت رب سيمنعه منك^(١).

وانصرف إلى مكة وهو يقول:

مع الفيول على أنبياها الزرد	يا أهل مكة قد وافقكم ملك
مع الليوث عليها البيض تتقد	هذا النجاشي قد سارت كنائبه
كم نع تبع لما جاءها حرد ^(٢)	يريد كعبتكم والله مانعه

وأمر قريشاً أن تلحق بيطون الأودية ورؤوس الجبال من معرة الحبشه،
وقلد الأبل النعال وخلالها في الحرم، ووقف بباب الكعبة وهو يقول:

يارب فامنعوا منهم حماكا	يارب لا أرجو لهم سواكما
فامنعواهم أن يخربوا قراكا ^(٣)	إن عدو البيت من عاداكما

وبلهجة المؤمن المطمئن الواثق بنصر الله، أردد قائلاً:

يارب إن العبد يمنع	رحله فامنعوا حلالك
لاميلهم، أبداً محالك	ولا يغلبن صليبيهم
أمرتكم به فعالك	ولشن فعلت فانه
نرجيك له فذلك	أنت الذي إن جاء باع

(١) نفس المصدر، ص ١٠٤، وفي مؤمن قريش: أنا رب هذه الأبل وللبيت رب بمحمه ص ٨٣. وفي الغدير: إن لهذا البيت رباً يذب عنه ويحفظه ج ٧، ص ٣٩٣.

(٢) مروج الذهب ج ٢، ص ١٠٤

(٣) نفس المصدر ص ١٠٥، وفي مؤمن قريش ص ٨٣. وقد ورد في آخر البيت الثاني:
فناكا بدلاً من قراكا.

خزي وتهلكهم هنالك	ولوا ولسم يجدوا سوى
منهم يبغوا قتالك	لم استمع يوماً بأرجس
والفيل كي يسبوا عيالك	جرروا جموع ببلادهم
جهلاً، وما رقبوا جلالك	عمدوا حاك بكيدهم
(١) وكعبتنا فامر ما بدا لك	إن كنت تاركهم

ثم خاطب قريشاً قائلًا: يا عشر قريش!، لا يصل إلى هدم هذا البيت
 فان له ربًا، يحميه ويحفظه..^(٢).

ثم دعا ربه بكلمات، فاستجاب له سبحانه وتعالى وأرسل على أبرهة
 (٣) وجيشه طيراً أبابيل، تشبه اليعاسيب، ترميهم بحجارة من سجيل،
 فأهلکهم، وقد وردت حادثة الفيل هذه في القرآن الكريم في سورة الفيل:
 ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ، أَلَمْ يَجْعَلْ
 كَيْدَهُمْ فِي تَضليلٍ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طِيرًا أَبَابِيلًا، تَرْمِيْهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّنْ سِجِيلٍ،
 فَجَعَلَهُمْ كَعَضْفِ مَا كُوِلِّ﴾^(٤) ..

وبعد أن هلك الكثير منهم، وقتل قائدهم، وتراجعوا عن الكعبة

(١) نفس المصدر البستان الأولان فقط ص ١٠٥، وفي الغدير ج ٧، ص ٣٩٣ أربعة أبيات وردت فيه وفي مؤمن قريش اللهم بدل يا رب في أول بيت - وعدوا بدلاً من أبداً في البيت الثاني.

(٢) نفس المصدر ص ٨٤.

(٣) القرآن الكريم سورة أصحاب الفيل.

(٤) في نسخة ثانية : آل قرم.

مدحورين، يجرون أذىال الخيبة والهزيمة، طالبين النجاة من قصف هذه الحجارة العجيبة التي أمرتها طيور أعجب منها، صدح عبد المطلب بهذه القصيدة - والفرح والسرور يملآن كيانه - مؤكداً ما قاله لأبرهه: إن للبيت رباً يحميه، مفتخرأً بهذا النصر الاهلي العظيم:

ثم ما ي عن نداكم من صمم من يرده بآثام يصطدم حمير والحي من آل قدم ^(١) جارح أمسك منه بالكم إن ذا الأشرم غرب بالحرم لم ينزل ذاك على عهد ابره ثم عاداً قبلهما ذات الأرم صلة القربي وايفاء الذمم ^(٢) يدفع الله بهما عننا النقم	أيها الداعي وقد أسمعتني إن للبيت لرباً مانعاً رامه تبع فبمن جندت فانثنى عنه وفي أوداجه قلت والأشرم تردى خيله نحن آل الله فيما قد مضى نحن دمنا ثم مودأ عنوة نعبد الله وفيينا سنة لم تزل الله فينا حاجة
---	---

إن الدعوة كانت في دار أبي طالب:

هذا هو عبد المطلب، يؤكّد أنه من صلب إبراهيم «عليه السلام» حيث يقول: نحن آل الله... وأن للبيت رباً مانعاً يحميه، ثم يؤكّد على أنهم آل الله من لدن إبراهيم «عليه السلام» وأنهم لا يعبدون غير الله سبحانه وتعالى

(١) مروج الذهب ج ٢، ص ١٠٦.

(٢) مروج الذهب ج ٢، ص ١٠٦.

وأن منهجهم في هذه الحياة: صلة القربي والوفاء بالعهد والوعد... كما وأن فيهم الحجة على الناس، فهم حجة الله على خلقه... أهل تكون حجة الله كافرة مشركة؟ فإن كانت كذلك، فلا إيمان ولا توحيد فالكل مشرك كافر جاحد..

وهكذا نرى أن عبد المطلب كان موحداً مؤمناً بالله وحده، يعبده لا يشرك به أحداً..

هذا، والتاريخ، قديمه وحديثه، لا يتحدث أبداً ولو بالاشارة البعيدة على أنه سجد لصنم قط، أو أن له علاقة بالأصنام، لا كبيرة ولا صغيرة... وكذلك ولده أبو طالب، الذي قال للرسول محمد «صلى الله عليه وآله» عندما جمع عشيرته عند الصفا ليتذرها بما جاء به - يوم الانذار:

ما أحب إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك وأشد تصدقنا لحديثك،
وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنما أنا أحدهم، غير أنني أسرعهم إلى ما تحب،
فامض لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أن نفسي لا
تطاوعني على فراق دين عبد المطلب..^(١).

وقد ثبت أن دين عبد المطلب، ما كان إلا دين التوحيد والإيمان بالله (الحنيفية البيضاء)، ولم يشرك قط... وهذا ما عنده أبو طالب بتصريح قوله للرسول «صلى الله عليه وآله»: إن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب..

وهو يريد بذلك التمويه والتورية والتعمية على قريش، لثلا تناصبه

(١) الغدير ج ٧، ص ٣٩٣، عن الكامل لابن الأثير، ج ٢، ص ٢٤، هامش ١. كما وردت في مؤمن قريش ص ١٣٥.

العداء، فيفقد الحيلة التي تمكنه من الدفاع عن النبي «صلى الله عليه وآله» والدين الذي جاء به، واحترامها له، وتشعل الحرب عليه وعلى محمد «صلى الله عليه وآله» على حد سواء، ويقضي عليهما وعلى الدعوة الشريفة في مهدها..

هذا وقد جاء في السيرة الخلبية الجزء الأول صفحة ٣٠٤: إن الدعوة كانت في دار أبي طالب...^(١).

وهذا ابن أبي الحديد يجعل الانتساب لأبي طالب، عزاً وشرفاً ما بعده عز أو شرف، حين يتحدث عن الامام علي «عليه السلام» معدداً خصائصه ومزاياه فيقول:

وما أقول في رجل، أبوه أبو طالب، سيد البطحاء، وشيخ قريش
ورئيس مكة؟!^(٢)

قالوا: قل أن يسود فقير وساد أبو طالب وهو فقير لا مال له، وكانت قريش تسميه الشيخ ...^(٣)

ويقول أيضاً: واعلم أن علياً «عليه السلام» كان يدعى التقدم على الكل، والشرف على الكل، والنعمة على الكل، بابن عمّه محمد «صلى الله عليه وآله»، وبنفسه، وبأبيه أبي طالب عليه السلام، فإن من قرأ علوم السير، عرف أن الإسلام لولا أبو طالب لم يكن شيئاً مذكوراً...^(٤).

ثم يقول عن أبي طالب أكثر من ذلك، فيصفه بأنه من المتأهلين،

(١) الغدير ج ٧، ص ٣٩٤.

(٢) نهج البلاغة، ج ١، ص ٣٢.

(٣) نفس المصدر، ص ١١٢.

والمتألهون هم غير عبدة الأصنام، انهم المؤمنون بالله الذي لا اله الا هو خالق الخلق، المبدئ والمعيد... يقول ابن أبي الحديد في شرح النهج، فصل أديان العرب، وفرقهم في الجاهلية:

فاما الأمة التي بعث محمد «صلى الله عليه وآلـه» فيها، فهم العرب، وكانوا أصنافاً شتى، فمنهم معطلة ومنهم غير معطلة، فاما المعطلة منهم، فبعضهم أنكر الخالق والبعث وال إعادة وقالوا ما قال القرآن العزيز عنهم: ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر...^(١).

ثم يقول: فاما الذين ليسوا بمعطلة من العرب فالقليل منهم، وهم المتألهون، أصحاب الورع والتحرج عن القبائح، كعبد الله، وعبد المطلب، وابنه أبي طالب^(٢)... وأما أبو طالب نفسه وفي ما يخص مسألة الإيمان عنده، فقد قرن القول بالفعل، فآمن قولهً وفعلاً، وهذه هي موافقه تشهد وتؤكّد على ذلك، وهذا هو كلامه، إن شرعاً وإن ثرأً، بالقول الصريح، واللسان الفصيح، ينضح، لا بل يضج إيماناً بالله، وبنبوة ابن أخيه محمد بن عبد الله «صلى الله عليه وآلـه» منذ بدء الدعوة وحتى وفاته رضوان الله تعالى عليه، فقد حمى وآزر ودافع، وضحى بماله والنفس والولد، هذه الدعوة وصاحبها، حتى صلب عودها واستقامت، وأينعت، ولو لاه، كما يقول ابن أبي الحديد: لم يكن الإسلام شيئاً مذكوراً.. وها هو من أول يوم من أيام الدعوة المباركة يشجع الرسول «صلى الله عليه وآلـه» ويحفزه، ويدفعه بل ويأمره لاظهار أمره ونشر رسالته الشريفة، وهو متيقن بأنه هو النبي

(١) شرح النهج ج ١، ص ٩٤. والأية من سورة الجاثية، رقم ٢٤.

(٢) نفس المصدر، ص ٩٦.

المتظر، على لسان أبيه عبد المطلب، الذي كان يقرأ الكتب جمِيعاً ويقول:

إن من صلبي لنبياً، لو ددت أني أدركت ذلك، فآمنت به فمن أدركه من ولدي فليؤمن به...^(١)

كما وأنه منذ بداية دعوته قال له وبصيغة الحض والأمر:

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منك عيوناً^(٢)

إنك الرفيع كعباً:

وفي الحديث أنه لما جاءه محمد «صلى الله عليه وآلـه» في أول دعوته: إن النبي «صلى الله عليه وآلـه» قال للعباس رضي الله عنه: إن الله قد امرني باظهار أمري، وقد أنبأني واستنبأني، فما عندك؟...

فقال له العباس رضي الله عنه:

يا ابن أخي، تعلم أن قريشاً أشد الناس حسداً لولد أبيك، وإن كانت هذه الخصلة، كانت الطامة الطماء، والداهية العظيمة، ورمينا عن قوس واحد، واتسفونا نسفاً، صلنا ولكن قرب إلى عمك أبي طالب، فإنه أكبر أعمامك، إن لا ينصرك، لا يخذلك ولا يسلفك، فأتياه فلما رآهما قال:

إن لكم لحظة وخبرأً... ما جاء بكم في هذا الوقت...؟ فعرفه العباس ما قال له محمد «صلى الله عليه وآلـه»، وما أجابه به العباس، فنظر إليه أبو طالب وقال له: أخرج ابن أخي - فانك الرفيع كعباً، والمنيع حزباً، والأعلى أباً، والله لا يسلفك لسان الا سلقته ألسن جذاد، واجتذبه سيف حداد،

(١) الغدير ٧، ص ٣٨٨. مؤمن قريش ص ١٠٧، ١٣٣ وشيخ الأبطح ٢٤-٢٣.

(٢) راجع ما سبق.

والله لتذلن لك العرب ذل البهم لخاضنها، ولقد كان أبي يقرأ الكتب جيئاً،
ولقد قال: إن من صلبي لنبياً، لو ددت أني أدركت ذلك فآمنت به، فمن
ادركه من ولدي فليؤمن به ...^(١)

لقد أيد أبو طالب وبقوة محمدأً «صلى الله عليه وآلـه» ووافقه على هذا
الأمر، للمضي في أمره هذا بشجاعة، وثبات وقوة وايمان، مؤكداً له أنه
سيلاقي منه النصرة والتأييد، وسيكون له الحصن الحصين إذا ما دافعته
قريش، أو أعلنت الحرب عليه لا بل أكثر من ذلك، فهو يستقرئ له
المستقبل، ويؤكـد له النصر... وستقاد له قريش، لا بل العرب كلـها،
مقسماً بالله على ذلك قائلاً:

والله لتذلن لك العرب ذل البهم لخاضنها...^(٢).

ثم بعد ذلك نراه يلقي الاطمئنان والثقة في قلوب اتباع «صلى الله عليه
وآلـه» النبي ويزرع الأمل في نفوسهم أو يفتح أبواب ذلك أمام من لم يؤمنوا
بعد أو يعيشون حالة التردد، بقوله له: بأنه يعلم بأمره من أبيه عبد المطلب،
وأنه مؤمن به، فلتقر عينه، وعين أبيه وليهـا أبوه عبد المطلب، وترتاح روحـه
وتطيب نفسه، فهو مؤمن به مصدق بقوله وبوصيته، عامل بها، ومجاهـد
لتحقيقها..

وما كان قوله أبي طالب لابن أخيه، محمد «صلـى الله عليه وآلـه» هذا
القول الا عن تصديق وإيمان، فلو لم يكن مصدقاً له، مؤمناً به ويدعوه،
عارفاً عالماً بحقيقةـه لكان أنكر عليه ما قالـه: (إن الله قد أمرني بإظهـارـه،

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

أمري)... لأنه يعلم أنه - لو كان صحيحاً يعبد الأصنام كما يدعون - فان ابن أخيه سوف يقضي عليه وعلى أصنامه وعقيدته، وهذا خلاف العقل والمنطق، لأن حمية الدين أقوى من حمية القرابة، أو أية حية أخرى، فإن كان أبو طالب قد قدم حمية القرابة على ما عداها كما يقولون؟! فأين هي إذا حمية القرابة عند أبي هب...؟! وهو عم الرسول «صلى الله عليه وآلـه»، كابي طالب...!.. ولكنها والله حمية الدين وحمية الإيمان عند هذا الشيخ الجليل المؤمن المجاهد، شيخ الأبطح... وتكفي كفالته للرسول «صلى الله عليه وآلـه» برهاناً ساطعاً على إيمانه، فلو لم يكن مؤمناً، لما أوكلت إليه هذه الكفالة، فليس من المعقول أن يكفل أو يربى كافر نبياً.. ويبقى مدافعاً عنه بعد أن يعلن نبوته ويجهز به ويعلم بحاله. وها هو عبد المطلب يقول لأبي طالب عندما أوكل إليه كفالة النبي محمد «صلى الله عليه وآلـه». يا أبي طالب، إني قد عرفت ديانتك وأمانتك، فكن له كما كنت له ..^(١)

فأية ديانة هذه...؟! وأية أمانة..؟! أية ديانة قصدتها عبد المطلب؟ وهو العليم الخير بابنه... إنها والله، الإيمان ولا شيء غيره أبداً... وعندما نزلت آية الانذار، وأنذر عشيرتك الأقربين، خرج رسول الله «صلى الله عليه وآلـه» فصعد الصفا؟، وصاح بأعلى صوته: يا صباهاه... فاجتمعت قريش إليه، فخاطبهم قائلاً:

أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح الجبل.. أكتم مصدقـي...؟!

قالوا: نعم... ما جربنا عليك كذباً...

قال: فإني نذير لكم من عذاب شديد...

(١) سبق ان شرحنا ذلك باسهاب في فصل كفالة النبي، فراجع ذلك.

قال أبو هب: تبارك... أما جمعتنا إلا هذاإ؟! ..^(١)

فسكت الرسول «صلى الله عليه وآلـه» ولم يتكلـم.. وتفرقوا...

وعاد الرسول «صلى الله عليه وآلـه» فأمر علي بن أبي طالب «عليه السلام» أن يجمع أبناء عشيرته الأقربين، من زعماء قريش، في داره، وأن يصنع لهم طعاماً وشراباً.. ففعل... وبعد أن فرغوا من الطعام، وقف الرسول ليخاطبـهم، فبادرـه أبو هـب، وقال:

هؤلاء هـم عمومـتك وبنـو عـمك، فـتكلـم وـدع الصـباء^(٢)... واعـلم أنه ليس لـقومـك بالـعرب قـاطـبة طـاقـة، وإنـ أـحق منـ أـخذـك فـجـبـسكـ، بـنـوـ أـبيـكـ، وإنـ أـقـمتـ ماـ أـنتـ عـلـيـهـ، فـهـوـ أـيسـرـ عـلـيـهـمـ مـنـ أـنـ يـنـبـئـ لـكـ بـطـوـنـ قـرـيـشـ، وـتـمـدـهـمـ الـعـربـ، فـهـا رـأـيـتـ أـحـدـاـ جـاءـ عـلـىـ بـنـيـ قـوـمـهـ بـشـرـ مـاـ جـتـهـمـ بـهـ...^(٣)

فسكت الرسول «صلى الله عليه وآلـه» عليه ولم يتـكلـم...

ثم عـادـ وـجـعـهـمـ مـرـةـ أـخـرىـ، وـخـاطـبـهـمـ قـائـلاـ بـعـدـ أـنـ حـمـدـ اللهـ وـأـثـنـىـ

عليـهـ:

انـ الرـائـدـ لـاـ يـكـذـبـ أـهـلـهـ، وـالـلـهـ إـنـ رـسـوـلـ اللـهـ إـلـيـكـمـ خـاصـةـ، وـالـنـاسـ عـامـةـ، وـالـلـهـ لـتـمـوـنـ كـمـاـ تـنـامـونـ، وـلـتـبـعـشـ كـمـاـ تـسـتـيقـظـونـ، وـلـتـحـاسـبـ بـهاـ تـعـمـلـونـ، وـإـنـهـ الـجـنـةـ أـبـدـاـ، وـالـنـارـ أـبـدـاـ^(٤)..

ولـمـ يـكـدـ الرـسـوـلـ «ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ»ـ يـنـهـيـ كـلـامـهـ، حـتـىـ بـادـرـهـ أـبـوـ

(١) الغدير ج ٧، ص ٣٩٢.

(٢) الخروج عن الدين وتركه إلى دين آخر.

(٣) الغدير ج ٧، ص ٣٩٢.

(٤) الغدير ج ٧، ص ٣٩٢.

طالع فائلاً:

ما أحب إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشد تصديقنا لحديثك،
وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنما أنا أحدهم غير أنني أسرعهم إلى ما تحب،
فامض لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أن نفسي لا
تطاوعني على فراق دين عبد المطلب ^(١) ..

وهنا تدخل أبو هب معترضاً فقال:

هذه والله السوأة! خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم^(٢) ..

فما كان من أى طالب إلا أن رد عليه صالحًا ويشدّه:

وَاللَّهُ لَنْمَنِعَنَّهُ مَا يَقِنَا^(٣) ..

ويعود الرسول «صلى الله عليه وآلـه» ويجمعهم مرة أخرى، وصنع لهم طعاماً وشراباً أيضاً... وبعد أن فرغوا من الطعام والشراب، قام رسول الله «صلى الله عليه وآلـه» ليتكلـم فاعتـرضـه أبو هـبـ، لعـنه اللهـ، فـانتـهـرـهـ أبو طـالـبـ قالـلـاـ:

أَسْكَتْ يَا أَعُورْ! مَا أَنْتْ وَهَذَا...؟^(٤) ثُمَّ أَرْدَفَ يَقُولُ:

(١) الغدير ج ٧، ص ٣٩٣، وفي مؤمن قريش، ص ١٣٥.

(٢) مؤمن قريش ص ١٣٥، عن الكامل لابن الأثير، ص ٤١ ج ٢، والسيرات الخلبية ص ٣٢١، ج ١، هامش ١ - ٢.

(٣) مؤمن قريش ص ١٣٥، عن الكامل لابن الأثير، ص ٤١ ج ٢، والسير الخلبية
ص ٣٢١، ج ١، هامش ١ - ٢.

(٤) مادا في التاريخ م ١٥، ص ٢٣٩.

إجلسوا، لا يقون من أحد... فجلسوا جميعاً، والتفت أبو طالب إلى النبي «صلى الله عليه وآله» وقال له:
قم يا سيدني فتكلم بما تحب، وبلغ رسالة ربك، فإنك الصادق
المصدق^(١) ...

وبعد.. أو ليست مواقف أبي طالب هذه، مواقف الآيمان الصادق المستقر في الجنان، من أول يوم من أيام الدعوة، بل قبلها لما كان يعلمه ويعرفه عنها وعن أصحابها، قبل أن يولد..؟ قبل أن يبعث..؟ بلى، إنه الموقف الآيماني المنبعث من قلب مطمئن طافح بالآيمان، والصادر عن خضوع أبي طالب للدين الحنيف، وتصديقه به ولصاحبه الصادع به، وهل الآيمان غير ذلك...؟ وكيف يكون الآيمان إذا..؟ أو ليس أبو طالب «عليه السلام» وأبو هب لعنة الله، أخوين وعمي محمد «صلى الله عليه وآله»، ألم يكونا في نفس المنزلة من القرابة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلماذا إذاً هذا التناقض والاختلاف في المواقف.. ولماذا هذا التناقض..؟! واحد يحميه، يحوطه ويدافع عنه، ويضحى من أجله، بالمال والنفس، والمكانة وحتى بالولد، ويقف بجانبه، يمنعه من قريش، وبغيها وغدرها بلسانه تارة، وبسيفه أخرى، ويفديه بولده، ويأمر أولاده بمصاحبة وملازمة، بل والصلة خلفه.. وآخر يقف في وجهه، محرضًا عليه قومه ليقتلوه، ويکيد له ليل نهار.. فما معنى هذا التناقض في المواقف، يا ترى..؟! وما سره..؟!

فإن قيل: إنها حمية القرابة، لوجب أن يقف أبو هب لعنة الله عليه مدافعاً عن محمد «صلى الله عليه وآله» كما يفعل أبو طالب، بل وعلى أقل

(١) شيخ الأبطح، ص ٣٤.

تقدير وكما يقال: أضعف الآيمان - أن يقف على الحياد، فلو فعلها أبو هب لعنه الله، ولو بأضعف الآيمان.. لانتفى التناقض بينهما، وقصرت المسافة بين الموقفين، وتوحد الموقف إلى حد ما... ولكن أبو هب، لعنه الله، اصر على عناده وكفره... وعداته الشديدة لابن أخيه محمد «صلى الله عليه وآله» فكان: (من أشد الناس على النبي وأكثرهم جرأة عليه، وايذاء له...)^(١).

ويدل أن يتحرك لحبيته والدفاع عنه تحرك لا يذاقه فكان رغم قربته له من أشد الناس عليه «صلى الله عليه وآله».

فالمسألة إذاً في هذا التناقض ولا شك، هي العقيدة... إنها الدين والآيمان... الآيمان فقط لا غير، فهو الدافع الأول، والمحرك الأساس ليس إلا...

وأبو طالب «عليه السلام» بآيمانه وقوته عقيدته، يقف هذا الموقف القوي مدافعاً عن محمد الرسول، لا عن محمد صاحب القرابة... فهو بدفعه عن محمد، صاحب الرسالة - محمد النبي - وحمايته له إنما يدافع عن دينه وعقيدته وإيمانه... كما أن أبو هب لعنه الله يدافع هو الآخر عن باطله ودينه وعقيدته وأصنامه.. وهذا هو بيت القصد.. هذا هو السر الغامض في الموضوع. وفي ذلك يقول العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى دام توفيقه ومد الله في عمره:

إن حية الدين أقوى من حية النسب، ولذلك نرى المسلمين يصرحون بأنهم على استعداد لقتل آبائهم وأولادهم في سبيل دينهم، وقد استأذن عبدالله بن عبد الله بن أبي، استأذن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بقتل

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج ٣، ص ٢٢٠.

وفي صفين أيضاً لم يرجع الأخ عن أخيه حتى أذن له أمير المؤمنين
^(٢) «عليه السلام» بتركه .

ثم نراه وفي موقف آخر وأثناء حصار الشعب عندما ذهب ليخبر
قريشاً بها أخبره به النبي «صلى الله عليه وآلـه» من أن الأرضة أكلت ما في
الصحيفة من ظلم وقطيعة رحم، فانه قال لهم وبلهجة المؤمن الموقن بنبوة
أخيه وصدقه وأن الله أوحى إليهم قال لهم: إن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني
قط..

ثم إن مخاطبة أبي طالب لابن أخيه بـ : (قم يا سيدى وتكلم بما تحب،
وبلغ رسالة ربك فإنك الصادق المصدق...). فيها الإيمان كله، والا فما
معنى أن يخاطب العم والكفيل، والمربى، والذي هو بمنزلة الوالد لابن
أخيه، بـ يا سيدى... فيما هذا الاحترام؟!... إن حق العمومة، وحق الكفالة
وال التربية، وحق السن حتى، يضع الكرة في ملعب محمد «صلى الله عليه
وآلـه» ويرتب الأمر على عاتقه، فهو الابن وعليه يقع احترام الوالد، والأولى
أن يخاطب الابن أباه بهذا خطاب... فلماذا قلبت الآية وأصبح الولد
مخاطباً، والوالد مخاطباً..؟ وما هي حقيقة الأمر...؟ وما هذه المنزلة الرفيعة
لـ "محمد «صلى الله عليه وآلـه» عند عمه..؟! لو لم يكن أبو طالب مؤمناً
بنبوته، مصدقاً له ولرسالته؟... إنها والله منزلة النبوة، وموقعها عند أبي

(١) نفس المصدر : عن تفسير الصافي ج٥، ص ١٨٠ وعن السيرة الحلبية ج٢، ص ٦٤، وعن الدر المثور ج٦ نص ٢٤، والاصابة ج٢، ص ٣٣٦.

(٢) نفس المصدر، عن صفين للمنقري ص ٢٧١/٢٧٢: هامش (٢).

طالب، إنه الإيمان الذي بلغ مداه...

ثم نراه يصفه بالصادق المصدق، بعد أن خاطبه: يا سيدى، ثم نراه وفي موقف آخر وأثناء حصار الشعب عندما ذهب ليخبر قريشاً بما أخبره به النبي «صلى الله عليه وآلـه» من أن الأرضة أكلت ما في الصحيفة من ظلم وقطيعة رحم، فإنه قال لهم وبلهجة المؤمن الواثق بنبوة ابن أخيه وصدقه وأن الله أوحى إليه، قال لهم: إن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني قط. وإذا لم يكن هذا إيماناً... فما هو يا ترى..؟! وما معنى ذلك كله..؟!؟

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» والله ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنناً فقط، قيل له: فيما مكانوا يعبدون؟

قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين ابراهيم «عليه السلام» متمسكون به ورد ذلك في الغدير ج ٧ ص ٤٣٠.

ويقول الإمام الحنفي المشهور بابن وحشى - من علماء العامة - في شرحه على الكتاب المسمى: شهاب الأخبار: إن بعض أبي طالب كفر^(١) .. أما زيني دحلان يقول في أنسى المطالب: ولم ينقل عن أبي طالب بطريق صحيح أنه اتخذ صنناً لهاً وعبد حجراً. أو نهى النبي هن عبادة ربه.. ثم يقول: ومثل هذا ناج في الآخرة^(٢).

ولكن كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَغْمُى الْأَبْصَارُ وَلَكِنَّ

(١) منية الراغب في إيمان أبي طالب ص ٩٩ مستند عن أنسى المطالب هـ ١.

(٢) منية الراغب في إيمان أبي طالب ٩٩ مستند عن أنسى المطالب هـ ١.

تَغْمِي الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ^(١).

كم من حقيقة... ذهبت فريسة الأهواء:

إنه الحقد والله، حقدبني أمية على ابنه علي «عليه السلام» فالحقد يعمي صاحبه، فيضلـه الطريق... لقد حسدوـا ولده عليـاً «عليه السلام»، وكرهـوهـ، وحـقدـواـ عـلـيـهـ وـأـبـغـضـوهـ، وـلـمـ يـجـدـواـ فـيـهـ عـيـاـ، فـحـاـوـلـواـ أـنـ يـنـالـواـ مـنـهـ بـأـيـهـ فـجـاؤـواـ بـيـدـعـتـهـمـ هـذـهـ، وـمـكـرـواـ...

وفي ذلك يقول الكاتب المصري محمد كامل حسن المحامي: وأخطر ما تعرضت له شخصية أبي طالب، تلك الحملة الشعواء التي تعرض لها أبو طالب من بنـيـ أمـيـةـ - حين روجـواـ أـفـواـهمـ وأـكـاذـبـهـمـ حولـ إـسـلامـ أبيـ طـالـبـ «عليـهـ السـلـامـ»، وكانـ الغـرـضـ منـ التـشـكـيكـ فيـ اـسـلـامـهـ، النـيـلـ منـ الـإـمـامـ عليـ بنـ أبيـ طـالـبـ «عليـهـ السـلـامـ»^(٢) ...

وفي ذلك يقول العـلـامـةـ السـيـدـ مـحـمـدـ عـلـيـ شـرـفـ الدـيـنـ «رـحـمـهـ اللهـ» في كتابـهـ شـيـخـ الـأـبـطـحـ:

كم من حقيقة ناصعة بيضاء ذهبت فريسة الأهواء، وكم من حقائق راهنة وضعت في باحة التشكـيكـ... إنـ أيـديـ القـوىـ الزـمنـيةـ الـقـاـمـرـةـ كـثـيرـاـ ما حـولـتـ الـضـرـوريـ نـظـريـاـ، وـالـحـلـالـ حـرـاماـ، وـالـجـمـلـ نـاقـةـ... منـ هـذـهـ الـحـقـائـقـ - التيـ كانتـ منـ الـوـضـوحـ بـمـكـانـ فيـ الـصـدـرـ الـأـوـلـ مـنـ الـإـسـلـامـ - ايـمانـ أبيـ

(١) سورة الحـجـ آيـةـ ٤٦ـ.

(٢) أبو طـالـبـ عـمـ الرـسـولـ، سـلـسلـةـ عـظـيمـاءـ الـإـسـلـامـ، صـ ١١ـ - ١٢ـ، لـلكـاتـبـ المـصـرـيـ محمدـ كـاملـ حـسـنـ المحـامـيـ.

طالب^(١) ... ثم يقول:

إن نزاع المسلمين في الأثبات والنفي في المسألة إنما هو وليد قيام معاوية وزملائه ضد الخلافة العلوية، ووليد اسعارهم نيران الحرب والفتنة عداوة صالح المؤمنين علي «عليه السلام» ...

إلى أن يقول:

فلم يكن في الدنيا بعد ذلك أثقل على معاوية من ذكر مناقب علي «عليه السلام»، وأهل بيته ...

وبناءً على ذلك: وما دام لأهل البيت نور وظهور، وفيهم نظير سبطي الرسول «صلى الله عليه وآلـهـ الحسن والحسين «عليه السلام»، لا يدوم لبني أبيه ملك ...

لذلك كلـهـ أراد معاوية أن يبرـمـ الأمر لبني أبيه ويستولد من الخلافة مـلـكاـ ضـخـماـ يـقـرـهـ في عـقـبـهـ ... ولا يستقيم له ذلك إلا بـنـقـضـ أساس سورـ أـهـلـ
البيـتـ عليهمـ السلامـ وإـطـفاءـ نـورـهـمـ ..^(٢)

معاوية وثقافة اللعن وتشويه الحقائق:

وقد طبق معاوية نظريته هذه تارة بالتنكيل بشـعـبـهـمـ والـبـطـشـ بهـمـ، وطورـاـ بتـفـريـقهـ الأـمـوالـ وإـقـطـاعـهـ الـبـلـادـ وـالـضـيـاعـ عـلـىـ أـنـصـارـهـ وـمـحـازـيهـ وـمـعـاوـيـهـ فيـ هـذـهـ الـحـربـ الـضـرـوـرـيـهـ الـتيـ شـنـهـاـ عـلـىـ أـهـلـ الـبـيـتـ وـعـلـىـ شـعـبـهـمـ، وـأـجـزـلـ فـيـ الـعـطـاءـ لـكـلـ مـنـ اـخـتـلـقـ رـوـاـيـةـ مـكـذـوـبـةـ أوـ وـضـعـ حـدـيـثـاـ

(١) شـيخـ الـأـبـطـحـ، صـ ٧٢ـ ٧٣ـ.

(٢) شـيخـ الـأـبـطـحـ صـ ٧٢ـ ٧٣ـ ..

مختلفاً يرفع من شأن الصحابة ولو كذباً وزوراً، ويحط من كرامة علي «عليه السلام» وكرامة أهل البيت «عليه السلام» محاولاً قتل الحقيقة، وإطفاء نورهم عليهم الصلاة والسلام..

وأخيراً، نجده يفتح مدرسة جديدة ويؤسسأسوأ منهاج وأقدر ثقافة في الشتم واللعن على المنابر... حيث أنه جعل هذه الثقافة سنة يعمل بها مدة ستين عاماً، أو أكثر وفي ذلك يقول الحافظ السيوطي:

إنه كان في أيامبني أمية أكثر من سبعين ألف منبر يلعن عليها علي «عليه السلام» بما سنه معاوية من ذلك^(١) ...

وبهذا الخصوص، يقول العلامة أحد الحفظي الشافعي في أرجوزته:

قد كان فيما جعلوه سنة	وقد حكى الشيخ السيوطي انه
من فوقهن يلعنون حيدرة	سبعون ألف منبر وعشرة
تصفر بل توجه اللوائم	وهذه في جنبها العظام
أم لا وهل يسّتر أو يهادى؟	فهل ترى من سنها بعادى
أجب فاني للجواب منصت	أو عالم يقول عنه نسكت
كقولهم في بغיהם أم الحد؟	وليت شعري هل يقال اجتهدا
إن الذي يؤذيه يؤذى من؟ ومن	اليس ذا يؤذيه أم لا؟ فاسمعن
هل فيكم الله يسب منه له؟	بل جاء في حديث أم سلمة
وعاد من عادى أبا تراب ^(٢)	عاون أخا العرفان بالجواب

(١) نفس المصدر، ص ٧٣.

(٢) شيخ الأبطح ص ٤٤، أبا تراب: أبو تراب : كنية الامام علي بن أبي طالب: شرح

يقول ابن أبي الحميد في شرح النهج: إن معاوية أمر الناس في العراق والشام وغيرها بسب علي «عليه السلام» والبراءة منه، وخطب بذلك على منابر الاسلام، وصار ذلك سنة في أيام بنى أمية...

ثم يقول:

أن معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة: اللهم إن أبا تراب الحد في دينك، وصد عن سبائكك، فالعنده لعناً وبيلاً، وعذبه عذاباً أليها... وكتب بذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يشار بها على المنابر، إلى خلافة عمر

^(١)
بن عبد العزيز ..

وذكر أبو عثمان أيضاً أن هشام بن عبد الملك لما حج، خطب بالموسم، فقام إليه إنسان وقال:

يا أمير المؤمنين، إن هذا يوم كانت الخلفاء تستحب فيه لعن أبي تراب،
قال: أكفف، فما لهذا جتنا ^(٢) ..

وقال ابن أبي الحميد أيضاً:

إن معاوية وضع قوماً من الصحابة والتابعين على رواية أخبار قبيحة في علي «عليه السلام» تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغلب في مثله، فاختلقو ما أرضاه، منهم: أبو هريرة وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير ^(٣) ...

= النهج م، ٢، ص ٢٧٨.

(١) شرح نهج البلاغة، م، ٢، ج، ٤، ص ٢٧٨.

(٢) نفس المصدر ص ٢٨٣.

(٣) نهج البلاغة م، ٢، ج، ٤، ص ٢٨٣.

وهكذا نرى أن السلطة الأموية جندت المال، والسيف والقلم والخطباء والكتاب والرواة، وكل ما تستطيعه، لاطفاء النور المحمدي، وتهديم سور البيت النبوي وأهل بيته، من أبي طالب، مروراً بولده الإمام علي «عليه السلام» إلى ولديه السبطين «عليه السلام» وجميع أهل البيت «عليه السلام»... فخطبوا وسبوا ولعنوا على المنابر في المساجد وفي غيرها، ولم يتركوا وسيلة لذلك الا وركبوها... ولاحقوا شيعتهم ومحبيهم، ونكلوا بهم، وبكل من يذكر علياً «عليه السلام» بكلمة طيبة أو يتحدث له بمناقبها، ولو كانت صغيرة... ولم يكتفوا بذلك، فوضعوا الروايات المكذوبة والأحاديث المختلفة والملفقة في ذمه ومدح أعدائه.. وقد جاء في شيخ الأبطح للسيد محمد علي شرف الدين ما يلي:

كتب معاوية نسخة واحدة الى عماله بعد عام الجماعة:

أن برئت الذمة من روى شيئاً في فضل أبي تراب وأهل بيته... فقامت الخطباء في كل كور، وعلى كل منبر يلعنون علياً «عليه السلام» ويعقون فيه وفي أهل بيته..

ثم يقول: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان، ومحبيه وأهل ولاديه الذين يررون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجلسهم، وقربوهم وأكرمواهم... وادعوا الناس الى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، فلا تتركوا حديثاً يرويه أحد المسلمين في أبي تراب، الا وأنوني بمناقض له في الصحابة مفتعل... وألقى معاوية الى معلمي الكتاتيب، فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الشيء الكثير الواسع، حتى رووه وتعلمواه كما يتعلمون القرآن^(١) ..

(١) شيخ الأبطح، ص ٧٤ - ٧٥.

وهكذا، فقد أصبحت الروايات والأحاديث الموضعية والمكذوبة من أكثر السلع رواجاً وانتشاراً في أسواق السياسة الأموية.. يقول ابن أبي الحميد عن أبي جعفر الاسكافي:

وقد روی أن معاوية بذل لسمرة بن جندب مئة ألف درهم، حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب «عليه السلام» :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُغْرِبُكَ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشَهِّدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَّا الْخَصَامُ، وَإِذَا تَوَلَّ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيَهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾^(١) ..

وأن هذه الآية الثانية نزلت في ابن ملجم وهي قوله: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاهُ اللَّهِ﴾^(٢) ..**

فلم يقبل، فبذل له ماتي ألف، فلم يقبل، فبذل له ثلاثة ألف درهم
فلم يقبل، فبذل له أربعين ألف قبل، وروى ذلك^(٣) ..

وببناء عليه لم تبق صورة ولا كلمة للعن أو الشتم الا وقيلت في الامام علي «عليه السلام» وفي ولديه الحسن والحسين «عليه السلام» أو في والده أبي طالب «عليه السلام» ولم ترك له منقبة أو خبر الا وروي لها نقيض، وروي مقابلها كثير من الأخبار والمناقب في الصحابة مفتعلة، لا أساس لها، ولا حقيقة ولا وجود...

وقد روى أبو عثمان أن قوماً من بني أمية قالوا المعاوية: يا أمير المؤمنين،

(١) شرح النهج م ٢ ج ٤ ص ٢٨٩ و الآيات: ٢٠٤ - ٢٠٥ من سورة البقرة.

(٢) نفس المصدر شرح النهج، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٣) نهج البلاغة م ٢، ج ٤. ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

إنك قد بلغت ما أملت فلو كففت عن لعن هذا الرجل! ...

قال: لا والله حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له
فضلاً! ...^(١)

وقال عثمان أيضاً عن عبد الملك بن مروان: ..ولكنه أراد تشييد الملك
وتأكيد ما فعله الأسلاف، وأن يقرر في أنفس الناس أن بني هاشم لاحظ
لهم في هذا الأمر، وأن سيدهم الذي به يصلون، وبفخره يفخرون، هذه
حالة وهذا مقداره، فيكون من يتسمى إليه ويدلي به عن الأمر أبعد وعن
الوصول إليه أشحط وأنزح..^(٢)

واستمرت الحال على هذا أكثر من ستين عاماً، أثناء الحكم الأموي
بفرعيه... الأموي والمرؤاني، وقد بلغ بهم الأمر أقصى درجات الحقد والسفه،
حتى قيل أن أحدهم قال للحجاج بن يوسف الثقفي: أيها الأمير، إن أهلي قد
عقوني فسموني علياً، وإن فقير بائس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج.

فتضاحك له الحجاج وقال: للطف ما توسلت به، قد سميتك كذا،
ووليتك العمل الفلاني..^(٣)

كما رروا أن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله «صلى الله عليه
والله»، إن آل أبي طالب، ليسوا لي، بأولياء^(٤) ..

وروى أهل السيرة أن الوليد بن عبد الملك في خلافه ذكر علياً «عليه السلام»،

(١) نفس المصدر ص ٢٧٨ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٧٩ .

(٣) شيخ الأبطح، ص ٧٦، وشرح النهج م ٢، ج ٤، ص ٢٧٩ .

(٤) شرح النهج م ٢، ج ٤، ص ٢٨٣ .

فقال: لعنه (الله - بالجز - كان لص ابن لص)... وقد كان الوليد لحاناً^(١) ..

يوم بيوم بدر:

وهكذا شوهدت الحقائق، واستشهدت، فقتل اكثراها، واستبدلت بنقيضها، وقضى عليها قضاء مبرما، بعدما كانت من الوضوح بمكان في الصدر الإسلامي الأول، ومن هذه الحقائق المسلمة، قضية إيهان أبي طالب «عليه السلام»، والتي استمرت حقيقة ناصعة، مسلماً بها، حتى كان ما كان من خلافة ولده الإمام علي «عليه السلام»، ومنازعة معاوية له فيها، فأحدثت معاوية وأعوانه، وخلفاؤه ما أحدثوا من أكاذيب وافتراءات وتضليل، ودس الروايات والأحاديث الملفقة، وأشعلوا التزاع في حقيقة إيهان والده أبي طالب... فمسخوا الحق باطلأ... وجعلوا الباطل حقاً...

يقول أبو جعفر الاسكافي: وقد صح أن بنى أمية منعوا من اظهار فضائل علي «عليه السلام»، وعاقبوا على ذلك الراوي له، حتى إن الرجل إذا روى عنه حدثاً لا يتعلق بفضله بل بشرائع الدين لا يتجرأ على ذكر اسمه، فيقول عن أبي زينب... .^(٢)

إذاً فمسألة الاثبات والنفي في هذه القضية أنها هي نتيجة حسد وبغض، وحقد دفين من بنى أمية لعلي «عليه السلام» فجره معاوية بن أبي سفيان، ونماز علية «عليه السلام» أمر الخلافة، فركب الفتنة وأشعل نارها وأعلن حرباً شعواء عليه، متخدناً من مقتل عثمان ذريعة لذلك، فحمل

(١) شرح النهج م٢، ج٤ ص ٢٧٩.

(٢) شرح النهج م٢، ج٤ ص ٢٩٠.

قميص عثمان زوراً وبهتاناً وعلقه في ساحة دمشق، مطالباً بدمه... وحمل علياً «عليه السلام» مسؤولية قتله... وعمد إلى البث والتشكيك، والاعلام الفاسد الحاقد ضد علي «عليه السلام» ومناقبته...

قال مروان بن الحكم، كما، اخرجه الدارقطني - ما كان احداً أدفع عن عثمان من علي، فقيل لمروان، مالكم تسبونه على المنابر؟
قال: إنه لا يستقيم لنا الأمر الا بذلك^(١).

ولما استقام الأمر.. اكمل معاوية حربه على علي «عليه السلام» عليه يحطم اسواره العالية، فجعل والده أبي طالب عنوان حربه فادعى أنه لم يسلم وانه مات كافراً، وما ذلك الا كرهاً للامام علي «عليه السلام» وحقداً عليه لأنه قتل اجدادهم واشياخهم في «بدر الكبرى» وفي غيرها، وهذا حرizer بن عثمان يقول لاهل العراق: انتم يا اهل العراق تحبون علي بن أبي طالب «عليه السلام» ونحن نبغضه، قالوا: لم؟!
قال: لأنّه قتل اجدادي^(٢) ...

وهذا مروان بن الحكم يقول يوم وصل اليه رأس الحسين «عليه السلام» في المدينة وكان اميرها يومئذ، وقد حمل الرأس على يديه:
يا حبذا بردك في البيدين وحمرة تجري على الخدين
كانما بث بمسجدين

(١) شرح النهج م ٧، ج ١٣، ص ١٥٢ وفي شيخ الأبطح ص ٧٣.

(٢) نهج البلاغة م ٢، ج ٤، ص ٢٨٨.

ثم رمى بالرأس نحو قبر النبي، وقال: يا محمد يوم بدر^(١) ...

وكما كانت الأغراض السياسية السبب الأول، والأخير في انتاج الطعن في آل أبي طالب ومحاربتهم، والكره لعلي والخذد عليه - فهو السيد فيهم والكوكب المنير - كانت هي في الوقت نفسه السبب والمحرك على الطعن في أبي طالب لأن المتضرر في رأيهم هو الامام علي «عليه السلام» - فاختفت حقائق ودفت، واحدثت بدعا، ووضعت روایات، ومناقب مفتعلة لا أساس لها من الصحة، وغشى على العيون فأصابها القذى، وعمى بعضها عن رؤية الحقيقة، وخفت موازين، وثقلت أخرى، زوراً وبهتانا... فرجحت كفة أبي سفيان وبنيه، وخفت كفة علي عليه السلام، وأبيه... ولكن هيهات، هيهات، خاب والله أملهم وما يأفكرون، وأنى لهم أو لغيرهم أن يطفئوا نوراً أشعله الله...؟!

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهُ الْكَافِرُونَ﴾ ..^(٢)

ويقول ابو جعفر الاسکافي^(٣)، عن الامام علي «عليه السلام»: والسر الالهي الذي فيه وباستمرار فضله وذكره: فالاحاديث الواردة في فضله لو لم تكن من الشهرة والاستفاضة، وكثرة النقل الى غاية بعيدة، لانقطع نقلها للخوف والتقية منبني مروان مع طول المدة، وشدة العداوة؛ ولو لا ان الله تعالى في هذا الرجل سراً يعلمه من يعلمه، لم يُروَ في فضله حديث ولا

(١) شرح النهج م ٢، ص ٢٨٩.

(٢) القرآن الكريم - سورة التوبه - آية ٣٢.

(٣) هو محمد بن عبد الله توفي سنة ٢٤٠ هـ. وهو من كبار شيوخ المعتزلة.

عرفت له منقبة، الا ترى ان رئيس قرية لو سخط على واحد من أهلها، ومنع الناس أن يذكروه بخير وصلاح، خُل ذكره، ونسى اسمه، وصار وهو موجود معدوماً، وهو حي ميتاً^(١).

ويقول أيضاً: ... والجائزة لمن روى الأخبار والأحاديث في فضل أبي بكر، وما كان من تأكيدبني امية لذلك، وما ولده المحدثون من الأحاديث طليباً لما في أيديهم، فكانوا لا يألون جهداً في طول ما ملكوا ان يحملوا ذكر علي «عليه السلام» وولده، ويظفروا نورهم ويكتموا فضائلهم ومناقبهم وسوابقهم، ويحملوا على شتمهم وسبهم ولعنهم على المنابر، فلم يزل السيف يقطر من دمائهم، مع قلة عددهم وكثرة عدوهم، فكانوا بين قتيل وأسير، وشريد وهارب، ومستخف ذليل، وخائف متربّ، حتى ان الفقيه والمحدث والقاضي والمتكلّم، ليتقدم اليه ويتوعّد بغایة الابعاد وأشد العقوبة ألا يذكروا شيئاً من فضائلهم..

ثم رأينا جميع المخالفين قد حاولوا نقض فضائله، ووجهوا الحيل والتأنويلات نحوها، من خارجي مارق، وناصب حنف، وثبت مستبهم، وناشيء معاند، ومنافق مكذب، وعشباني حسود، يعرض فيها ويطعن، ومعتزمي قد نقض في الكلام، وابصر علم الاختلاف، وعرف الشبه ومواضع الطعن وضروب التأويل، قد التمس الحيل في ابطال مناقبه وتأول مشهور فضائله، فمرة يتأنّ لها بها لا يتحمل، ومرة يقصد أن يضع من قدرها بقياس متقصّي، ولا يزداد مع ذلك إلا قوة، ورفعه، ووضوحاً واستنارة؟

وقد علمت أن معاوية ويزيد ومن كان بعدهما من بنى مروان أيام

(١) شرح النهج م ٢، ج ٤ ص ٢٩٠.

ملوكهم - وذلك نحو ثمانين سنة - لم يدعوا جهداً في حمل الناس على شتمه ولعنه واحفاء فضائله، وستر مناقبه وسوابقه^(١) ..

ملاحظة أخرى: تسائل... ونسأل إذا كان أبو طالب كافراً كما يدعون، فلماذا سكت معاوية على ذلك...؟

ولم يُعبّر علياً «عليه السلام» ولم يعرض به...؟ في الوقت الذي نرى فيه أمير المؤمنين «عليه السلام» يكثر من التعریض بأبي سفيان وبکفره، كما ويعرض بعدم صفاء نسب معاوية أيضاً... حيث يقول معاوية في رسالة مطولة بعثها إليه: ليس امية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كابي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق^(٢) ... فها هو «عليه السلام» يعرض بمعاوية وأبيه أبي سفيان وبأجداده حرب وأمية، ويفخر عليه بأبيه وأجداده...

فلو كان أبو سفيان مسلماً حقاً، وأبو طالب كافراً كما ينقولون ويدعون، لما فاخر علي «عليه السلام» معاوية بذلك بقوله: ولا المهاجر كالطليق... لأن المسلم مفضل على الكافر... فلو كان ذلك صحيحاً لما سكت عليه معاوية اذا ابداً، ولرد على علي «عليه السلام» ذلك، ولكن اول من عرض بکفر ابی طالب..

ثم ان في رسالته اشارة الى عدم صفاء نسب معاوية: وليس الصريح كاللصيق يعني، ان صريح النسب ليس كمن الصق بأب ليس له حقيقة، يقول ابن ابی الحدید: ان هند والدة معاوية كانت تذكر في مكة بفجور

(١) شرح النهج م ٧، ج ١٣، ص ١٥١.

(٢) الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، ج ٣، ص ٢٣٧، مستندت: ٢.

(١) وعهر .

ثم يقول: قال الزمخشري في كتاب (ربيع الابرار) كان معاوية يعزى الى اربعة الى مسافر بن عمرو، والى عماره بن الوليد، والى العباس بن عبد المطلب والى الصباح وهو مغن لعمارة بن الوليد..^(٢).

ويقول ايضاً: معاوية مطعون في دينه عند شيخنا رحمة الله يرمى بالزندقة...^(٣).

وملعون مع ابيه على لسان الرسول «صلى الله عليه وآلـه»، يقول ابن أبي الحديـد: روـيـ شـيخـنـاـ أـبـوـ عـبـدـالـلـهـ الـبـصـرـيـ الـمـتـكـلـمـ رـحـمـهـ اللـهـ، عنـ نـصـرـ بـنـ عـاصـمـ الـلـيـثـيـ، عنـ أـبـيـهـ قـالـ: أـتـيـتـ مـسـجـدـ رـسـوـلـ اللـهـ «صلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ» وـالـنـاسـ يـقـولـونـ: نـعـوذـ بـالـلـهـ مـنـ غـضـبـ اللـهـ وـغـضـبـ رـسـوـلـهـ.

فقلـتـ: مـاـ هـذـاـ؟.

قالـواـ: مـعاـوـيـةـ قـامـ السـاعـةـ، فـأـخـذـ بـيـدـ أـبـيـ سـفـيـانـ، فـخـرـجـاـ مـنـ المسـجـدـ.
فـقـالـ رـسـوـلـ اللـهـ «صلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ»: (لـعـنـ اللـهـ التـابـعـ وـالـمـتـبـوـعـ؛ رـبـ يومـ لـأـمـتـيـ منـ مـعاـوـيـةـ ذـيـ الأـسـتـاءـ).
قالـواـ: يـعـنيـ الـكـبـيرـ الـعـجـزـ..^(٤).

وعـنـ النـبـيـ «صلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ» انهـ قـالـ: انـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ قـالـ لـهـ عـلـىـ

(١) شـرـحـ النـهـجـ، مـ١ـ، جـ١ـ، صـ٢٤٦ـ.

(٢) نفسـ المـصـدرـ.

(٣) نفسـ المـصـدرـ، صـ٢٤٩ـ.

(٤) شـرـحـ النـهـجـ، مـ٢ـ، جـ٤ـ، صـ٢٩٤ـ.

لسان جبرائيل «عليه السلام» يا محمد: ان ربك يقرئك السلام ويقول: اني قد حرمت النار على صلب انتلك - ويبطن حملك، وحجر كفلك... فاما الصلب فهو عبدالله، والبطن فامنة بنت وهب واما الحجر فأبو طالب وفاطمة بنت أسد^(١) ...

واخيراً نسأل كيف يكون أبو طالب كافراً وهو القائل:
فلا تجعلوا الله نداً واسلموا فان طريق الحق ليس بمظلم..

(١) الغدير ج ٧، ص ٤٢٨، وال الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآلـه»، ج ٣، ص ٢٣٨، مستند، هـ ٣.

الفصل السابع:

الوصية والوفاة

- ١ - وصيته ساعة الاحتفخار.
- ٢ - وفاته وتأبين الرسول (ص) له.
- ٣ - سؤال وجواب.

١ - وصيته ساعة الاحتضار:

اما وقد آن للفارس العظيم ان يترجل... شيخ الأبطح... وسيد قريش... ورئيس مكة... وقد تعب منه الجسد... - من ثقل السنين وهم الدنيا - ولم تتعب الروح منه ولا النفس - فالنفوس الكبيرة لا تعرف الملل ولا التعب، ولكنها اشتاقت الى بارئها، فترجل صاحبها ولم يملّ الجهاد... وقد ذرف على الخامسة والثمانين^(١).

ولكن الساح ضاقت بجهاده... ويقي مجاهداً حتى آخر لحظة من حياته... فيها هو وفي ساعة الاحتضار يأبى الا ان يغادر مجاهداً بين يدي نبيه وابن اخيه وفي سيل رسالته السمحاء... انه همه الاول والآخر، وحماته، ونصرته، هي الشغل الشاغل له، حتى في لحظات احتضاره، يرفض ان يغادر هذه الدنيا الا مجاهداً، داعياً للخير والخلق العظيم، والدين القويم، للرسول وللرسالة، داعياً ولده وبني ابيه خاصة وقريشاً عامة، للالتفاف حول محمد «صلى الله عليه وآلـه» والسير خلفه، وحياته، والايام به وبدعوته ملقياً عليهم وصيته والتي حاول وللمرة الأخيرة، واللحظة

(١) آل أبي طالب، ص ٨: بعض وثائقون سنة عن الواقدي، وسبع وثائقون عن المواهب اللدنية. وثمان وثائقون عن سيرة اليعمري.

الأخيرة من حياته ان يجمع وجوه قريش، من استدعاه اليه، خلف النبي محمد «صلى الله عليه وآلـه».. فلعل وعسى. إن الله يهدي من يشاء:
يا معاشر قريش ! انتم صفوـة الله من خلقـه، وقلبـ العرب، فيكم السيد المطاع، وفيكم المقدام الشجاع، الواسع الـباع، واعلموا:
انكم لم تتركوا للعرب في المـاـئـر نصيـباً الا احرـزـتـمـوه... ولا شـرـفاً الا ادرـكـتـمـوه... فـلـكـمـ بذلكـ علىـ الناسـ الفـضـيـلـةـ، وـلـهـمـ بـهـ اليـكـمـ الـوـسـيـلـةـ،
والـنـاسـ لـكـمـ حـربـ، وـعـلـىـ حـربـكـمـ إـلـبـ..

وانـيـ اوـصـيـكـمـ بـتـعـظـيمـ هـذـهـ الـبـنـيـةـ^(١). فـانـ فيهاـ مـرـضـاـةـ لـلـرـبـ، وـقـوـاماـ لـلـمـعـاـشـ، وـثـبـاتـاـ لـلـلوـطـأـةـ.. صـلـوـاـ اـرـحـامـكـمـ، وـلاـ تـقـطـعـوـهـاـ، فـانـ فيـ صـلـةـ الرـحـمـ مـنـسـأـةـ فيـ الـأـجـلـ، وـزـيـادـةـ فيـ الـعـدـدـ... وـاـتـرـكـواـ الـبـغـيـ وـالـعـقـوقـ، فـفـيـهاـ هـلـكـتـ الـقـرـونـ قـبـلـكـمـ - اـجـبـواـ دـعـوـةـ الدـاعـيـ، وـاعـطـواـ السـائـلـ، فـانـ فيهاـ شـرـفـ الـحـيـاةـ وـالـمـهـاتـ...

وـعـلـيـكـمـ بـصـدـقـ الـحـدـيـثـ، وـادـاءـ الـأـمـانـةـ، فـانـ فيهاـ محـبةـ لـلـخـاصـ،
ومـكـرـمـةـ فيـ الـعـامـ...

وـإـنـيـ اوـصـيـكـمـ بـمـحـمـدـ خـيـراـ... ! فـإـنـهـ الـأـمـينـ فيـ قـرـيـشـ، وـالـصـدـيقـ فيـ
الـعـربـ، وـهـوـ الـجـامـعـ لـكـلـ ماـ اوـصـيـتـكـمـ بـهـ، وـقـدـ جـاءـنـاـ بـأـمـرـ، قـبـلـ الـجـنـانـ،
وـانـكـرـهـ الـلـسـانـ مـخـافـةـ الشـنـآنـ...

وـايـمـ اللهـ كـانـيـ انـظـرـ الىـ صـعـالـيـكـ الـعـربـ، وـاهـلـ الـأـطـرافـ،
وـالـمـسـتـضـعـفـينـ منـ النـاسـ، وـقـدـ أـجـابـواـ دـعـوـتـهـ، وـصـدـقـواـ كـلـمـتـهـ، وـعـظـمـواـ
أـمـرـهـ... فـخـاضـ بـهـمـ غـمـرـاتـ الـمـوتـ، وـصـارـتـ رـؤـوسـ قـرـيـشـ وـصـنـادـيدـهـاـ

(١) يقصد الكعبة.

أذناباً، ودورها خراباً، وضعفاًها أرباباً! وإذا أعظمهم عليه أحوجهم
إليه، وأبعدهم منه، أحظاهم لديه...! قد محضته العرب ودادها، وأصفت
له فزادها، واعطته قيادها....

دونكم يا معاشر قريش ابن أبيكم... كونوا له ولاة وحزبه حماة...
والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد...

ولو كان لنفسي مدة، وفي الأجل تأخير، لكتفت عنه المزاهاز، ولدافعت
عن الدواهي... غير أنني أشهد بشهادته، واعظم مقالته...^(١).

إنه أبو طالب، كما هو... سيد في قريش، سيد في الساح، وفارسها
وفارس سيد في الأدب - شعره ونثره - إن نطق شعراً كان كالشلال يتدفق
صافياً لألاء، وسحر ك عسجدية معنى، ودرية نظم، ورصانة شعر.. وان
تكلم نثراً، ادهشك حسن سبكه، وجودة جبكه، ولطافة أسلوبه.. ولا
عجب.. فهو السيد، ابن السيد.. ففيه اجتمعت من عظمة عبد المطلب،
وبطولة هاشم، وحكمة قصي وشجاعته..

وهذه وصيته، كما شعره، تشهد على ذلك، وقد رصفت كلماتها،
وحيكت عباراتها بحركة أدبية رائعة... ايجاز مع روعة المعنى، وترتبط
المبني، وسهولة الاسلوب ولطافته... وهي الى ذلك كلها لوحه ايهاه،
متكملاً، ففي كل عبارة منها ومقطع، صرخة ايها، ونفحة تشهد، وشهادة

(١) مؤمن قريش ص ٢٠٦، وقد أسقط منها الجملة الأخيرة.. ووذكرها في هامش رقم ١ ص ٢٠٦، في شيخ الأبطح ص ٤٩. ذكرت عن روضة الوعاظين، ووردت الوصية كاملة في روضة الوعاظين، ص ١٦٥ - ١٦٦، العلامة محمد بن الفتال النيسابوري.

توحيد، وكل جملة منها درس في الأخلاق والمجتمع، وتأكيد على الروابط الإنسانية ومزاياها، وشد اواصر الرحم ...

وهذه كلها تعاليم إنسانية، وقوانين شرعية وفرض اسلامية...
كيف لا...؟ والكعبة عنده بيت الله الحرام، فهي من شعائر الله، وان عليهم تعظيمها، لأن فيها مرضاه للرب، وفيها كذلك قوام للمعاش، وثبات للوطأة... ففي تعظيمها ربح في الدنيا وربح في الآخرة:

مرضاه الرب، وبجلبة للرزق (قوام المعاش).. وهي بين هذه وتلك طريق للسيادة..

وأما دروسه في الاخلاق والمجتمع فقد شدد على صلة الرحم، ففيه أيضاً دين ودنيا: منسأة في الأجل: (اطالة في العمر)، وزيادة في العدد: وهذا هو الجانب الدنيوي، وأما الدينى منها ففيه التراحم والتوادد، وقد اكد الاسلام على صلة الرحم وشدد عليها، وكثيراً ما ورد ذلك على لسان الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله»...

وفي القوانين الإنسانية فكثير وكثيرة: اتركوا البغي والعقوق، ففيها هلكت القرون قبلكم ففي البغي والعقوق تهدم المجتمعات وقتل للقيم، وفي ذلك هلك من هلك من سبق كفوم عاد.. وثمود... وقوم لوط، وغيرهم كثير.. وأجิبو دعوة الداعي، وأعطوا السائل فان فيها شرف الحياة والمهات.. ربح الدنيا والآخرة، ذكر عطر في الدنيا ورجحان ميزان في الآخرة..

وهذا ما قاله الاسلام إذ حض على اعطاء السائل وعبير السبيل والمحروم - «وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ»^(١) ... «وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا

(١) سورة الذاريات، آية ١٩.

تنهز^(١) ... وغيرها الكثير من الآيات... وعليكم بصدق الحديث، واداء الأمانة، فان فيها عببة في الخاص، ومكرمة في العام، وهذه كلها قوانين انسانية واسلامية، فهنا ميزتان يحملهما الانسان الصالح المؤمن وسام شرف..

والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿وَنِلْ يَوْمَيْذِ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾^(٢).

وفي آية أخرى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾^(٣).

وقال عزوجل: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾^(٤) ...

وهذه كلها قد جاء بها رسول الانسانية محمد «صلى الله عليه وآله» ودعا اليها، فهي في صلب دعوته، والقلب من رسالته، لا بل هي الرسالة كلها:

توحيد فايكان..

أخلاق وتراحم فانسانية...

وماذا بعد ذلك... من تعالىم..؟!

بقي عليه صاحب الدعوة، حمايته وحياته ونصرته... انه الشغل الشاغل والأهم وأهم الأول عنده... وهو الذي صرف من حياته ما يقرب من نصف قرن في سبيله، فها تراه ستكون حالة بعد وفاته وبعد رحيله عن

(١) سورة الضحى، آية ١٠.

(٢) سورة المطففين، آية ١٠.

(٣) سورة النساء، آية ٥٨.

(٤) سورة الانشقاق، آية ٢٢.

هذه الحياة...؟ وقريش تربص به الدوائر.. وماذا يملك له وهو في ساعة احتضاره..؟

بعدما أوصاهم بصدق الحديث، وأداء الأمانة.. نراه يوصيهم مباشرة
بمحمد «صلى الله عليه وآلـه» لأنـه يراه المجد الأول للصدق والأمانة:
وإني أوصيكم بـمحمد خيراً.. فـأنـه الأمـين في قـريـش والـصـديـق فيـالـعـربـ،
وـهـوـ الـجـامـع لـكـلـ مـاـ أـوـصـيـتـكـمـ بـهـ.. ثـمـ يـكـشـفـ عـنـ السـرـ الـكـبـيرـ الـذـيـ لـطـالـمـاـ
حـافـظـ عـلـيـهـ، وـكـتـمـهـ طـيـلةـ حـيـاتـهـ وـتـحـمـلـ لـأـجـلـهـ الـكـثـيرـ مـنـ الـمعـانـةـ...ـ:

وقد جاء بأمر قبله الجنان، وأنكره اللسان، مخافة الشنان.. تصريح واضح، وتصريح بالايمان... ايمانه بالله، وبنبوة محمد «صلى الله عليه وآله» وبدعوته... أمر قبله الجنان وأنكره اللسان... مخافة الشنان...

لم يشاً شيخ الأبطح ان يغادر الى ربه، دون ان يعلن ايهانه، وامام، قريش، التي طالما تخداتها ووقف في وجهها مدافعاً عن حبيبه ونبيه محمد «صلى الله عليه وآلـه».. وها هو يتخداتها ساعة موته.. فيلفظ السر الذي تحمل من اجله، وعاني الكثير، ويعلن ايهانه وامام من حضر من عتاة قريش، ان كتم سر وبهذا الحجم، واحفاءه والعمل في سبيله، مدة طويلة، رغم مرارة الواقع وصعوباته: فمن تهديد بالقتل الى تلويع بحرب لا هوادة فيها، ثم مقاطعة فحصار.. هو بطولة في حد ذاته... أمر جاء به محمد «صلى الله عليه وآلـه»..! وبما جاء محمد «صلى الله عليه وآلـه»؟ غير الدعوة الاسلامية..؟ وقد قبله الجنان.. وسكت عنه اللسان خافة العداوة والبغضاء، حتى لا يفقد القدرة على حماية النبي ودعوته.. أما الآن فلا مانع من الجهر به... وهل الايمان الا اعتقاد بالجنان، وتصديق باللسان..؟ إنه يعلن وبوضوح كبير أنه عمل بالحقيقة، ولم يصرح بما قبله في جنانه ولم يجره

على لسانه مخافة الشنان... فقد خشي على محمد «صلى الله عليه وآلها» وعلى رسالته من عداوة قريش له وحقدها عليه، إن هو أعلن ذلك.. حتى لا تقوم قيامة قريش، وتعلن الحرب عليه وعلى محمد فيتها الرسول وتموت الرسالة في مهدها، ولكنه باخفاء ايمانه وإظهار أنه على دين الآباء، عمى على قريش، فحفظ الرسول واحيا الرسالة، وحفظ ايمانه أيضاً، فكان مثله مثل أصحاب الكهف، ومؤمن آل فرعون... فاتاه الله اجره مرتين...

وها هو يستقرئ المستقبل ببصيرته الباقرة، فيرى ان الرسالة المحمدية وقد انتصرت، وامتدت وقد اجابها المستضعفون، فصدقوا حمداً «صلى الله عليه وآلها» وعظموا شأنه... فانتصرت به، وانتصر محمد «صلى الله عليه وآلها» وذلت له العرب، واسلمت له قيادها.. فإذا دورها خراب، وصناديدها أذناب، فمحضته ودادها واضفت له فؤادها...

وهنا، يعود أبو طالب، فيطلب من قريش، بعدما أراها صفة المستقبل، مندراً اياها بخراب الدار، والهوان والذل إن هي لم تقبل محمدأً «صلى الله عليه وآلها» وتؤمن بنبوته وبدعوته... يعود فيطلب منها الولاء والنصرة لمحمد «صلى الله عليه وآلها» ولا تباعه ففي ذلك الرشد والسعادة:

دونكم، يا معاشر قريش ! ابن ابيكم...

كونوا له ولاء، ولحزبه حماة... والله لا يسلك أحد سبيله الا رشد، ولا يأخذ أحد بهديه الا سعد..

ثم نراه حزيناً آسفاً، لأنه لم يعد في عمره متسع وفي أيامه تأخير، لينال المزيد من شرف نصرته وحياته.. متمنياً طول الاجل ليكف عنه المزاہز ويدفع عنه الدواهي.. ويعود ويختم مؤكداً على ايمانه:

غير اني اشهد بشهادته، وأعظم مقالته... ولم ينس شيخ الأبطح، ان يخص

بني هاشم من وصيته بنصحه لهم وحضهم على الوقوف مع محمد «صلى الله عليه وآلـه»، فيوالونه، ويؤيدونه وينصرونه.. ثم نراه يخـــص أربعة منهم..

يقول لبني هاشم:

يا عـــشر بـــني هـــاشـــم.. اطـــيعـــوا مـــحـــمـــدـــاً، وـــصـــدـــقـــوـــهـــ، تـــفـــلـــحـــوـــ وـــتـــرـــشـــدـــوـــاـــ^(١)...
وـــأـــمـــا الـــأـــرـــبـــعـــةـــ مـــنـــ بـــنـــيـــ هـــاشـــمـــ خـــاصـــةـــ فـــهـــمـــ: وـــلـــدـــاهـــ، عـــلـــيـــ «ـــعـــلـــيـــ الســـلـــامـــ»
وـــجـــعـــفـــرـــ وـــعـــهـــاـــ: العـــبـــاســـ وـــالـــحـــمـــزـــ..

ابـــنـــيـــ عـــلـــيـــ وـــعـــمـــ الـــخـــيرـــ عـــبـــاســـ
وـــجـــعـــفـــرـــ: اـــنـــ تـــذـــوـــدـــوـــ دـــوـــنـــهـــ النـــاســـ
فـــيـــ نـــصـــرـــ أـــحـــدـــ، دـــوـــنـــ النـــاســـ اـــتـــرـــاـــســـ
تـــخـــالـــهـــ فـــيـــ ســـوـــاـــدـــ اللـــبـــلـــ مـــقـــبـــاـــ^(٢)
أـــوـــصـــىـــ بـــنـــصـــرـــ الـــخـــيرـــ أـــرـــبـــعـــةـــ
وـــحـــزـــةـــ الـــأـــســـدـــ الـــمـــخـــشـــيـــ صـــوـــلـــتـــهـــ
كـــوـــنـــواـــفـــدـــاءـــ لـــكـــمـــ أـــمـــيـــ مـــاـــ وـــلـــدـــتـــ
بـــكـــلـــ اـــبـــيـــضـــ مـــصـــقـــوـــلـــ عـــوـــارـــضـــهـــ
اـــنـــهـــ خـــيـــرـــ خـــتـــاـــمـــ..

والختـــامـــ مـــســـكـــ وـــعـــنـــبـــرـــ، وـــفـــوحـــ عـــطـــرـــ وـــنـــفـــحـــ شـــذـــىـــ، لـــحـــيـــاـــةـــ اـــمـــتـــلـــاـــتـــ حـــتـــىـــ.
فـــاضـــتـــ جـــهـــادـــاـــ وـــمـــدـــافـــعـــةـــ فـــيـــ ســـبـــيـــلـــ دـــيـــنـــ اللـــهـــ، وـــاعـــلـــاءـــ كـــلـــمـــتـــهـــ..
وـــفـــيـــ ســـبـــيـــلـــ نـــصـــرـــةـــ خـــاتـــمـــ رـــســـلـــهـــ وـــاـــنـــبـــيـــائـــهـــ، وـــخـــاتـــمـــ رـــســـالـــاتـــهـــ..
فـــســـلـــامـــ عـــلـــيـــكـــ، يـــاـــاـــبـــاـ~ طـــالـــبـــ..

(١) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين العاملــيــ ج ١ ص ٢٣٥ ومؤمن قريش، ص ٢١٢، مستنـــداـــ عن السيرة النبوية ج ١ ص ٨٦ و٢٨١. وعن السيرة ج ١، ص ٣٩١ - ٣٨٨ وعن أبو طالب، ص ٩١، هامش ١.

(٢) مؤمن قريش، ص ٢١٢، مستنـــداـــ عن الغدير، ج ٣٤، ج ١ وج ٧، هـــ ٢. وفي روضـــةـــ الـــوـــاعـــظـــينـــ مـــنـــ دـــوـــنـــ الـــبـــيـــتـــ الـــأـــخـــيـــ، ص ١٦٧.

ايتها المجاهد المؤمن ..

سلام عليك، يوم ولدت، ويوم مت ..

و يوم تبعث حيا ..

٢ - وفاته... وتأبين الرسول (ص) له:

مات الشيخ .. مات أبو طالب .. وانطفأت الشعلة التي اضاءت حياة محمد «صلى الله عليه وآلها» .. واستكان الساعد الذي لطالما دافع عنه ونصره ...

ومضى علي «عليه السلام» حزيناً، ليخبر الرسول نبا وفاته، وما كاد يلقي على مسامعه الخبر الصاعق، حتى تغير لونه، وخشع صوته، وفرت من عينيه دموع غزار... ولكن عاد وكفف دمعه، وقال له:
إذهب، فاغسله، وكفنه، وواره، غفر الله له ورحمه^(١) ...
ولا يجوز لمسلم أن يغسل كافراً..

وعلي «عليه السلام» أول المسلمين، وهذه شهادة من الرسول «صلى الله عليه وآلها» بسلام أبي طالب ...

ثم ها هو يعترض الجنازة ليشيع هذا الشيخ المؤمن المجاهد ويمدحه ويطريه، قائلاً:

وصلتك رحم - يا عم - وجزيت خيراً، فلقد ربيت وكفلت صغيراً،

(١) مؤمن قريش، ص ٢٢١، مستنداً عن السيرة النبوية والغدير وطبقات ابن سعد وغيرها كثير هذا وفي أعيان الشيعة: إمضي فتول غسله، فاذا رفعته على سريره فأعلمني.

ونصرت وآزرت كبراً^(١)

أما والله لاستغرن لك، ولا شفعن فيك شفاعة يعجب لها الثقلان^(٢)

والشفاعة هنا والتي يعجب لها الثقلان ليست لأن أبا طالب كافر
فيخرجه من النار إلى الجنة فالرسول «صلى الله عليه وآلها» وآلها لا يشفع
للكافر - ولكن: لأن أبا طالب مؤمن فالجنة جزاء له وباستحقاق بسبب
إيمانه ولعمله الحميد والطيب فإن شفاعة الرسول له تأتي فوق دخوله الجنة
والتي هو من أهلها وقد أراد الرسول «صلى الله عليه وآلها» بهذا القول أن
يزيل الظن من نفوس وعقول من كانوا يجهلون إيمان أبي طالب «عليه
السلام» بسبب تسره في ذلك ويؤكد بالتالي وللجميع إيمان عممه.. وهو هو
صلى الله عليه وآلها وسلم حين وضع عممه في لحده، بكى وقال بصوت
حزين نادباً عممه:

وا أبته، وا أبا طالبه، واحزناه عليك يا عماه ! .. كيف أسلو عنك يا
من ربتي صغيراً، وأجبتني كبراً، وكنت عندك بمنزلة العين من المدقة
والروح من الجسد..^(٣).

وعن الكراجكي، أن العباس سأله الرسول «صلى الله عليه وآلها»: ما
ترجو لأبي طالب؟.

(١) مؤمن قريش ص ٢٢٢، مستنداً عن النهج وغيره.

(٢) نفس المصدر، مستنداً عن معجم القبور وإيمان أبي طالب.

(٣) شيخ الأبطح، ص ٥٤ - ومؤمن قريش ص ٢٢٣ مستنداً عن المجلسي والمفيد،
وابن حجر في اصابةه.

فقال: كل خير أرجو من ربِّي عز وجل^(١) ..

بهذه الكلمات الأربع، المختصرة والجامعة، اختصر الرسول «صلى الله عليه وآلَه» تاريخ حياة عمه معه، من حسن رعاية وجليل عناء، وتلبية دعوة: كفلت..

ربِّيت..

أحبيت..

نصرت..

وقد أغنت عن كلام طويل ومطول..

من هذه العبارات، والكلمات، الوجيزة، نعرف وندرك مقدار العلاقة التي كانت بين الرسول «صلى الله عليه وآلَه» وبين عمه، ومقدار حب عمه أبي طالب له ومحافظته عليه، وحياته له ونصرته: كنت عندك بمنزلة العين من الحدقة، والروح من الجسد..

وحدها هذه العبارات على ايمانها تظهر لنا جلياً مدى العلاقة التي كانت بينهما، وطبيعتها، فليس من الغريب لو قلنا أن وفاة أبي طالب على فداحتها، والتي عمّت قريشاً ومكة والعرب حزناً^(٢) ... فإنها أصابت أكثر ما أصابت محمداً «صلى الله عليه وآلَه»، واختصته بهذا الرزء الكبير

(١) منية الراغب في إيهان أبي طالب ٧٢، عن كنز الفوائد ٢.

(٢) جاء في شيخ الأبطح، ص ٦١ عن يوم وفاته: قال أبو الحسن البكري في كتاب مولد أمير المؤمنين عليه السلام شققن النساء على أبي طالب الجيوب، ونشرن الشغور، وشمل الحزن جميع شعاب مكة وشعوبها..

والحادث الجلل، لما كانت تربطه به من علاقة ودية وسياسية، فهو لم يكن العم الودود، والأب العطوف والرحيم فحسب، وإنما كان أيضاً كافله الوحيد، فيما يعترضه في مهامه وأعماله، وكم، وكم جاحد بين يديه، وكم قاطع وقطع، وأغضب وأغضب في سبيله «صلى الله عليه وآله» وفداه بنفسه وأهله، وماه وولده، وهو في ذلك كله قرير العين، مثلج الفؤاد، لأنه وفي قراره نفسه، يعلم أنه بذلك إنها ينصر رسالة السماء... فلا عجب إذاً، أن يكون ألم هذا المصاب الجلل، قد أصاب محمداً «صلى الله عليه وآله» على وجه الخصوص، فنراه يواكب جنازة عمّه، ويوقفها، مرة تلو المرة، لتأبين من ربى وكفل صغيراً، وأجاب وأزر، ونصر كبيراً، ومن كان عنده، بمتنزلة العين من الحدقة، والروح من الجسد...

وكم هي المناسبات كثيرة، والتي اغتتمها رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليذكر فيها عمه المؤمن الوفي، ويشكر له إحسانه، وجهاده في سبيله.. ويستغفر له.. فمن حادثة استسقاء الأعرابي، الذي جاء إلى الرسول «صلى الله عليه وآله» في عام جدب طالباً أن يستنقى لهم الرسول «صلى الله عليه وآله»، فائلاً: أتيناك يا رسول الله ولم يبق لنا صبي يرضع ولا شارف يجتر، ثم أنسد: أتيناك والعذراء تدمى لبانها وقد شغلت أم الرضيع عن الطفل وألقى بكفيه الفتى لاستكانة ولا شيء مما يأكل الناس عندنا وليس لنا إلا أنت فرارنا
 سوى المخطل العامي والعلهز الفسل
 وأين فرار الناس إلا إلى الرسل^(١)

(١) شيخ الأبطح، ص ٥٥.

فاستسقى لهم الرسول «صلى الله عليه وآلـه» وأغدقـت السـماء فـضـجـ
الـنـاسـ: الغـرقـ الغـرقـ يا رـسـولـ اللهـ.

فـقالـ: اللـهمـ حـوـالـيـناـ وـلـاـ عـلـيـنـاـ، فـانـجـابـ السـحـابـ عنـ المـدـيـنـةـ حتـىـ
استـدارـ حـوـلـهـ كـالـأـكـلـيلـ، فـضـحـكـ الرـسـولـ حتـىـ بـدـتـ نـوـاجـذـهـ، ثـمـ قـالـ: اللـهـ
درـ أـبـيـ طـالـبـ لـوـ كـانـ حـيـاـ لـقـرـتـ عـيـنـهـ. مـنـ يـنـشـدـنـاـ قـوـلـهـ؟

فـقالـ عـلـيـ «عـلـيـهـ السـلـامـ»: يـا رـسـولـ اللـهـ لـعـلـكـ أـرـدـتـ: وـأـيـضـ يـسـتـسـقـىـ
الـغـيـامـ بـوـجـهـ...ـ

فـقالـ: أـجلـ، فـأـنـشـدـ أـبـيـاتـاـ مـنـ هـذـهـ القـصـيـدةـ، وـرـسـولـ اللـهـ «صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ
وـآلـهـ» يـسـتـغـفـرـ لـأـبـيـ طـالـبـ^(١) ...ـ

منـ هـذـهـ الـخـادـثـةـ إـلـىـ حـادـثـةـ مـعـرـكـةـ بـدـرـ، لـمـ قـطـعـتـ رـجـلـ عـبـيـدـةـ بـنـ الـحـارـثـ
فـذـكـرـ عـمـهـ وـاـسـتـشـهـدـ بـشـعـرـهـ، وـاـسـتـغـفـرـ لـهـ^(٢) ...ـ إـلـىـ غـيرـهـ وـغـيرـهـ مـنـ الـمـوـاقـفـ،
الـتـيـ بـقـيـ يـذـكـرـ فـيـهاـ وـيـسـتـغـفـرـ لـهـ طـبـلـةـ حـيـاتـهـ يـرـيدـ فـيـ ذـلـكـ إـكـبـارـاـ وـتـكـبـيرـاـ لـعـمـهـ
فـيـ أـعـيـنـ الـمـجـتمـعـينـ. **﴿وَإِذَا حُيُّتُمْ بِشَجَّةٍ فَحَيُوا بِأَخْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّهَا﴾**^(٣).

وـمـنـ أـوـلـىـ مـنـ الرـسـولـ بـذـلـكـ...ـ؟ـ

(١) شـيخـ الـأـبـطـحـ نـصـ ٥٦ـ، رـاجـعـ

(٢) نفسـ الـمـصـدـرـ، صـ ٥٧ـ، وـقـدـ ذـكـرـ الـمـنـاسـبـيـنـ اـبـنـ اـبـيـ الـحـدـيدـ فـيـ شـرـحـ النـهـجـ فـيـ المـجـلـدـ
٧ـ، جـزـءـ ١٤ـ، صـ ٢٧٣ـ، فـرـاجـعـ. كـمـاـ أـنـ هـذـهـ الـخـادـثـةـ مـذـكـورـةـ فـيـ مـقـدـمـةـ هـذـاـ
الـكـتـابـ وـالـتـيـ تـفـضـلـ بـهـ سـهـاـجـةـ الـعـلـامـ الـمـحـقـقـ السـيـدـ جـعـفـرـ مـرـتـضـيـ أـطـالـ اللـهـ فـيـ
عـمـرـهـ وـجـزـاءـ كـلـ الـخـيـرـ، فـرـاجـعـ.

(٣) سـوـرـةـ النـسـاءـ آيـةـ ٨٦ـ.

ولو لم يكن عمه ذلك المجاهد المؤمن، قولهً وعملاً، لما شكر له أو
استغفر أبداً...

وهو الذي يقول: اللهم لا تجعل لفاجر أو لفاسق عندي نعمة...!
والمعنى أنه لا تجتمع موالاة الكفار مع الإيمان...

٣ - سؤال؟.. وجواب:

كثرت الروايات، وتعددت الأحاديث، وبأسانيد كثيرة، عن صحابي
أو غير صحابي.. أن أبا طالب، لم يغادر هذه الدنيا إلا بعد أن تشهد
بالشهادتين، وأعطي للنبي من نفسه الرضا، فعن العباس تارة، وعن أبي
بكر طوراً، وعن وعن.. يررون، ويحدثون فعن أبي بكر أنه قال:
إن أبا طالب مات حتى قال: لا إله إلا الله... محمد رسول الله..

وعن العباس: والخبر ذو شهرة: إن أبا طالب لما استد عليه مرضه، قال
له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا عم! قلها، أستحل لك بها الشفاعة
يوم القيمة.. يعني الشهادة.

فقال أبو طالب: يا ابن أخي ! لو لا خافة السبة، وأن تظن قريش أنها
قتلتها جزعاً من الموت لقتلها، فلما تقارب من أبي طالب الموت، جعل يحرك
شفتيه، فأصغى إليه العباس باذنه وقال: والله يا ابن أخي لقد قال الكلمة
التي أمرته أن يقولها.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: الحمد لله الذي هداك يا عم !^(١) ..

(١) الغدير ج ٧، ص ٤١٠ - ٤١١ مستنداً عن السيرة الخليلية، ج ١، ص ٣٧٢، وعن أنسى
المطالب ص ٢٠ هـ ١، وعن تاريخ أبي القداء، وكشف الغمة للشعراوي.

ونحن هنا نتساءل ونسأل.. هل هذا هو الايمان..؟ أن يكفر الانسان طيلة عمره، ويفسد في الأرض، ويقطع كل علاقة له مع الله، ثم إذا شعر بدنو الأجل، يتلفظ بالشهادتين.. ومتى؟... عند الموت... ! في آخر لحظة من حياته، ليصبح مؤمناً، فيدخل الجنة.. إن لنا من المثل القرآني، وما أكثره.. لعبرة، وجواباً واضحاً، صريحاً من الله عز وجل على ذلك... هذا فرعون - يضرب به الله المثل - عندما أشرف على الغرق قال: ﴿أَمْنَتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا إِلَّا الَّذِي أَمْنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ آمنت ألا إله إلا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وأنا أول المسلمين^(١) ... فجاءه الجواب من الله عز وجل، حاسماً، قاطعاً: ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢) - ﴿فَالَّيْوَمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنِكَ لِتَكُونَ لِيَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾^(٣) ..

ومتى كان أبو طالب بحاجة لهذا الأمر..؟ أو لهذا التلفظ الصوري..؟! فمتى كان كافراً؟.. ومتى كان ضالاً؟.. حتى يؤمن ويهتدى...! بل، ومتى مضى عليه زمن كان فيه كافراً، وهو الذي ملا الدنيا هتافاً، تشهدأً وايماناً.. متى ومتى..؟ وهو الذي لم تخلي قصيدة من قصائده، او خطبة من خطبه، او جلة قاتها، او وصية أوصى بها بني قومه وأبيه وأولاده، من التشهد والتصريح بالإيمان، وتصديق الرسول ﷺ عليه وآلـهـ وآلـهـ، او حضه على الصدوع بأمر الرسالة... وها هو يقول، متشهدأً،

(١) سورة يونس آية ٩٠ .

(٢) سورة يونس آية ٩١ .

(٣) سورة يونس آية ٩٢ .

صارخاً مصرحاً باليانه، وهذه نهاذج من شعره: ابيات من قصائده:
رسولاً كموسى خط في أول الكتب الم تعلموا أنا وجدنا محمداً

قرم أغراً مسّود

أنت النبّي محمد

نبياً كموسى والمسيح بن مریم

الم تعلموا أنا وجدنا محمداً

كذبوا ورب الراقصات الى الحرم
وهو الأمين على الحرائب والحرم

زعمت قريش أن أَحمد ساحر
ما زلت أعرفه بصدق حديثه

وأهل الندى وأهل المعالى
فاقبلوه بصالح الأعمال
رداء عليه غير مدار

قل لمن كان من كنانة في العز
قد أتاكم من الملِيك رسول
وانصروا أحداً فان من الله

ويقول:

هو الوهاب والمبدى المعيد
ومن فوق السماء له عبيد

ملِيك الناس ليس له شريك
ومن تحت السماء له بحق

عليه نزل من ذي العزة الكتب

أنت الرسول رسول الله نعلمك

وابشر بذلك وقر منك عيونا
ولقد دعوت وكنت ثم أمينا

فاصدمع بأمرك ما عليك غضاضة
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي

ببيض تلاتلا كلمع البروق
حباية حام عليه شفيق

نصرت الرسول رسول الملك
أذب وأحمي رسول الاله

على نبي كموسى أو كذى النون

أوتؤمنوا بكتاب منزل عجب

بخاتم رب قاهر في الخواتم
وما جاهل في قومه مثل عالم
ومن قال لا، يقرع بهاسن نادم
تدبب عنه كل عات وظالم

أمين حبيب في العباد مسوم
يرى الناس برهانا عليه وهيبة
نبي أتاه الوحي من عند ربه
تطيف به جرثومة هاشمية

إذا عد سادات البرية أحمد
وأخلاقه وهو الرشيد المؤيد

الا ان خير الناس نفساً ووالداً
نبي الاله والكريم بأصله

ثمال البتمى عصمة للارامل
وأظهر ديننا حقه غير باطل

وابيض يستنقى الغمام بوجهه
فأيده رب العباد بنصره

فأكرم خلق الله في الناس أحمد
فذو العرش محمود وهذا محمد

لقد كرم الله النبي محمد
وشقله من اسمه ليجله

أنى على دين النبي أحمد

يا شاهد الله علي فاشهد

يقول ابن أبي الحميد في شرح النهج: فكل هذه الأشعار، قد جاءت مجيبةً للتواتر: لأنَّه إنْ لم تكن آحادها متواترة، فمجموعها يدلُّ على أمر واحد مشترك، وهو تصديق محمد «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، ومجموعها متواتر^(١) ..

إذا، فما حاجة أبي طالب، وهو الذي لم يشرك قط - ما حاجته، بعد كل هذه التصریخات الایمانية - لا التلمیحات - وبعد كل هذه الشهادات والتشهيدات المنطلقة من الجنان على اللسان، ما حاجته لتشهید صُوری وفي ساعة احتضار، ساعة لا مناص، ولا منجي..

وكما هو في شعره، فهو في نثره، وقد قرأتُ له وصيته لقريش ولبني هاشم.. وأما خطبة النكاح فمشهورة، تلك التي قالها عند نكاح محمد «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» خديجية «عليه السلام»، وهي قوله:

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم، وزرع اسماعيل، وضئضي معد، وعنصر مصر وجعلنا حضنة بيته، وسواس حرمته، وجعل لنا بيته محجوجاً، وحرماً آمناً، وجعلنا حكام الناس.. ثم ان ابن أخي هذا، محمد بن عبد الله، لا يوازن به رجل الا رجع به شرقاً، ونبلاً وفضلاً وعقلاءً، وان كان في المال قل، فان المال ظل زائل، وأمر حائل وعارية مسترجعة، وله والله بعد هذا نباً عظيم... وخطر جليل^(٢) ..

(١) شرح النهج، م ٧ - ص ٢٧٢ - ج ١٤.

(٢) شرح النهج م ٧ ج ١٤ - ص ٢٦٥.

وأما خطبته عندما طلب فاطمة بنت أسد:

الحمد لله رب العالمين، رب العرش العظيم، والمقام الكريم، والشاعر
العظيم، الذي اصطفانا أعلاماً وسادة، وعرفاء خلصاً وقادة، وحجبة
بهليل، أطهاراً من الخنا والريب، والأذى والعيب، وأقام لنا المشاعر،
وفضلنا على العشائر، نخب ابراهيم وصفوته، وزرع اسماعيل...^(١).

بعد كل هذه الشهادات، والتصريحات، وهو في عنفوان قوله، وبعد
كل هذه المواقف والتوضيحات، التي وقفها في وجه قريش، وقدمها بين يدي
نبي المهدى والرحمة، وفي سبيل نصرته والدفاع عنه.. هل يبقى لأبي طالب
حاجة في لوك شهادة، أو قوله غير مقبولة في توقيتها وفي مضمونها..؟ لأنها
قادرة الاعتقاد، فهي ميتة ك أصحابها، لا حياة فيها في ساعة احتضار.. ساعة
لا ينفع فيها ندم ولا قول.. أو عمل.. إن أبو طالب مجاهد، مؤمن بالله
وبرسوله، وداعية إسلامية بامتياز...

كان يدعو قومه للايمان بمحمد «صلى الله عليه وآلـه» واتباعه
ونصرته.. سبق وتكلمنا عن الوصية فراجع، كما انه دعاهم في شعره مرات
ومرات، كيف لا وهو القائل لهم: أفيقوا قبل أن تمحف الزبى ويصبح من لم
يحي ذنبـاً كذبي ذنبـ.

ودعا ملك الحبشة الى الاسلام، وقد سبق وذكرت رسالته لملك
الحبشة، ولا بأس من ذكر هذا البيت من الرسالة:
فلا تجعلوا الله نداً وأسلموا **فإن طريق الحق ليس بمظلم**
وـما قاله أيضاً في النبي وفضائله ومناقبه:

(١) شيخ الأبطح ص: ٢٣ - ٢٤.

منها البسيطة وازدهرت أيام
 وبسيفه قد شيد الاسلام
 وتساقطت من حوله الأصنام
 ما أعقب الصبح المضيء ظلام
 ظهرت دلائل نوره فترزلزت
 وهوت عروش الكفر عند ظهوره
 وأتاهـمـ أمر عظيم فادح
 صـلـىـ عـلـيـهـ اللهـ خـلـاقـ الـورـىـ
 فأين إذا محكمة الضمير لتحاكم أبا طالب وبالعدل، فتحكم له أو
 عليه، بعدما سمعت شهادته وهو يصرخ بها عالياً، ويشهد الله على ايمانه،
 حتى ولو ضل في الدين من ضل:
 يا شاهد الله عليّ فاشهد
 من ضل في الدين فإنني مهندـيـ
 ثم يشهد ويشهد بشهادة بعد شهادة:
 ملـيـكـ النـاسـ لـيـسـ لـهـ شـرـيكـ
 فـمـنـ تـحـتـ السـمـاءـ لـهـ بـحـقـ
 أـنـيـ عـلـىـ دـيـنـ النـبـيـ أـحـدـ
 بـارـبـ فـاجـعـلـ فـيـ الـجـنـانـ مـوـرـدـيـ
 فـأـيـ الـلـتـبـاسـ يـاـ اـبـنـ أـبـيـ الـحـدـيدـ؟ـ

أليست هذه وتلك شهادة: ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله..! وان
 اختلفت الصيغة قليلاً..؟

فلنبحث، على القاعدة القرآنية، ولنحكم، فالقرآن هو كتاب الله
 والحجـةـ الدـامـغـةـ، وهذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ
 لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾^(٢). فالمقصود بكلمة السلام هذه في الآية الكريمة هو السلم،

(١) روضة الوعاظين ص ١٦٧ - العلامة محمد بن الفتاوى النيسابوري.

(٢) سورة النساء - آية ٩٤ .

والسلم والسلام يفيدان الاستسلام، فهو نظير قوله تعالى: «وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمُ»^(١). أي انهم استسلموا الأمر الله، وانقادوا اليه..

وهذا أبو طالب ينادي صارخاً مشهدأً شاهد الله أنه مؤمن ومهتم موحد، حتى لو ضل من ضل، وكفر من كفر، وأنه على دين النبي أحمد، مقر معترف به نبياً ورسولاً وهادياً.. فما هو الفرق في المدلول والمعنى بين أن تقول: أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أو تقول قوله أبي طالب وبصيغة شعرية صريحة واضحة لا لبس فيها ولا التباس كالتباس الحديدي^(٢).

بَا شَاهَدَ اللَّهُ عَلَيْيَ فَأَشَهَدُ	أَنِّي عَلَى دِينِ النَّبِيِّ أَحَدٌ
فَمَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ لَهُ بِحَقٍّ	وَمِنْ فَوْقِ السَّمَاءِ لَهُ عَبْدٌ ^(٣)

وأما الشهادة والتي ذكرتها آنفاً:

هُوَ الْوَهَابُ وَالْمَبْدِيُّ الْمَعِيدُ	مَلِيكُ النَّاسِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ
وَمِنْ فَوْقِ السَّمَاءِ لَهُ عَبْدٌ	فَمَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ لَهُ بِحَقٍّ
مَا الْفَرْقُ بَيْنَ هَذِهِ الشَّهَادَةِ وَبَيْنَ الْلَّفْظِ الْقُرْآنِيِّ: مَلِكُ النَّاسِ.. إِلَهُ	
^(٤) النَّاسِ.. .	

(١) سورة النحل - آية ٨٧.

(٢) يقول ابن أبي الحديد في شرح النهج ص ٢٧٥ ج ١٤: أما أنا فإن الحال ملتبسة
عندني.

(٣) روضة الوعاظين ص ١٦٧ - العلامة محمد بن الفتاوى النيسابوري.

(٤) سورة الناس، آية ٢ - ٣.

وما الفرق أيضاً بين: لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين^(١).

وبين: ليس له شريك..؟

وأيضاً بين: إنه هو يبدئ ويعيد^(٢) ...

وبين: والمبدئ المعيد.

أو لفظ قرآن آخر: وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده^(٣) ...

ما هو الفرق لفظاً ومعنى، وحتى صيغة...؟؟...

يقول العلامة السيد محمد علي شرف الدين، رحمه الله في كتابه شيخ الأبطح صفحة ٩٧ عن زيني دحلان أنه قال في كتابه أسمى المطالب صفحة ٥، نقاًلاً عن السيد محمد البرزنجي، قال: ثم ليعلم أن المراد بالنطق بالشهادتين، ليس النطق بخصوصها كما ذكر النووي في كتابه (الروضة) ونسبة إلى الجميع، فنقل عن الحليمي في منهاجه أنه لا خلاف أن الآيات ينعقد بغير القول المعروف، وهو كلمة لا إله إلا الله وكذا لو قال محمد نبي الله، أو مبعوثه، أو أحد مبعوثه، أو غير ذلك، أو ما يؤدي ذلك باللغات العجمية، صح إسلامه، وحكم بكونه مسلماً..

جاء في الغدير عن الإمام السبط الحسين بن علي عن والده أمير المؤمنين - أنه كان جالساً في الرحبة والناس من حوله فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إنك بالمكان الذي انزلتك الله وأبوك معذب في النار فقال له: مَنْ فض

(١) سورة الانعام - آية ١٦٣ .

(٢) سورة البروج - آية ١٣ .

(٣) سورة الروم - آية ٢٧ .

الله فاك، والذى بعث محمداً بالحق نبياً لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعة الله، أي معذب في النار وابنه قسم الجنة والنار؟ والذى بعث محمداً بالحق إن نور أبي طالب يوم القيمة ليطفئ نور الخلائق الا خمسة أنوار: نور محمد ونور فاطمة ونور الحسن والحسين ونور ولده من الأئمة، الا ان نوره من نورنا خلقه الله من قبل أن يخلق آدم بالفی عام ^(١).

وعن الشعبي يرفعه عن أمير المؤمنين أنه قال: كان والله أبو طالب ابن عبد مناف بن عبد المطلب مؤمناً مسلماً يكتم ايمانه خافة علىبني هاشم أن تنبذها قريش ^(٢).

وروي عن أمير المؤمنين «عليه السلام»، قيل له: من كان آخر الأوصياء قبل النبي «صلى الله عليه وآله»؟
قال: أبي (أبو طالب) ^(٣).

وجاء في كتاب الغدير: كتب أبان بن حمود الى علي بن موسى الرضا «عليه السلام»: جعلت فداك، إني قد شركت في اسلام أبي طالب.
فكتب إليه: «وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبَعُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ» ^(٤). الآية - وبعدها إنك إن لم تقر باليهان أبي طالب كان مصيرك النار ^(٥).

(١) الغدير، ج ٧ ص ٤٢٩ - ٤٣٠.

(٢) نفس المصدر، ص ٤٣٠ - ٤٣١.

(٣) نفس المصدر ص ٤٣٢.

(٤) سورة النساء آية ١١٥.

(٥) الغدير ج ٧، ص ٤٢٢.

وهذا إنما يعني إقراراً واضحاً منهم - علماء العامة - أو بعضهم - أن لا فرق بين الإقرار بالشهادتين: شرعاً أو ثراؤ.. وما أكثر شعر أبي طالب في ذلك، وفي نثره أيضاً، وهذا ما قد صحت روایته - عن أبي طالب - عند الفريقين: السنة والشيعة..

فأين الكفر..؟

وأين الكافر..؟

مالكم كيف تحكمون..؟!

وأما الشيعة فكلهم وليس جلهم، قالوا ويقولون بآياته، مسترشدين بأئمتهم من أهل البيت «عليه السلام» - أحد الثقلين - الذين أمرنا الرسول «صلى الله عليه وآلـه» باتباعهم، فهم سفيينة النجاة، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، يقول رسول الله «صلى الله عليه وآلـه» والمعرف به عند الجميع، فحديثه مشهور، وروته الخاصة (الشيعة) وال العامة (السنة):

إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، ما ان تمسكت بهما
لن تضلوا بعدي أبداً... (وترويه صحاح أهل القبلة كافة)^(١) ...

وشهادة أهل البيت تكفي، ولو قال جميع أهل الأرض عكس مقولتهم، لأن قولهم، قول النبي، وشهادتهم شهادته... وأهل البيت أدرى بالذى فيه.. قولهم فصل وشهادتهم عدل، فهم عدل القرآن، وثاني الثقلين.. كما أن أكثر الزيدية وبعض: كبار شيوخ المعتزلة: أبو جعفر الاسكافى، وأبو قاسم البليخي وغيرهم يقولون ما تقوله الشيعة الامامية ويشهدون بآيات
أبي طالب، وأنه مات مسلماً...

(١) شيخ الأبطح ص ٦٩.

وأما العامة فقد قال العديد من شيوخهم الكبار بآيـانـه، وـمـنـهـ القرافي
حيث يقول في شرح التـنـقـيـحـ، عند قول أبي طالب:
وقد عـلـمـواـ أـنـ اـبـنـاـ لـاـ مـكـذـبـ لـدـيـنـاـ وـلـاـ يـعـزـىـ لـقـولـ الـأـبـاطـلـ
إنـ هـذـاـ تـصـرـيـحـ بـالـلـسـانـ وـاعـتـقـادـ بـالـجـنـانـ، وـأـنـ أـبـاـ طـالـبـ مـنـ آـمـنـ
بـظـاهـرـهـ وـبـاطـنـهـ غـيرـ آـنـهـ كـفـرـ ظـاهـرـاـ وـلـمـ يـذـعـنـ لـلـفـرـوـعـ .

والإمام الحنفي المشهور بـابـنـ وـحـشـيـ فيـ شـرـحـهـ عـلـىـ الـكـتـابـ المـسـمـيـ:
شهـابـ الـأـخـبـارـ: إـنـ بـغـضـ أـبـيـ طـالـبـ كـفـرـ ..

وـأـمـاـ الـإـمـامـ أـبـوـ طـاهـرـ فـقـالـ: مـنـ أـبـغـضـ أـبـاـ طـالـبـ فـهـوـ كـافـرـ .

وـأـمـاـ الـبـرـزـنـجـيـ، فـيـقـولـ بـعـدـ اـسـتـشـاهـادـهـ بـاـبـيـاتـ أـبـيـ طـالـبـ وـاثـبـاتـ إـيـانـهـ:
وـهـذـاـ نـطـقـ بـالـوـحـيـ قـبـلـ صـدـورـهـ مـنـ النـبـيـ «ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـيـلـهـ»ـ، فـاـنـهـ أـخـبـرـ
بـذـلـكـ بـعـدـ مـدـةـ مـنـ قـوـلـ أـبـيـ طـالـبـ، وـالـحـدـيـثـ وـحـيـ الـقـرـآنـ.. وـذـلـكـ كـافـ فيـ
نجـاتـهـ ..

وـمـنـهـ الـعـلـمـاءـ عـلـىـ الـأـجـهـورـيـ وـالـتـلـمـسـانـيـ، وـالـقـرـطـبـيـ وـالـسـبـكـيـ
وـالـشـعـرـانـيـ وـالـسـحـيـمـيـ وـغـيرـهـمـ كـثـيرـ .

والـسـيـدـ زـيـنـيـ دـحـلـانـ الـذـيـ يـقـولـ فـيـ أـسـنـيـ الـمـطـالـبـ: وـلـمـ يـنـقـلـ عـنـ أـبـيـ

(١) منية الراغب، في آيـانـ أـبـيـ طـالـبـ صـ ٩٧ـ .

(٢) منية الراغب صـ ٩٦ـ ، مـسـنـدـ عـنـ أـسـنـيـ الـمـطـالـبـ هـ ١ـ .

(٣) منية الراغب صـ ٩٧ـ ، وـالـغـدـيرـجـ ٧ـ ، صـ ٤٢٣ـ .

(٤) منية الراغب صـ ٩٨ـ - مـسـنـدـ عـنـ أـسـنـيـ الـمـطـالـبـ هـ ٢ـ .

(٥) منية الراغب صـ ٩٧ـ - ٩٦ـ وـالـغـدـيرـجـ ٧ـ ، صـ ٤٢٣ـ .

طالب بطريق صحيح أنه اتخذ صنماً لهاً وعبد حجراً، أو نهى النبي ﷺ (صلى الله عليه وآله) عن عبادة ربه.. ثم يقول ومثل هذا ناج في الآخرة...^(١).

ويقول العلامة محمد أفندي السجقلي في رسالته المسماة: الردود والفرح، فوالدا النبي ﷺ مما لا اشكال في أنها من أهل الايمان كما هما من أهل الجنة، أما أبو طالب فهو لما كان أكثر مشاهدة وصحبة فهو مؤمن مسلم وصحابي..^(٢). وكثير كثير، والمقام لا يتسع للجميع...

(١) منية الراغب ص ٩٩ - مستند عن أسمى المطالب هـ ١.

(٢) نفس المصدر ص ١٠٢ - ١٠٣ - مستند عن ابو طالب وبنوه هـ ١.

الفصل الثامن:

شبات وردود

شبهات وتوبيخ:

أنتجت أحقاد الأميين على أهل البيت «عليهم السلام» عامة وعلى علي ابن أبي طالب «عليه السلام» خاصة، شبهات بل وافتراءات وأكاذيب كثيرة، روجها بنو أمية وعملاوهم في حق أبي طالب وبنيه، وأهل البيت جمِيعاً.. والمقصود من ذلك هو علي «عليه السلام»، محاولة منهم كسر هالتهم وتحطيم سور الصرح العلوي الماشي، حسداً وحقداً.. ومن هذه الافتراءات والأكاذيب:

أولاً: لما توفي أبو طالب، ذهب علي «عليه السلام» إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ليخبره بذلك، فقال: إن عمك الشيخ الضال قد مات..

روى ذلك ناجي بن كعب، على رواية سفيان الثوري، عن أبي اسحاق وعليه نقول وقبل أن نناقش السند والمسند، هل وصل الأمر بعلي «عليه السلام»، أمام المتقين، ووصي رسول رب العالمين إلى أن يصف والده: حامي الرسول وناصره، والمضحي في سبيله وفي سبيل رسالته بكل ما لديه، بهذا الوصف السوقي الجاحد الذي يخلو من كل أدب وأخلاق ووفاء؟!

أم انه فقد الأدب بحق والدٍ هو بيضة البلد وشيخ مكة والعرب؟! ولو فرضنا جدلاً أن أبا طالب كان كافراً، والعياذ بالله، فهل يقول الإمام او هل يحق له أن يقول فيه هذا القول؟

والقرآن الكريم يقول عن الوالدين: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا
لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِنْهُمَا وَصَاحِبَتْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَغْرُوفَاهُمْ﴾^(١) .. ﴿فَلَا تَقْنُلْهُمَا
أَفَ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَحِيرَاهُمْ﴾^(٢) ..

فأين البر بالوالدين..؟

فمثل هذا الكلام لا يمكن ان يصدر، ولا يصدر عنه بحق والديه وهل يعقل أن يقال عنه أنه غير بار بوالديه، وهو امام المتقين؟! ووصي رسول رب العالمين وصهره وخليفة... فالفالاست لا يمكن أن يقول عن والديه هذا الكلام السيء، فكيف بخليفة المسلمين وهو القدوة، والقمة، والمنار والعلم..

وأما من حيث السند فان ناجيه بن كعب مذموم، يقول ابن المدائني
عنـه: لا أعلم أحداً، حدث عن ناجيه بن كعب سوى أبي اسحاق ..^(٢)
واما أبو اسحاق فهو مرترق، مرتضي، يروي برشوة، ويقول عنه
الذهبـي في كتابه ميزان الاعتدال:
واما ابو اسحاق فهو من جملة المرتزقة وأهل الرشـاء الذين كانوا
يتقاضـون من معاوية..

(١) سورة لقمان - الآية ١٥

(٢) سورة الاسراء - الآية ٢٣

(٣) مذكرة المحامي العام، مستند على ميزان العدالة، ص ١٨١.

وأما سفيان فهو من المدلسين عندهم، فهو يدلس عن الضعفاء ويكتب
عن الكاذبين^(١) ..

ويروي عن الضعفاء^(٢) ..

يقول عنه ابن مبارك: حدث سفيان بحديث، فجئته وهو يدلسه، فلما
رأني استحيي، وقال: نرويه عنك^(٣) ..

وقال عنه ابن معين: مرسلات سفيان شبه الريح^(٤) ..

وهكذا تسقط هذه الشبهة من أساسها..

ثانياً: أما الشبهة الثانية: قالوا: أن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» لم يصل
على أبي طالب..

ونقول: ان الصلاة على الميت لم تكن بعد قد فرضت عند وفاة أبي
طالب والستة خديجة، وإنها فرضت بعد ثلاثة سنوات من وفاتهما، وذلك
في المدينة المنورة.. وإذا فرضنا أن الصلاة كانت مفروضة، فلا مانع، وليس
من المستبعد أن يكون «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قد صلَّى عليه قبل اخراجه من
منزله... وعليه تكون هذه الشبهة مردودة بسقوطها..

ثالثاً: وقولهم أيضاً: إن علياً وجعفرأ لم يرثا، او امتنعا عن أن يأخذوا
شيئاً مما تركه أبو طالب... وهذا يدل على عدم ايمانه... لأن الاسلام

(١) مؤمن قريش ص ٣٠٨، مستند عن ميزان الاعتدال ودلائل الصدق. هـ ٢.

(٢) نفس المصدر، عن اسعاف المبطأ، ودلائل الصدق هـ ٣.

(٣) نفس المصدر، عن دلائل الصدق، وأعيان الشيعة نـ ٤.

(٤) نفس المصدر.

والكفر لا يتوارثان في نظرهم.

وجوابه: ان كلامهم هذا، انها يدل على جهلهم وعدم معرفتهم بالأحكام الإسلامية، ففي الإسلام: لا يرث الكافر المسلم، أما المسلم فيرث الكافر، حتى ولو كان أعلى درجة منه نسبياً...

ومن جهة ثانية: ألا يمكن أن يكون أبو طالب قد أعطى ماله لبعض من أولاده...؟

أو لعل علياً وعفراً لم يأخذا شيئاً مما ترك والدهما لكونهما غير محتاجين، فتركا حصتها باقي الورثة...
وهكذا تسقط الشبهة أيضاً...

علينا أن المشهور والمعروف أن أبو طالب كان فقيراً، لذا قالوا وقلوا
يسود من كان فقيراً، وساد أبو طالب وهو فقير، وقد كان رغم فقره كريماً
سخياً جواداً، ولهذا لم يترك شيئاً من المال أو غيره، يعتد به فتركا حصتها لمن
هو أقل منها مالاً وأكثر منها عيالاً من بقية الورثة.

الفصل التاسع:

أكاذيب وحقائق

- ١ - أنك لا تهدي من أحبب
- ٢ - ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين.
- ٣ - الحال ملتبسة عند ابن أبي الحديد..

١ - أَنْكَ لَا تَهْدِي مِنْ أَحَبِّتْ :

روى المدلسون المأجورون الكذبة، من جملة ما رواه، ان الرسول محمدأً «صلى الله عليه وآلـه» ولشدة حبه لعمه أبي طالب طلب اليه ان يؤمن فرفض أبو طالب فأنزل الله تعالى: **﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَخْبَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾** ..

وال المؤسف أنهم يدعون أن المسلمين يجمعون على نزولها في أبي طالب..
وكيف يكون المسلمون مجتمعين على نزولها فيه...؟

وأين هو هذا الاجماع؟

والشيعة وأئمتهم عليهم السلام لا يرون ذلك بل يرونـه كذباً وزوراً على الله وعلى كتابه ورسوله «صلى الله عليه وآلـه» أمـنـهم يـرـونـ أنـ الشـيعـةـ وأئـمـتهمـ لـيـسـواـ مـنـ الـمـسـلـمـينـ،ـ وـكـذـلـكـ فـاـنـ أـكـثـرـ الـزـيـدـيـةـ وـكـبـارـ شـيـوخـ الـمـعـتـزـلـةـ لاـ يـرـونـ ذـلـكـ أـيـضاـ...ـ هـذـاـ مـنـ حـيـثـ الـاجـمـاعـ.

وأما أسباب النزول وادعاؤهم أنها نزلت في أبي طالب فان حجتهم في ذلك، قد أسقطها أبو المجد بن رشادة الراوعي الواسطي في كتابه أسباب نزول القرآن.. حيث يقول: أنها نزلت في الحارث بن النعمان بن عبد مناف

(١) سورة القصص، آية ٥٦.

وانها آخر ما نزل في المدينة - وكيف يقال إنها نزلت في أبي طالب رضي الله عنه وهذه السورة من آخر ما نزل من القرآن في المدينة، وأبو طالب مات في عنفوان الاسلام، والنبي «صلى الله عليه وآلـه» بمكة، وإنها نزلت هذه الآية في الحارث بن النعمان بن عبد مناف، وكان النبي «صلى الله عليه وآلـه» يحب اسلامه، فقال يوماً للنبي:

إنا نعلم أنك على الحق وإن الذي جئت به حق، ولكن يمنعنا من اتباعك أن العرب تخطفنا من أرضنا لكثرتهم وقلتنا ولا طاقة لنا بهم، فنزلت الآية، وكان النبي يؤثر اسلامه لميله اليه^(١) ...

٢ - ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفرون للمشركين:

ان رسول الله «صلى الله عليه وآلـه» من موقع أنه رحمة للعالمين كان يحب الخير للناس كافة وأي خير أفضل من خير الهدایة والنجاة من النار. وكان يؤلمه ان يرى قومه مصرین على الضلال والغي..

لذلك نجد العديد من الآيات القرآنية جاءت لتسلی قلبه وتخفف عنه الحزن والألم قبل قوله: ﴿فَلَعْلَكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا الْحَدِيثُ أَسَفًا﴾^(٢) وغيرها من الروايات..

أما العلامة محمد بن رسول، الملقب بالبرزنجي، فقد تبع ما روی في

(١) منية الراغب ص ١٨١ - مسند عن الطرائف، ص ٣٠٦ وعن البحار ج ٣٥ ص ١٥٢، هـ ٥. وقد جاء في مؤمن قريش ص ٣٦٧ ج ٢ وفي شيخ الأبطح ص ٨٢ أنها نزلت في الحارث بن النعمان بن عبد مناف.. فراجع..

(٢) سورة الكهف، الآية رقم ٦.

أسباب نزول الآية ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا..﴾ وبعد التحقيق قال:
كما في أنسى المطالب ص ١٧، وال الصحيح أنها نزلت في آباء الناس
الذين ماتوا في الكفر، وكان أولادهم يستغفرون لهم، وكذلك الزمخشري
في كشافه لم يصح نزولها في أبي طالب^(١) ...

وأما عن سند الرواية فهي مروية عن سعيد بن المسيب عن أبيه:
لما حضرت أبو طالب الوفاة، قال له رسول الله «صلى الله عليه وآلـه» في
كلام: لاستغفرن لك، فأنزل الله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَئِنَّ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾^(٢).

ان سعيد بن المسيب هذا غير موثوق لاشتهاره بالانحراف عن علي
«عليه السلام»، يقول ابن أبي الحميد:

وكان سعيد بن المسيب منحرفاً عنه «عليه السلام» وجبهه عمر بن علي
«عليه السلام» في وجهه بكلام شديد^(٣) ...

ثم ان سعيداً يقول: من مات محبأ لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وشهد
للعشرة بالجنة.. وترحم على معاوية كان حقاً على الله أن لا يนาشه
الحساب^(٤) ..

(١) شيخ الأبطح ص ٨٢.

(٢) سورة التوبة، آية ١١٣.

(٣) شرح النهج م ٢٤، ج ٤، ص ٣٠٩.

(٤) مؤمن قريش، ص ٣٢٤، مستند عن الغدير ومن تاريخ ابن كثير.

ويقول العلامة السيد محمد علي شرف الدين في كتابه شيخ الأبطح ص ٨٠: وقد تجلى أثر انحراف سعيد بها يرويه لنا، جمع من القل اليسير منهم الواقدي، من أن سعيد بن المسيب، مر بجنازة السجاد، علي بن الحسين «عليه السلام» ابن علي بن أبي طالب «عليه السلام» ولم يصل عليه.

فقيل له: ألا تصلي على هذا الرجل الصالح من أهل البيت الصالحين؟

فقال: صلاة ركعتين أحب إلى من الصلاة على الرجل الصالح...

أما إذا نظرنا في زمن نزول الآية حسب روایة سعید، نجد أنها نزلت قبل الهجرة بثلاث سنین، والآیة من سورة التوبہ وترتیبها الرابعة عشرة بعد المئة، وزمن نزول هذه السورة كان السنة التاسعة بعد الهجرة فيكون بينها وبين ما تحدث به سعید عن قول الرسول لعمه: (لاستغفرن لك) كما جاء في روایته المذکورة إثنتا عشرة سنة، فالحادثة التي يتحدث عنها هي وفاة أبي طالب، وقد كانت في السنة الثالثة قبل الهجرة، فليحكم من يحكم، كم هو صادق فيها يرويه،.. هذا والسورة مدنیة أي أنها نزلت على الرسول في المدینة، والحادثة في مدینة حیث توفي أبو طالب، كما أن سعیداً هذا، يروی عن أبيه المسيب وأبواه من مسلمي الفتح (فتح مدینة) فمن أین شهد احتضار أبي طالب ليروي عنه..؟

أفلا تعقلون، أم على قلوب أقفاصها..؟

أفلا تتفقون..!؟..

إذا فالرواية ساقطة بسقوط سندھا، وكذلك في أسباب نزولها وفي زمنيتها أيضاً، لاختلاف الزمانين... ولعدم الاجماع فيها كذلك..

٢ - الحال ملتبسة عند ابن أبي الحديد:

بقي لنا سؤال، وحديث مع ابن أبي الحديد.. لأن الحال ملتبسة عنده في مسألة إيمان أبي طالب... وهو قد أوقع نفسه في تناقض ليس له أول من آخر.. فلنستمع إليه ونحكم:

ان ابن أبي الحديد يعتبر الانتساب لأبي طالب، شرفاً، وعزّاً ونعمـة وتقديماً على الجميع حيث يقول:

واعلم ان علياً «عليه السلام» كان يدعى التقدم على الكل، والشرف على الكل، والنعمة على الكل، بابن عمـه محمد «صلـى الله عليه وآلـه وبنفسـه وبأبيـه أبيـ طالـب «عليـه السلام» فـانـ منـ قـرـأـ عـلـومـ السـيرـ، عـرـفـ أنـ اـلـاسـلـامـ، لـولاـ أبوـ طـالـبـ لمـ يـكـنـ شـيـنـاـ مـذـكـورـاـ..^(١).

ويقول: وما أقول في رجل ابـوه أبوـ طـالـبـ سـيدـ الـبـطـحـاءـ وـشـيـخـ قـرـيشـ،
ورئـيسـ مـكـةـ ..^(٢)

ويقول عنه وعن أبيه عبد المطلب أنها من المتألهين، أصحاب الورع
والتحرج عن القبائح ..^(٣)

بل ويقول أكثر من ذلك، وهو يتحدث عن الإمام علي «عليه السلام» معدداً خصائصه ومزاياها.. فلا يكتفي بهذا بل يتعداه إلى ما هو أكثر من ذلك حين يقول: وليس لقائل أن يقول: كيف يقال هذا، في دين تكفل الله

(١) شرح نوح البلاغة م ١، ج ١، ص ١١٢.

(٢) شرح النهج م ١، ج ١، ص ٣٢.

(٣) نفس المصدر، ص ٩٦.

تعالى باظهاره، سواء كان أبو طالب موجوداً أو معدوماً! لأننا نقول والكلام
لابن أبي الحميد - فينبغي على هذا الا يمدح رسول الله «صلى الله عليه
وآله»، ولا يقال: أنه هدى الناس من الضلالة، وانقذهم من الجحالة، وان
له حقاً على المسلمين وأنه لولاه لما عبد الله تعالى في الأرض، وألا يمدح أبو
^(١)
بكر.. .

ثم يكمل فيقول: فان قلت في كل ذلك: إن هؤلاء يحمدون، ويثنى
عليهم لأن الله تعالى أجرى هذه الأمور على أيديهم، ووفقاً لهم، والفاعل
في الحقيقة هو الله تعالى، وهؤلاء آلة مستعملة، ووسائل تجري الأفعال على
أيديها، فحمدهم الثناء عليهم، والاعتراف لهم هو باعتبار ذلك.. قيل لكم
^(٢)
في شأن أبي طالب مثله.. .

فمن يقول هذا القول في حق رجل، كيف له أن يقول في حقه، عند
الحديث عن ايمانه، أن الحال ملتبسة عنده، والأخبار متعارضة، والله أعلم
بحقيقة حاله، كيف كانت.. !

ويقول أيضاً ويقف في صدرى رسالة النفس الزكية^(٣) .. الى المنصور
العباسي قوله فيها: أنا ابن خير الأخيار، وأنا ابن شر الأشرار، وأنا ابن
سيد أهل الجنة، وأنا ابن سيد أهل النار... .

فإن هذه شهادة منه على أبي طالب بالكفر، وهو ابنه وغير متهم عليه،
وعهده قريب من عهد النبي «صلى الله عليه وآله»، لم يطل الزمان فيكون

(١) نفس المصدر، ص ١١٢.

(٢) نفس المصدر، ص ١١٣.

(٣) هو محمد بن عبدالله بن الحسن بن الامام السبط الحسن بن علي بن أبي طالب (ع).

فما هذه الأراجيف..؟! وما هذا التناقض..؟ فلو نظرنا الى هذه الرسالة المدعاة، وقبل ان نناقش سندها، نناقش معناها ومبناها، ونسأل عن مناسبتها التي جعلت النفس الزكية ودفعته ليرسلها الى المنصور..؟ فضلاً عن انها وردت وفيها الكثير من الاختلاف المعنوي والبنيوي بين رواية ابن أبي الحديد، وبين رواية الطبرى وابن الأثير والحضرى - مع الاشارة الى قلة المصادر التي أوردتها فالطبرى يقول:

وأنا ابن خير الأخيار، وابن خير الأشرار، وابن خير أهل الجنة وابن خير أهل النار^(٢).

ونسأل ابن أبي الحديد: هل في الشر فخر..؟ وهل أصبح الشر مفخرة وشرفاً يدعى؟!... أم هل في النار سيد أو سيادة..؟

ولندع هذا جانباً ونسأل أيضاً: ان من كان ابن شر الأشرار، وابن سيد أهل النار، يكون أشد الناس عذاباً لا أهونهم، لأن العذاب يكون بمقدار الذنب، او بمقدار الخيرية او الشرية لصاحبها وعندما يكون ابن شر الأشرار فإنه سيكون أشدتهم عذاباً، وهذا يتنافى مع ما ادعوه من شفاعة رسول الله «صلى الله عليه وآلـه» وإخراجه له الى ضحاض من نار، تلك الشفاعة التي يضحك منها ويخرجل حتى أكثر الناس بخلاؤه فكيف يأتي بها، من كان كـلـ الكرم، ومن بعث ليتمم مكارم الأخلاق؟..

و اذا اخذنا برواية الطبرى، فان عبارة: وانا ابن خير الاشرار - تفاجئنا

(١) شرح النهجن م ٧ ج ١٤، ص ٢٧٥.

(٢) مؤمن قريش ص ٢٩٣، مستندة عن الطبرى وابن الأثير، هـ ١.

فهل في الشر خير؟!...

ومتى كان الأشرار أخياراً، ومتى أصبح الشر خيراً، ومحلاً للفخر؟.

فهل في ذلك فخر يا ترى...؟!

وهل هو عاقل من يفتخر بمثل هذا..؟

وهل يفتخر ابن أبي الحميد بهكذا فخر، هل يرضي لنفسه بهذا الفخر؟!

أو لا يعلم ابن أبي الحميد، ان محمد النفس الزكية كان يدعى الخلافة

ويطلبها لنفسه، ويرى انه أحق بالخلافة من المنصور، ويدافع المنصور

ويتنازعه فيها، كما كان موثقاً عند العامة كثيراً، لدرجة أنهم كانوا يعتقدون

أنه المهدى.. فهل في هذه الرسالة المدعاة، وما كتبه فيها شيء من العقل،

حتى يشهد هذه الشهادة على نفسه..؟!

أو هكذا تطلب الخلافة..؟!

كلا..!

وما هكذا تورد يا سعد الابل؟!..

وهذا هو المنصور العباسي يرد عليه بكلامه، فيرميه بأحجاره، ويحبشه

وبهذه النقطة بالذات: وزعمت أنك ابن أخف النار عذاباً، وابن خير

الأشرار، وليس في الكفر بالله صغير، ولا في عذاب الله خفيف، ولا يسير،

وليس في الشر خيار، ولا ينبغي لمؤمن بالله ان يفخر بالنار.. وسترد فتعلم..

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون..^(١).

(١) مؤمن قريش، ص ٢٩٦، مستندة عن الطبرى والكامل، وعاضرات الام

العبامية.

ونسأل: هل كان أبو طالب، حامي الرسول، وكافله، وناصره وعمود الخيمة في بناء الإسلام وقيامته، بشهادة ابن أبي الحديد نفسه فهو يقول: لو لا أبو طالب لما كان الإسلام شيئاً مذكوراً...^(١) وهو سيد مكة وشيخ الأبطح ورئيس قريش والعرب، وحاكمها وحكيمها..!

وهل كان أبو طالب فاسقاً أو فاجراً، أو مفسداً أو ظالماً للناس في اعراضهم وفي أرزاقهم، حتى يكون شرًّاً بل وشر الأشرار؟!

وهذا خلاف قول رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»: اللهم لا تجعل لفاجر أو فاسق عندي نعمة.. وقد ردَّ هدية حكيم بن حزام لأنَّه كان مشركاً، وهدية عامر بن الطفيل، وهدية ملاعب الاسنة، وقال: لا أقبل هدية مشرك^(٢) ...

وهذا يعني أن كل من أسدى إليه معرفةً، أو نصرةً.. كانت له عليه النعمة، ووجب عليه شكره..

وفي هذا مخالفة من الرسول «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، لما جاءت به آيات الإنذار، في القرآن الكريم - من نفي وذري ووعيد، ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَنَّهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ﴾^(٣).
وقال أيضاً: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤).

(١) نهج البلاغة، م ١ ج، ص ١١٢

(٢) الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ج ٣، ص ٢٣٨ ن ٢٤٩.

(٣) سورة النساء، آية ١٣٩.

(٤) سورة آل عمران، آية ٢٨.

﴿إِنَّمَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْخِدُوا الْكَافِرِينَ أَزْلَيْأَءِ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) ..
وغيرها كثير..

فهل يخالف الرسول «صلى الله عليه وآلـه» والعياذ بالله، حرفيـة الوحي
وأوامر الله، فيـشـكـر لأـبي طـالـبـ، كـفـالـتـهـ وـرـعـاـيـتـهـ وـنـصـرـتـهـ وـحـرـبـهـ عـلـيـهـ
ويـسـتـغـفـرـ لـهـ..؟

وحـاشـىـ للـرـسـوـلـ الـأـكـرـمـ أـنـ يـوـضـعـ هـذـاـ المـوـضـعـ -ـ اـنـ أـنـتـمـ الـاـ تـكـذـبـوـنـ -
.. إـنـهـ وـالـهـ الـاعـتـرـافـ بـاـيـهـانـ أـبـيـ طـالـبـ لـيـسـ الـاـ ..

وهـنـاـ نـسـأـلـ وـمـنـ بـاـبـ التـنـزـلـ فـقـطـ: هلـ أـبـوـ طـالـبـ أـشـرـ مـنـ مـلـاـ الـوـجـوـدـ
شـرـاـ وـفـسـادـاـ، وـالـحـقـ بـالـرـسـوـلـ «صلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ»، شـتـىـ أـنـوـاعـ الـأـذـىـ..؟ـ
عـنـيـتـ أـبـاـ جـهـلـ وـأـبـاـ هـبـ.. وـأـبـاـ سـفـيـانـ مـنـ ذـكـرـهـ اللهـ مـنـ الـمـنـافـقـينـ وـاـنـهـ فـيـ
الـدـرـكـ الـأـسـفـلـ مـنـ النـارـ وـاـنـهـ هـمـ الـعـدـوـ..؟ـ!

وـالـسـؤـالـ هـنـاـ تـنـزـلـاـ لـيـسـ إـلـاـ .. فـلـيـسـ بـيـنـهـ وـبـيـنـهـ مـشـارـكـةـ فـيـ الشـرـ حـتـىـ
يـصـحـ التـسـاؤـلـ، وـهـوـ الـذـيـ كـانـ خـيـرـهـ يـفـيـضـ نـهـاءـ، وـيـؤـتـيـ الـأـكـلـ الـطـيـبـ كـلـ
حـيـنـ، وـيـنـهـمـ بـالـنـعـمـ، وـقـدـ اـنـتـهـجـ المـثـلـ الـعـلـيـاـ، وـفـيـ مـاـ فـيـهـ مـنـ صـفـاتـ اـبـيـهـ
عـبـدـ الـمـطـلـبـ وـجـدـهـ هـاشـمـ..

ثـمـ نـسـأـلـ اـبـنـ أـبـيـ الـحـدـيدـ أـيـضاـ: وـهـلـ يـمـلـكـ اـبـنـ أـبـيـ الـحـدـيدـ الدـلـيلـ، أـيـ
دـلـيلـ.. يـؤـكـدـ أـوـ يـشـيرـ وـلـوـ اـشـارـةـ ضـعـيفـةـ، مـنـ هـوـ الـمـقصـودـ بـشـرـ الـأـشـرـارـ اوـ
سـيـدـ أـهـلـ النـارـ فـيـ كـلـامـ النـفـسـ الزـكـيـةـ..؟ـ
وـهـلـ الـمـقصـودـ هـوـ أـبـوـ طـالـبـ حـقـاـ..؟ـ

(١) سورة النساء، آية ١٤٤.

ومن أين له هذا الدليل..؟ حتى تقف في صدره هذه الرسالة وتلتبس الحال عنده، أم أنه ظن وتخمين..؟

وأنه استهدف مفترض.. وأن وراء الأكمة ما وراءها..؟

ولغاية في نفس يعقوب..؟!

ولماذا لم تلتبس الحال عنده، ويقف في صدره قول من عاصر النفس الزكية من أبناء أبي طالب فكان وإياه على بعد زمني واحد من أبي طالب، وعهد النبي «صلى الله عليه وآله»، وقربتها منه واحدة، ولكنه أفضل وأعلى منزلة في العلم، عند الجميع، وأصدق قولهً من النفس الزكية، ألا وهو الإمام جعفر الصادق «عليه السلام» لماذا..؟!

وهو يعلم علم اليقين أن الصادق «عليه السلام» أولى بذلك..؟

ولماذا لم يأخذ بكلام الإمام الباقر «عليه السلام» وهو الأقرب زمنياً وأفضل وأعلى منزلة أيضاً وهو الذي قال: لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان، وايمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمان أبي طالب^(١) ...

ولماذا..؟

لم تلتبس الحال عنده بشهادة ولده أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب «عليه السلام»، سيد الوصيين، وباب مدينة علم الرسول «صلى الله عليه وآله» بأبيه أبي طالب، وهو ابنه الصليبي، وقد عاشه بل وعاش معه في بيت واحد وتحت سقف واحد، وهو، هو من يعرفه ابن أبي الحديد، ويعرف مكانته، ويشهد له، والعالم كله يشهد، المحب والمبغض، والمفترض

(١) الغدير: ج ٧، ص ٤٢٢، وشرح النهج م ٧، ج ١٤، ص ٢٦٤.

والمنصف والممتص، فهو الأعلى منزلة وفضلاً وعلماً وعدلاً...
وليس بالبعد الزمني للنفس الزكية عن أبي طالب، فالحاديدي يقول: وعهده
قريب من عهد النبي «صلى الله عليه وآله»، ولم يطل الزمان فيكون الخبر مفتعلأً..
فعلي «عليه السلام» ابنه مباشرةً وليست بينهما أية مسافة زمنية،
واستظل بظله وعاش في كنفه، وعلى مع الحق، والحق مع علي يدور كيما
دار، وقوله فصل، وشهادته وحكمه عدل، بشهادة ابن أبي الحميد نفسه..
وأما النفس الزكية فتفصله عنه مائة وخمسون عاماً - قرن ونصف
القرن - ثم ماذا..؟

ثم تقف في نفس ابن أبي الحميد شبهة بل أسطورة ولا تقف في صدره
حقيقة واضحة ناصعة..؟!

ويقول أيضاً: أنه قد روي في إسلام أبي طالب وكفره، أخبار كثيرة
متعارضة، فهو من المتوقفين.. وأي تعارض هذا..؟ والتعارض فرع التكافؤ.
وهل أخبار معاوية: السلطان الظالم والغاصب والملعون مع أبيه أبي
سفيان على لسان الرسول «صلى الله عليه وآله»، حيث يقول ابن أبي الحميد:
وروى شيخنا أبو عبد الله البصري المتكلم رحمه الله تعالى، عن نصر بن
 العاص الليثي عن أبيه، قال: أتيت مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله»
والناس يقولون: نعوذ بالله من غضب الله، وغضب رسوله !
فقلت: ما هذا؟

قالوا: معاوية قام الساعة، فأخذ بيده أبي سفيان، فخرجا من المسجد.
فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: (لعن الله التابع والمتبوع؟ رب
يوم لأمتى من معاوية ذي الاستاء).

قالوا: يعني كبير العجز..^(١)

إذا وهل اخبار معاوية السلطان الظالم والغاصب والملعون والطليق بن الطليق واللصيق.. أخباره المفتعلة، بنت الرشوة، والحدق، هل تستوي مع أخبار لا أقول عنها شيئاً اللهم الا أنها مضمخة باجحاء أهل البيت «عليه السلام»، وهم أهل العصمة والطهر، والطهارة بالقول القرآني: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، صادرة عنهم..

وأما صاحب الأسطورة فهو عثمان بن سعد المد니، وهو من مجاهيل الرواية^(٢) ... والطبرى، ذكر لها اسناداً مبتوراً، فيقول حدثني محمد بن يحيى، قال: نسخت هذه الرسائل، من محمد بن بشير وكان يصححها، وحدثنيها أبو عبد الرحمن، من كتاب أهل العراق، والحكيم بن صدقة بن زارة، وسمعت ابن أبي حرب يصححها^(٣) .. وهذا اسناد مبتور، لاسمه مبتورة غير مكتملة وغير معروفة...

وبعد كل هذا، تقف الأسطورة في صدر ابن أبي الحديد ولا تسقط، رغم سقوطها سندأً ومبني ومتنا ومناسبة... وتبقى الحال عنده ملتبسة..؟ فما هو السبب يا ترى لهذه الوقفة وهذا الالتباس..

ولماذا..؟! ولماذا..؟! وعلى مع الحق، والحق مع علي يدور كيفما دار...
ولكن، قاتل الله لكن... يؤمنون ببعض ويکفرون ببعض..!
وماذا يبقى من قول ابن أبي الحديد، في أبي طالب:

(١) شرح النهج ٢ ج ٤، ص ٢٩٤ ورد ذلك في فصل إبيان أبي طالب.

(٢) شيخ الأبطح، ص ٩٣.

(٣) مؤمن قريش، ص ٢٩٤، مسندأ عن الطبرى ١٩٥ - ٦ - ٢٠ هـ.

ولولا أبو طالب وابنه لما مثل الدين شخصاً فقاما
فذاك بمكة آوى وحامي وهذا يشرب جس الحما
وماذا يبقى له من قوله الذي جعل فيه، الانتساب لأبي طالب شرفاً
وعزاً وتقديماً ونعمة..؟! مالكم كيف تحكمون..؟!
وإذا حكمتم فاحكموا بالعدل..!

ولكتنا نرد عليه بقوله:

ما يضره في هذا الموقف:	ويحضرني مقطوعة شعرية للسيد علي خان من ديوانه الدرجات
أبو طالب عم النبي محمد	جهول لغا او بصير تعامي
ويكفيه فخرًا في المفاخر أنه	من ظن ضوء النهار الظلاما..
لقد جهلت قوم عظيم مقامه	جهول لغا او بصير تعامي
ولولاه ما قامت لأحمد دعوة	من ظن ضوء النهار الظلاما..
أقر بدين الله سرًا الحكمة	جهول لغا او بصير تعامي
وماذا عليه وهو في الدين هيبة	من ظن ضوء النهار الظلاما..
وكيف يحل الذم ساحة ماجد	جهول لغا او بصير تعامي
عليه سلام الله ما ذرف شارق	جهول لغا او بصير تعامي

(١) آل أبي طالب، ج ١، ص ٣٤ - وقد وردت في شيخ الأبطح، ص ٨٥ هـ.

الفصل العاشر:

تعنٌ.. وردٌ:

تجنٌ.. ورد:

ومن جملة الأراجيف والاقتراءات على أبي طالب، وكذبهم على الله ورسوله ما رواه عن الآية: ﴿وَهُمْ يَنْهَا نَعْنَهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يَهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^(١) قد نزلت في أبي طالب... فهم يدعون أنه كان ينهى قريشاً عن ايذاء النبي ومدافعته، ويعنفهم من ذلك، ويدفعهم عنه، وفي نفس الوقت كان ينأى عن دعوة الرسول وما جاء به...

وقبل أن نناقش سند هذه الرواية، نناقش مضمونها، ومرجع الضمائر فيها: يقول العلامة السيد محسن الأمين في كتابه آل أبي طالب :

قال عبد الرزاق: حدثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عمن سمع ابن عباس في قوله: وهم ينهون عنه وينأون عنه، قال: نزلت في أبي طالب، كان ينهى عن النبي «صلى الله عليه وآلـه» وينأى عما جاء به أقول: مع ارساله يوجب اختلاف مرجع الضميرين فيها، وظاهرها أن مرجعيها واحد وهو الاسلام^(٢).

أما مجمع البيان فيقول: قيل عنيـ به أبو طالب بن عبد المطلب، ومعناه

(١) سورة الأنعام، آية ٢٦.

(٢) آل أبي طالب، ج ١، ص ٣٦.

يمنعون الناس عن أذى النبي «صلى الله عليه وآلها»، ولا يتبعونه، عن عطاء ومقاتل، وهذا لا يصح لأن هذه الآية معطوفة على ما تقدمها: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَفِرَأَاهُمْ﴾، ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾. وما تأخر عنها معطوف عليها: ﴿وَلَوْ نَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْسَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذَّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

وكلها في ذم الكفار والمعاندين للنبي «صلى الله عليه وآلها»، هذا وقد ثبت اجماع أهل البيت «عليه السلام»، على ايمان أبي طالب واجماعهم حجة لأنهم أحد الثقلين اللذين أمر النبي «صلى الله عليه وآلها» بالتمسك بهما... .

وأما الرواية في سندها فيقول ابن حجر في كتابه الاصابة: وأسانيد هذه الأحاديث واهية وعلى تقدير صحتها فقد عارضها ما هو اصح منها... .^(٢)

وأما الطبرى فقد اخرجها مع غيره، من طريق سفيان الثورى عن حبيب بن ثابت، عمن سمع ابن عباس أنه قال: إنها نزلت في أبي طالب، ينهى عن أذى الرسول «صلى الله عليه وآلها» أن يؤذى، وينأى عن ان يدخل الاسلام^(٣) .

(١) نفس المصدر، آية ٢٨.

(٢) بجمع البيان للطبرى، م ٢، ج ٤، ص ٤٤٤.

(٣) آل أبي طالب، ص ٣٦، العلامة السيد محسن الأمين رحمه الله.

(٤) مؤمن قريش، ص ٣٠٧ - ٣٠٨.

وقد شرحتنا وبينما فيها سبق أن سفيان كان مدلساً ويكتب عن الكذابين،
فصل شبّهات وتوضيح.. راجع - ويروي عن الضعفاء.. إذا فهذه فريدة
ساقطة متنا وسند.. وأما ما يروونه زوراً وسخافة، ان ابا طالب رأى النبي
«صلى الله عليه وآلـه» وابنه عليا «عليـه السلام» يصليان بيطن نخلة، فقال:
ما تصنعان..؟ فدعاه الرسول الى الاسلام والصلاه، فقال له أبو طالب:

ما بالذي تقول من بأس، ولكن والله لا يعلوـني، أستـي أبداً.. وعليـه
فانـنا نقول: وهـل كان أبو طـالـبـ، شـيخـ الـبـطـحـاءـ، وحاـكـمـ قـريـشـ وـحـكـيمـهاـ
وـقـاضـيـ الـعـربـ وـنـبـيلـهــ، بـهـذـهـ السـخـافـهـ لـيـصـدـرـ عـنـهـ هـذـاـ السـخـفـ المـضـحـكـ
وـالمـزـرـيـ..

أو لا يسجد الله تعالى لأجل هذا السبب الوضيع والسيء..؟ مع
اعترافه بالاسلام واستحسانه له واعترافه بالله الواحد الأحد وعظمته،
ويسجد كما يدعون لصنم حجر لا يضر ولا ينفع، ولا يجد حرارة في ان
يعلوه أسته في سجوده له..؟! إنه والله المضحك المبكي..

ونسأل هل نأى أبو طالب بنفسه عن النبي «صلى الله عليه وآلـه» أم لا..؟
فإذا قرأتـ شـعـرـهـ وـهـ كـثـيرـ وـكـثـيرـ وـجـدـنـاـ أـنـهـ يـنـبـيـ عـنـ الـاسـلـامـ فـيـ الـكـثـيرـ
مـنـ أـبـيـاتـهـ وـقـصـائـدـهـ وـيـدـعـوـ النـاسـ فـيـ مـكـةـ وـخـارـجـهـاـ إـلـىـ الـاسـلـامـ وـفـيـ رـسـالـةـ
لـهـ إـلـىـ النـجـاشـيـ يـحـضـهـ فـيـهاـ عـلـىـ نـصـرـ النـبـيـ «صلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ» وـيـدـعـوـ لـاـنـ
يـدـخـلـ فـيـ الـاسـلـامـ:

فـلـاتـجـعـلـوـاـالـلـهـ نـدـاـ وـأـسـلـمـواـ فـانـ طـرـيقـ الـحـقـ لـيـسـ بـمـظـلـمـ
وـالـقـرـآنـ الـكـرـيمـ:ـ يـقـولـ:ـ ﴿فَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ أَنَّدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١)ـ وـهـذـاـ

(١) سورة البقرة، آية ٢٢، مدنية.

نطق بالوحى قبل نزوله على النبي «صلى الله عليه وآلـه»، (فلا تجعلوا الله نداً) فالآية مدنية وليس مكية، ولم تكن قد نزلت في حينه.. إذا أبو طالب لم ينأ بنفسه عن النبي «صلى الله عليه وآلـه» أبداً، وفي الوقت نفسه كان يدعو الناس إليه وإلى نصرته والدخول في الإسلام، ولم ينفهم عنه أبداً..

والضمير في ينهون عنه وينأون عنه عائد للجمع، لا للفرد، فالقصد بها الكافرون جائعاً وليس (ابو طالب)، كما اننا نجد في سياق الآيات الثلاث: وهم ينهون عنه وينأون عنه، وما قبلها وما بعدها، وفي اتحادها في ما ترمي اليه: سداً يمنع تحريف هذه الآية لاتصالها بما سبقها وارتباطها بما لحق بها..

وفي مواقفه العملية - نسأل هل نأى عنه يوم جاءته قريش تعرض عليه أن تعطيه عمارة بن الوليد على أن يسلمهم النبي «صلى الله عليه وآلـه»..؟ أم هل نأى عنه في الشعب حين تحمل من الحصار والجحود ما تحمل، وقد كان ين Vim ولده مكان النبي «صلى الله عليه وآلـه» ويحرسه من الاعداء. أم هل نأى عنه حين أخبره النبي بأن الأرضة أكلت، ما في الصحيفة من ظلم وقطيعة.

أم انه تعامل مع هذا الخبر معاملة المؤمن الذي لا يخالطه شك او ريب فجاء الى قريش وقال لهم: إن ابن أخي بكلذا ولم يكذبني قط؟ الى ما هنالك من كلمات وموافق له عليه السلام.

الفصل الحادي عشر:

حدث الضماع

حديث الضحضاح:

من جملة السلع التي انتجتها السوق الأموية السوداء، الحاقدة على أهل البيت «عليهم السلام»، عامة، وعلى الامام علي «عليه السلام» خاصة؛
حديث الضحضاح، بحق والده أبي طالب، كافل الرسول ومربيه وحاميه
وناصره... .

فما هو هذا الحديث..؟

الأكذوبة الافك، والذي نسجوه على نول الحقد والكراهية العمباء،
فرمروا وطبلوا لما لم يزل لهم فيه مكاء وتصدية من تكفير أبي طالب، بيضة
البلد سيد الأباطع وشيخ الأئمة، بعد ان عجزوا عن الواقعية في الولد
فوجهوها الى الوالد أو الى الوالدين.. فما هو هذا الحديث..؟؟؟

ان حديث الضحضاح لم يرد في صورة واحدة بل ورد بصور عديدة:
اولاً: عن أبي سعيد الخدري قال: أنه سمع النبي «صلى الله عليه وآله»
وقد ذكر عنده عمه فقال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيمة فيجعل في
ضحضاح من نار يصلح كعيبيه، يعني منها دماغه... .^(١)

ثانياً: عن عبد الله بن عمر القواريري، و محمد بن أبي بكر المقدمي

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج ٣، ص ٢٤٠.

ومحمد بن عبد الملك الأموي، قالوا: حدثنا أبو عوانة، عن عبد الملك بن عمير عن عبدالله بن الحارث بن نوفل عن العباس بن عبد المطلب، أنه قال: يا رسول الله هل نفعت أبا طالب في شيء؟ فإنه كان يحوطك، ويغضب لك؟

قال: نعم ! هو في ضحضاح من نار، ولو لا أنا لكان في الدرك الأسفل^(١) من النار... .

ثالثاً: عن ابن أبي عمر، حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير، عن عبدالله بن الحارث، قال: سمعت العباس يقول: قلت يا رسول الله ! إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك، فهل نفعه ذلك؟

قال: نعم ! وجدته في غمرات من النار، فأخرجته إلى ضحضاح... .

رابعاً: عن أبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت عن أبي عفان النهدي عن العباس: أن رسول الله قال: أهون أهل النار عذاباً: أبو طالب، وهو متعل بنعلين يغلي منها دماغه.. .^(٢)

وفي حديث آخر وبسند آخر، بزيادة كلمة واحدة: تغلي منها أم دماغه... .

هذه صور أربع لحديث واحد وهناك صور أخرى، فقد ذكر الخنزيري في كتابه مؤمن قريش تسع صور لهذا الحديث صفحة ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨ ستة منها مستندة إلى صحيح مسلم، والثلاثة الباقية مستندة لصحيح

(١) مؤمن قريش، ص ٣٧٦، مستند عن صحيح مسلم، هـ ١.

(٢) نفس المصدر، مستند عن صحيح مسلم هـ ٢.

(٣) مؤمن قريش ص ٣٧٧، مستند عن صحيح مسلم، هـ ٤.

البخاري.. وهي متناقضة متناً ومبني... ونناوش الحديث... في السنده: نرى أن الرواية في معظمهم وحسبها هو وارد في بعض صوره، يررونها عن العباس بن عبد المطلب، وفي الوقت نفسه يررون عنه حديث الاختصار الذي يناقضه ويعارضه حيث أن العباس يشهد للنبي «صلى الله عليه وآله» أن أبا طالب قد قال الشهادة التي طلبها الرسول منه، وهنا تسقط نسبته أو اسناده إلى العباس...^(١)

أما القواريري فهو متهم عند الأميني بالتزيف، وفي ميزان الاعتدال للذهبي ليس له ذكر أو اثر، وأما محمد بن أبي بكر المقدمي فهو مجاهول عند الذهبي في ميزانه أيضاً، وفي الغدير يقول الأميني: حديث زيف هناك، ومن رواهه محمد بن أبي بكر المقدمي، وأما محمد بن عبد الملك فتكفي أمويته ليروي أكثر من ذلك في حق شيخ الأبطح، وهو ليس بحكم العقل عند أبي داود، وأما أبو عوانه فغامض وخفى... وأما عبد الملك بن عمير فقد كان مدلساً عند ابن حيان، وعند الإمام أحمد ضعيف يغلط، وعند ابن معين: مخلط..^(١).

واما سفيان الثوري فقد سبق كذبه وتدعليسه - راجع ما سبق - واما الباقيه فليس منهم الا مجاهول او مدلس او كذاب...

إذاً، فالحديث ساقط سندأ، وفوق كل ذلك: فإن كل هذه الروايات والأحاديث لحديث الضحاچ، وفي جميع صوره، تستند كلها وتعود إلى مصدر واحد لا يرويها سواه، ألا وهو المغيرة بن شعبة الثقفي، المعروف

(١) مؤمن قريش، ص ٣٧٨ - ٣٧٩.

بعداوته لبني هاشم وبغضه لهم...^(١)

يقول ابن أبي الحديد: إن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي «عليه السلام»، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغلب في مثله، فاختلقو ما أرضاه، منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير...^(٢).

ويقول: وكان المغيرة بن شعبة صاحب دينار يبيع دنياه بالقليل التزr منها، ويرضي معاوية بذكر علي بن أبي طالب..^(٣).

ويقول أيضاً: وكان المغيرة بن شعبة يلعن علياً عليه السلام لعنًا صريحًا على منبر الكوفة، وكان بلغه عن علي «عليه السلام» في أيام عمر أنه قال: لئن رأيت المغيرة لأرجمنه بأحجاره -يعني واقعة الزنا بالمرأة (أم جيل)، التي شهد عليه فيها أبو بكرة، ونكل زياد بن أبيه عن الشهادة - فكان يبغضه لذلك، ولغيره من أحوال اجتمعت في نفسه..^(٤).

ثم يقول: وأما حديث الضحاضاح من النار، فانها يرويه الناس كلهم عن رجل واحد، وهو المغيرة بن شعبة، وبغضه لبني هاشم، وعلى الخصوص لعلي «عليه السلام»، مشهور معلوم، وقصته وفسيه أمر غير

(١) منية الراغب في إيمان أبي طالب ص ١٧٣.

(٢) شرح النهج، م٢، ج٤، ص ٢٨٣.

(٣) نفس المصدر ص ٢٨٨.

(٤) نفس المصدر، ص ٢٨٧.

خاف^(١) ... ومن هنا نرى أن الحديث ساقط في سنته ...

وهو إنما متحامل على الرسول وعلى أهل بيته «عليه السلام» فالMuslimون متفقون على أنه ليس في الآخرة سوى الجنة والنار - ثواباً وعقاباً - جنة واحدة، ونار واحدة، وإنما يدخل الله سبحانه وتعالى، المؤمن بالجنة، والكافر يدخل النار، فإذا كان أبو طالب كافراً على ما يقولون، فكيف يكون ومن دون الكافرين، في ضحضاح من نار، ولم تجعل له نار وحده، من بين الخلائق، وقد تحدث القرآن في عديد من آياته، أن الكافر خالد في النار لا تنفعه شفاعة شافع، ولا يخفف عنه العذاب... ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخْفَفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ ..^(٢).

وقال عز وجل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلَا يُخْفَفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ ..^(٣).

وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارٌ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيُمُوتُوا وَلَا يُخْفَفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجِزِي كُلَّ كُفُورٍ﴾ ..^(٤).

وقال: ﴿وَكُنَّا نَحُوْضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ ..^(٥).

(١) شرح النهج م ٧، ج ١٤، ص ٢٦٦.

(٢) سورة البقرة آية ١٦٢.

(٣) سورة البقرة، آية ٨٦.

(٤) سورة فاطر آية ٣٦.

(٥) سورة المدثر آية ٤٦.

وقال: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّين﴾^(١).

وقال: ﴿هَتَنَى أَتَانَا الْيَقِين﴾^(٢).

وقال: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾^(٣) ...

إذا فالحديث مخالف للنص القرآني، وهذا يسقطه أيضاً، فكل ما خالف القرآن باطل.. واما إن كان أبو طالب قد جعل في ضحضاح من نار لأجل تربيته للنبي «صلى الله عليه وآلـه» وذبه عنه، وعطشه عليه ونصرته إياه... نقول ان تربية النبي «صلى الله عليه وآلـه» والذب عنه والشفقة والعطف عليه، والنصرة له، طاعة الله تعالى يستحق فاعلها الثواب الدائم، فان كان أبو طالب فعلها وهو مؤمن فيما باله لا يكون في الجنة كغيره من المؤمنين..؟ وإن كان قد فعلها وهو كافر، فإنها غير نافعة له لأن الكافر إذا فعل فعلـاً فيه طاعة الله تعالى، لا يستحق عليه ثواباً لأنـه لم يفعلـه لوجه الله متقرـباً إليه تعالى، من حيث أنه لم يعرف الله ولم يؤمن به ليقربـ إليه، فوجبـ أن يكون عملـه هذا غير نافعـ، وعليـه فلا يستحقـ أن يجعلـ في ضحـضاحـ من نـارـ، علىـ افتراضـ أنـ فيـ النـارـ ضـحـضـاحـاًـ.. فهوـ إماـ مؤـمنـ يستـحقـ الجـنةـ، وإماـ كـافـرـ يستـحقـ الأـبـدـيـةـ فيـ الدـرـكـ الأـسـفـلـ منـ النـارـ عـلـىـ وجهـ الاستـحـقـاقـ كـغـيرـهـ منـ الـكـفـارـ.. وهذاـ لاـ يـقـولـهـ مـفـتـلـ الـحـدـيـثـ، فـأـنـتـفـيـ أنـ يـكـونـ فيـ ضـحـضـاحـ منـ نـارـ، وـلـمـ يـقـ إـلاـ أنـ يـكـونـ مـؤـمنـاًـ وـفيـ الجـنةـ معـ المـؤـمنـينـ...ـ

ثم نسأل: وهل كان النبي «صلى الله عليه وآلـه» بـخـيـلـاًـ إـلـىـ هـذـاـ الـحـدـ فيـ

(١) سورة المدثر آية ٤٧.

(٢) سورة المدثر آية ٤٨.

(٣) سورة المدثر آية ٤٩.

حق عمه...؟ وهو الكريم في الناس، وللناس جميعاً، خلقاً وعطاء، حتى لا يتم معروفة مع عمه فيشفع له الشفاعة الكاملة ويخرجه من النار..؟!

ونسأل: هل تعطى الشفاعة مجلدة، أي مسبقاً قبل البعث والورود على الخوض، وقبل الحساب، وتكون في الدنيا..؟

وكيف يشفع الرسول لشرك لم يعرف الايهان قلبه حسب زعمهم ولا يجوز أن يظهر اي نوع من المودة او يستغفر لشرك حتى لو كان حياً ولا يقف الأمر عند عدم جواز الاستغفار بل تجب البراءة. والشفاعة فوق القربى والمودة والموالاة والعطف، كيف يشفع وقد نهي عنها وحتى عن الاستغفار لشرك فكيف بالشفاعة إذا...؟

فإن كانت لاجل عمل حسن، فالرسول يقول: اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة - راجع ما سبق -، والقرآن الكريم صريح بآياته التي تحدث عن الكافرين بأنهم خالدون مؤبدون في النار لا تنفعهم شفاعة من شفع، وقد ذكرنا بعضها - فراجع -.

ثم انهم يرون فيها يررون: ان النبي «صلى الله عليه وآلـه» قال لعمه أبي طالب وهو يختضر: أي عم ! قل كلمة لا اله الا الله، استحل لك بها الشفاعة يوم القيمة، فلم يعطه إياها، وهذا يدل على أنه «صلى الله عليه وآلـه» أنماط مطلق الشفاعة بكلمة لا اله الا الله، فلم استحل له هذه الشفاعة إذا..؟ مع انه لم يعطه هذه الكلمة التي توجب حليتها..^(١).

وأما إن كان قد قالها، فقد تعارضت مع هذه الشفاعة الضحضاوية، فضلاً عن كونها متناقضة مع ما رواه في صحاحهم من أحاديث تعتبر كل

(١) الصحيح من سيرة النبي «صلى الله عليه وآلـه» ص ٢٤١. مستداً مـ ١.

من تنطق بالشهادة من أهل الجنة، لا من أهل النار: من مات وهو يعلم: أنه لا إله إلا الله دخل الجنة...^(١) ، لا يدخل النار أحد يقول: لا إله إلا الله..^(٢) ...

وأخيراً.. أقف عند قوله رجل من الأنصار، كان آخر من أقامه معاوية من الخطباء، للعن علي «عليه السلام»، ويقال له أنيس: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنكم قد أثثتم - اليوم - في سب هذا الرجل، وشتمه، واني أقسم بالله إني سمعت رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» يقول:

لأشفع يوم القيمة، لأكثر مما على الأرض من مدر، وشجر...

وأقسم بالله! ما أحد أوصل لرحمه منه..!

أفترون شفاعته تصل إليكم، وتعجز عن أهل بيته..?^(٣).

فيما اجلها من كلمة وما أروعها... حتى أنه لا يحلو معها قول او

تعليق..

أم أن أبي طالب أهون عليه من أبي هب الملعون من الله ورسوله، عندما جاءته ابنته: سبيعة، تشكو له أن الناس يقولون لها: بنت حطب النار، فقام مغضباً وقال: ما بال أقوام يؤذوني في قرابتني؟

من آذى قرابتني فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله تعالى..^(٤).

(١) مؤمن قريش، ص ٣٩٤، مستنداً عن صحيح مسلم هـ ١.

(٢) نفس المصدر عن سيرة أعلام النبلاء، ص ٢٩٥ هـ ٢.

(٣) نفس المصدر، ص ٣٩٧، مستند هـ ١.

(٤) شيخ الأبطح، ص ١٠٣، مستنداً عن الطبراني والبيهقي، هـ ١.

فهل كان أبو طالب أهون على النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» من أبي هب وأشر منه حتى يقول الرسول للناس عنه أنه في ضحاض من نار، يتتعل بنعلين يغلى منها دماغه، أو انه جمرة من بجرات جهنم..؟

ويغضب لأبي هب مجرد أن الناس قالوا فيه أنه حطب النار..؟

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ
وَمَا كَسَبَ، سَيَضْلُّ نَارًا ذَاتَ هَبٍ﴾^(١) ..، ام ان ابنته أكثر غيرة على أبيها أبي
هاب، من الرسول «صلى الله عليه وآلـه» على عمه أبي طالب، كافله ومربيه
وناصره...؟

أم أنها أرفع درجة ومكانة عنده، من عمه؟!

وما قيمة هذا التخفيف الذي يزعمونه في حديثهم يا ترى..؟

وقد أبقاءه متولاً بتعليق يغلي منها دماغه ويسيل على قدميه؟!

وَمَا قِيمَةُ هَذِهِ الشَّفَاعَةِ الَّتِي وَعَدَهُ أَيَاهَا، وَالَّتِي سَيَعْجِبُ لَهَا الثَّقَلَانِ؟!

فواعجبأً لهذا العجب..؟!

قاتل عمار بن ياسر عندهم: في ثياب بيض في أفنية الجنة، بموجب منام رأه فيه شرحبيل...^(٢) . وأبو طالب في النار، يغلي دماغه، وحاتم الطائي:
يدخل النار لکفره، ولكنه لا يعذب لجوده..^(٣)

(١) سورة المد، آية ٣ - ٤ وقد أنزلها الله بأبي هب و زوجته حالة الخطب ...

(٢) شيخ الأبطح، ص ١٠٢.

(٣) نفس المصدّر.

وكسرى أنو شروان: لا يعذب لعدله..!^(١).

كما يقولون..

فحاتم الطائي إذا يشفع له جوده، وكسرى يشفع له عدله.. وابو طالب، ابن مطعم الطير.. والجواهُ بلا منة، والسمع بها يستطيع بلا طلب، والذي فيه من عظمة أبيه عبد المطلب وصفاته، وبطولة هاشم وكرمه وحكمة قصي وشجاعته..^(٢).

وله فوق كل هذا شفاعة الرسول «صلى الله عليه وآلـه» ويبقى في النار معذباً وأيضاً عذاب..؟ يغلي دماغه، ويتدفق في سبيل على قدميه...!

وقاتل عمار في أفنية الجنة؟.. والرسول «صلى الله عليه وآلـه» يقول لعمار: تقتلن الفئة الباغية، وآخر شراب لك ضياع من لين.

ما أجرأهم على الله وعلى رسوله..

قاتلهم الله أنى يؤفكون...

(١) نفس المصدر.

(٢) راجع ما سبق: فصل: أسماؤه وألقابه..

الفصل الثاني عشر:

أخرج منها... فتد مات ناصره

أخرج منها... فقد مات ناصرك:

مات ابو طالب، ولم يبق للرسول ملجا في مكة ولا ماوي، فقد تهدم سورة المنع، وانكسر سيفه الصقيل... وسقط حصنه المانع له من قريش، واصبح وحيداً لا نصير له ولا ناصر، ولا مانع ولا دافع، فعدت عليه قريش، وقد كسرت عن انيابها، وشحدت نصاها، وقعدت له كل مقعد، ووضعت عليه العيون، ورصدت له كل مرصد، ورمته بكيدها من كل ناحية، تسممه الوان العذاب لونا بعد لون، وتذيقه مرارة الاضطهاد ما استطاعت، حتى قال: لم يؤذنبي في قومه بمثل ما اوذيت...^(١).

وهي التي لم تكن لتحلم ان تناله بسوء من هذا ولو بالقليل القليل في حياة عمه ابي طالب... اما وقد غاب عنه المحامي، وسقط الاسد صريع الموت، فغاب زفيره عن الغابة، فافتلت الوحش من عقاها، وغدت تسريح وتمرح، مبرزة انيابها ومخالبها... ولم تكن صورة عمه لتغيب عنه، في كل هذا، وهو في امس الحاجة لهذا الحصن الظليل والكهف المانع، فهي مائلة امام عينيه دائهما، لا تغيب عن خياله ابداً، وكثيراً ما كان يذكر عمه عند كل شدة او خطب ينزل به، وها هو وقد نثر بعض السفهاء التراب على راسه،

(١) شيخ الأبطح ص ٦٣.

يدخل داره حزيناً دامع القلب، فتنهض ابنته الزهراء «عليه السلام» لتزيل هذا التراب عن راسه الشريف دامعة العين باكية عليه، فيصبرها ويقول لها:
لا تبكي يا بنيّة! فان الله مانع اباك...^(١).

ثم يعقب قائلاً وقد تذكر عمه: ما نالت مني قريش شيئاً اكرهه، حتى
مات ابو طالب...^(٢).

وفي لفظ ثان: وما زالت قريش كاعين (جبانين) حتى مات ابو طالب.

وفي لفظ ثالث: ما زالت قريش كاعنة حتى مات ابو طالب (الغدير ج ٧
ص ٤١٨) وتشتد قريش في اذيتها له، وقد وجدته وحيداً لا مانع له ولا
معين، فيستصرخ روح عمه شاكياً، حيث يجد الراحة في الشكوى اليها: يا
عم... ما اسرع ما وجدت فقدك...!^(٣).

وهكذا نالت قريش منه «صلى الله عليه وآله» ما لم تستطع ان تناهه في
حياة ابي طالب، واشتدت في ملاحقته واذيتها، وفي غمرة هذه المحنـة ومع
اشتداد قريش في اذيتها له، وبعد ان فقد الناصر والمعين جاءه امر الله
بالخروج من مكة، فأنزل عليه الوحي، وهتف له جبرائيل «عليه السلام»
قائلاً: اخرج منها - اي مكة - فقدمات ناصرك... -

يقول ابن ابي الحديد: جاء في الخبر انه لما توفي ابو طالب اوحى اليه

(١) مؤمن قريش، مستنداً عن السيرة النبوية والحلبية والهشامية، والطبرى وابن الأثير،
وغيره هـ ١، ص ٢٢٤.

(٢) مؤمن قريش، مستنداً عن السيرة النبوية والحلبية والهشامية، والطبرى وابن الأثير،
وغيره، هـ ١، ص ٢٢٤.

(٣) شيخ الأبطح، ص ٦٤ - وفي مؤمن قريش، ص ٢٢٤.

«صلى الله عليه وآلـه» وقيل له: اخرج منها، فقدمات ناصرك...». ^(١)

ونسال: اليس في هذا تاكيد جازم ودليل واضح على ان ابا طالب كان موحدا مؤمنا بالله سبحانه وتعالي، بدليل قوله عز وجل في كتابه العزيز: «أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ» ^(٢)، وابو طالب بلا شك ولا جدال وباعتراف الجميع خاصة وعامة، قد آوى الرسول وكفله صغيرا وحماه ونصره كبيرا، بعد مبعثه الشريف، وهذا هو الرسول «صلى الله عليه وآلـه» يقول له معترضأً نعشـه وصلـت رحـما وجـزـيت خـيراً يا عـم، فـلـقـد رـبـيـت وـكـفـلـت صـغـيرـاً وـنـصـرـت وـآـوـيـت كـبـيرـاً... رـاجـع ما سـبـق - وـهـذـا هـوـ الـوـحـيـ الـاـلـهـيـ الـقـدـسيـ يـؤـكـدـ لـمـحـمـدـ «صلـى اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ» أـنـهـ لـمـ يـعـذـلـهـ مـقـامـ فـيـ مـكـةـ بـعـدـ أـنـ مـاتـ نـاصـرـهـ وـمحـامـيـهـ - أـبـوـ طـالـبـ - وـيـأـمـرـهـ بـالـخـروـجـ مـنـهـ، وـفـيـ ذـلـكـ شـهـادـةـ الـوـحـيـ عـلـىـ نـصـرـةـ أـبـيـ طـالـبـ للـنـبـيـ مـحـمـدـ «صلـى اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ»، وـتـأـيـيـدـ الـآـيـةـ الـكـرـيمـةـ لـتـكـمـلـ شـهـادـةـ الـوـحـيـ وـتـوـضـحـ مـضـمـونـهـ، وـتـلـقـمـ الـقـائـلـ بـكـفـرـهـ حـجـراًـ، فـتـؤـكـدـ وـبـوـضـوحـ الـبـرهـانـ الـواـضـعـ وـالـدـلـيلـ الـمـؤـكـدـ عـلـىـ اـيـهـانـهـ، حـيـثـ أـنـهـ غـيـرـ مـقـيـدـ بـزـمـنـ مـعـيـنـ أوـ فـردـ أوـ جـمـاعـةـ، فـهـيـ مـطـلـقـةـ وـتـشـمـلـ كـلـ مـنـ آـوـيـ وـنـصـرـ الرـسـوـلـ «صلـى اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ» دـوـنـ اـسـتـنـاءـ لـأـحـدـ، فـرـدـاـ كـانـ أوـ جـمـاعـةـ.

وبعد ذلك يأتي بعضهم ليقول في كتاب طبع أخيراً إن محمدأً تربى في حجر عبدة الأصنام، فيقول:

وإن كان المؤرخون يسعون كي يقدسوا ساحة عبد المطلب وأبي طالب

(١) شرح النهج لأبن أبي الحديدة، م ١ ج ١، ص ٣٢.

(٢) سورة الأنفال، آية ٧٤.

من الشرك ..

إلى أن يقول: «إن عبد المطلب وإن كان رجلاً حبيباً شريفاً محترماً، ولكن لا يمكن إنكار كونه حارس الأصنام، وساقى عبدته، والمتولى الرسمي لبيت الأصنام»^(١) ..

وقد نسي ما يقوله أبو طالب: نحن آل الله فيها قد مضى ..

ويقول أيضاً: لم تزل الله فينا حجة... راجع ما سبق - ولا نقول لصاحب هذا السفه، والذي زاد في الغيظ حتى انفلق، إلا ما قاله القرآن هؤلاء وأمثالهم: كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذباً^(٢) ..

بعد صدور الأمر إليه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» بالخروج خرج من مكة، خاصة وأن زوجه السيدة خديجة «عليها السلام» قد توفيت بعد أبي طالب بفترة قصيرة... وكما فقد بوفاة عممه الرعاية والحماية والمنع، فقد فقد بوفاتها الإخلاص والحب والحنان والمواساة، وهي التي كانت خير زوجة مخلصة وفيه، وكان «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» يعلم أنه لن يعرض بمثلها فضلاً عن أن يعرض بأفضل منها فلكم آست جراحه التي أدمت قلبه الشريف، من قريس وكيدها وبطشها، ولكم هونت عليه آلامه ...

وقد جعل «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» موت أبي طالب وخديجية مصيبة للأمة الإسلامية، وقد عبر عن ذلك بقوله في هذه المناسبة (... اجتمعت على هذه الأمة مصيitan، لا أدرى بأيهما أنا أشد حزناً^(٣) .. وهو إنما ينطلق في جهه لها

(١) منية الراغب في إيهان أبي طالب، ص ١٩١.

(٢) سورة الكهف: آية ٥.

(٣) الصحيح من النبي الأعظم «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، ص ٢٢٢.

وحزنه عليهما، من حبه الله، وليس من مصلحة شخصية أو عاطفة رحمة
 فهو يحب في الله ويبغض في الله...

ولهول ما نزل به من وفاتها من حزن وألم نفسي، فقد سمي عام وفاتها:
عام الحزن..^(١) ولو لا فضل الله عليه، ولو لا ثقته بالله واتكاله عليه، لضاق
عليه الفضاء برحابته، وسدت الطريق في وجهه، ولناء بحمله...

خرج من مكة إلى الطائف، يلتمس العون والنصرة منبني ثقيف،
ولكتهم، وهم أصحاب النفوس الخبيثة، خذلوه، وردوا عليه طلبه أقبح رد،
واحتقروه وناله الشيء الكثير، فقد أغروا به صبيانهم وسفهاءهم،
فرموه بالحجارة تارة، والشتم والسباب تارة أخرى، حتى شجَّ رأسه
ال الشريف وأدميَت ساقاه وقدماه...

والتجأ إلى بستان واستظل بشجرة فيه... وها هو قد أخذ منه الألم
مأخذًا وثارت في نفسه ذكري عمه، وكيف كان يحوطه ويمتعه، والتجأ إلى
ربه، فثقته لا تنزعزع به، وأمله فيه لا ينقطع... وغمرته الثقة بالله، فشكَا
إليه ما نزل به من الأذى وما ناله من هوان، فتمت و قد ذاب في الله، خاشعاً
مناجياً ربه بكلمات ملؤها الثقة والحب والايمان بالله: اللهم إليك أشكو
ضعف قوي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس...

اللهم يا أرحم الراحمين! - أنت رب المستضعفين، وأنت ربى، إلى من
تكلني...؟ إلى بعيد يتوجهمني...؟ أم إلى عدو ملكته أمري...؟ وإن لم يكن
بك غضب علي فلا أبالي...! ولكن عافيتك هي أوسع من ذنبي...

أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا

(١) نفس المصدر، ص ٢٢٣.

والأخره، من أن يتزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى
ترضى.. ولا حول ولا قوه إلا بك..!^(١).

وعاد إلى مكة ليعرض نفسه على القبائل في موسم الحج، ورغم ممانعة قريش له ودعayıّتهم ضد دعوته فانهم لم يستطيعوا ايقاف مده، فكانت بيعة العقبة... فصمموا على قتله والتخلص منه نهايةًًاً بعدما رأوه يزداد منعة ورفعه، وقد علا شأنه وانتشر دينه، فاجتمعوا وتأمروا على قتله، ووقعوا في دار الندوة، قراراً بقتله، واختاروا لذلك مجموعة من بطون قبائل مكة، ليضيع دمه بين القبائل... ولكن... ﴿وَيَمْكِرُونَ وَيَمْكِرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَأْكِرِينَ﴾...

فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ رَبُّهُ الْوَحْيَ يَخْبِرُهُ مَا مَكْرُوهٌ وَأَتَمْرَوْا بِهِ: ﴿وَإِذْ يَنْكُرُ إِلَكَ
الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُشْتَوِّكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَنْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ
الْمَاْكِرِينَ﴾^(٢).

وأطلع الرسول «صلى الله عليه وآلـه» عليه «عليه السلام» على الأمر، وأخبره أنه عازم على الهجرة إلى المدينة، وعهد إليه بأمور، ثم أمره أن يبيت في فراشه ليلة هجومهم عليه لقتله... فأجابه «عليه السلام» برحابة صدر وفرح، ورباطة جأش، كيف لا وفي ذلك سلامـة الرسـول ونجاته من القتل، فقد كان «عليـه السلام» كأبيه أبي طالب رضوان الله عليه هـمه الأول

(١) شيخ الأبطح ص ٦٥ - مستنداً عن سيرة ابن هشام هـ ١، ووردت في مؤمن قريش ص ٢٢٥ - ٢٢٦، مستنداً عن الطبرى وابن الأثير والسيرة النبوية والهشامية، وغيره.

(٢) سورة الأنفال، آية ٣٠

وشغله الشاغل سلامه رسول الرحمة والهدى... فالتف ببرده الخضرمي
الأخضر وبات تلك الليلة في فراشه، وخرج الرسول «صلى الله عليه وآله»
ساماً وهاجر إلى المدينة...»

فأنزل الله عليه في تلك الليلة، في علي أمير المؤمنين «عليه السلام»^(١):
«وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أَبْتِغَاءَ مَرْضَاهُ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ»^(٢).

وخلاصة القول:

أن الرسول «صلى الله عليه وآله» لم يعذ له مقام في مكة بعد وفاة عمه
أبي طالب، بعد أن كان في حياته في علو ورفة، ونصرة ومنعة..

فلك يا رسول الله بوفاته جميل العزاء، وعظيم الصبر، وله الجنة مأوى،
وهنيئاً له جوار ربه، ورفقة المؤمنين والصادقين، وحسن بذلك رفيقا..

وليتقولوا ما يشاوزون..

ولهم الجدار فليضر بوارؤوسهم به...
«وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا»^(٣).

فقد جحدوا الحق وذلك لكلمة خرجت من فم السياسة الأموية...
رهبة ورغبة واتبعوا الباطل، «إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا»..

ولما كان الأمر يدور بين قولهم أو قول الله فان قول الله مقدم حتى
وكذلك قول النبي «صلى الله عليه وآله» والأئمة الأطهار «عليه السلام»

(١) شيخ الأبطح، مسندأ عن الشعالي والرازي في تفسيرهما عند الظلام هذه الآية.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٠٧.

(٣) سورة الاسراء، آية ٨.

وقول الصحابة وكبار العامة، نقول النبي «صل الله عليه وآلـه» وهؤلاء
مقدم على قوهم... ولا نقيـم لقوهم وزنا...

الفصل الثالث عشر:

نماذج من شعره

نماذج من شعره:

لأبي طالب شعر كثير وليس بالامكان أن نحيط به في هذا الكتاب لأن ذلك يتطلب كتاباً مفرداً، لذلك ولكن نذكر بعض النماذج بالإضافة إلى قصيدة المشهورة وهي القصيدة اللامية تبلغ مائة وثلاثة عشر بيتاً.. وقد ذكر الأميني أن تمام القصيدة مائة وواحد وعشرون بيتاً، أما العسقلاني فقال أن تمامها مائة وعشرون بيتاً.. مع الاشارة إلى أن هذه النماذج التي سنوردها تأتي زيادة على ما ورد من شعره من نماذج وقصائد في هذا الكتاب، ويبقى غيرها الكثير.. هذا وإننا نقرأ في شعره الكثير من الشواهد والتصريحات الواضحة والناضحة باليهانه بالله وتوحيده وايهانه بنبي الإسلام وصدقته وبدعوته حتى لا تكاد تخلو قصيدة أو مقطوعة من هذه الشواهد.

أبو طالب مع جمع من قريش:

جاء جماعة من قريش عند أبي طالب «عليه السلام» وقالوا: إن أبن أخيك سفه أحلامنا، وأفسد شبابنا، سلمه لنا لقتله، ونسلم إليك عماره بن الوليد، فقال أبو طالب:

يقولون لي دع نصر من جاء بالهدى
وغالب لنا غلاب كل مغالب
نبيا ولا تحفل بقول المعاتب
 وسلم اليـنا أـحمد أـكـفـلنـ لنا

فقلت لهم والله ربى وناصري

وأيضاً قال:

ولاتبعوا أمر الغواة الا شائم
أمانبكم هذى كاحلام نائم
ولما تروا قطف اللحى والجهاجم
ولما نقاذف دونه وزاحم
تمكن في الفرعين من آل هاشم
بخاتم رب قاهر في الخواتم
وما جاهمل في قومه مثل عالم
فمن قال لا، يقرع بها سن نادم
تدافع عنه كل عاتٍ وظالم^(١)

فلا تسهوا أحلامكم في محمد
تمننتموا أن تقتلوه وإنما
وإنكم والله لا تقتلونه
زعمتم بأنما مسلمون حمدا
من القوم مفضل أبي على العدى
أمين حبيب في العباد سوم
يرى الناس برهانا عليه وهيبة
نبي أتاه الوحي من عند ربه
تطيف به جرثومة هاشمية

وقال أبو طالب: يعاتب قوماً من عشيرته ويحذرهم وبالعدوات،
ويذكر أمر النبي «صلى الله عليه وآله» وعترته:

بحق وما تغنى رسالة مرسل
وإخواننا من عبد شمس ونوفل
وأمراء غويا من غواة وجهل
أقرت نواصي هاشم بالتلذل
بمكة والركن العتيق المقبل

الا بلغا عنى لؤي رسالة
بني عمّا الأدرين تيما نخصهم
اظاهرتم قوماً علينا ولایة
يقولون لو أنا قتلنا حمدا
كذبتم ورب الهدى تدمى نحوره

(١) المصادص الفاطمية للشيخ محمد باقر الكجوري ج ٢ ص ٨٢.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٣٥ ص ١٦٠ - ١٦١.

صوارم تفري كل عضو ومفصل
بخيل تهام أو بآخر معجل
على ربوة في رأس عنقاء عيطل
عرانين كعب آخراً بعد أول
فروموابها جمعتم نقل يذبل
وذى مبعة نهد المراكل هيكل
وغصب كايماض الغمامه مقصل
معاوير بالأخطار في كل مخلف^(١)

وقال أبو طالب مؤكداً إيمانه وتصديقه بمحمد «صلى الله عليه وآله» وما جاء به من دين أو كتاب، ومحذراً قريشاً من مغبة الإساءة إلى الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله»:

ودمع كسع السقاء السرب
وهل يرجع الحلم بعد اللعب
كنفي الطهاة لطاف الخطب
خلوف الحديث ضعيف السبب
بحق ولم يأتهم بالكذب
بني هاشم وبني عبد المطلب
أمراء علينا بعقد الكرب
بما قد مضى من شؤون العرب

تناولونه أو تصططوا دون نيله
فمهلا ولا تنتج الحرب بكرها
وتلقوا ربيع الأبطحين محمدا
وتأوى إلبه هاشم إن هاشما
فيإن كنتم ترجون قتل محمد
فيإنا سنحميه بكل طمرة
وكل رديني ظماء كعوبه
بإيهان شم من ذوابة هاشم

(١) الحجة على الذاهب إلى تكير أبي طالب للسيد فخار بن معد ص ٢١٨ - ٢٢٠.

بعيد الأنوق بعجم الذنب
 بأمر مراح وحلم عزب
 على الأصرات وقرب النسب
 وكعبة مكة ذات الحجب
 ظبة الرماح وحد القصب
 صدور العوالى وخبلاء عصب
 قصير الخرام طويل اللب
^(١)
 هم الأنجبون مع المتجب

بصفواء في حق ولا عند باطل
 ولا نهنه عند الأمور التلائل
 وقد قطعوا أكل العرى والوسائل
 وقد طاوعوا أمر العدو المزاييل
 يعوضون غيظا خلفنا بالأأنامل
 وأبيض عصب من تراث المقاول
 وأمسكت من أثوابه بالوسائل
 لدى حيث يقضي حلفه كل نافل
 بمفضى السيول من أسف ونائل

فلا تمسكن بأيديكم
 علام علام تلافيت
 ورمتم بأحمد مارمن
 فإني ومن حج من راكب
 تنالون أحمد أو تصطروا
 وتعترفوا بابين أبياتكم
 تراهن ما بين ضافي السبب
 عليها صناديد من هاشم
 أبو طالب وقصيده اللامية:
 خليلي ما أذني لأول عاذل
 خليلي إن الرأي ليس بشركة
 ولما رأيت القوم لا ود عندهم
 وقد صارحونا بالعداوة والأذى
 وقد حالفوا قوما علينا أظنة
 صبرت لهم نفسي بسمراء سمححة
 وأحضرت عند البيت رهطي وأخوتي
 قياما معا مستقبلين رتاجه
 وحيث بنين الأشعر ونركابهم

(١) حلية الأبرار للسيد هاشم البحرياني ج ١ ص ١٠٢ - ١٠٤.

محبة بين السديس وبازل
 بأعناقها معقودة كالعثاكل
 علينا بسوء أو ملح بباطل
 ومن ملحق في الدين ما لم نحاول
 ورافق ليرقى في حراء ونازل
 وبالله إن الله ليس بفافل
 إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل
 على قدميه حافيا غير ناعل
 وما فيها من صورة وتماثيل
 ومن كل ذي نذر ومن كل راجل
 إلا إلى مفضى الشراح القوابل
 يقيمون بالأيدي صدور الرواحل
 وهل فوقها من حرمة ومنازل
 سرعا كما يخرجون من وقع وايل
 يؤمون قذفارأسها بالجنادل
 تجير بهم حجاج بكر بن وائل
 وردا عليه عاطفات الوسائل
 وشبرقة وخد النعام الجوافل
 وهل من معبد يتقي الله عاذل
 تسد بنا أبواب ترك وكابل

موسمة الأعضاد إذ قصراتها
 ترى الودع فيها والرخام وزينة
 إعوذ برب الناس من كل طاعن
 ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة
 وثور ومن أرسى ثيرا مكانه
 وبالبيت حق البيت من بطن مكة
 وبالحجر المسود إذ يمسحونه
 وموطئ إبراهيم في الصخر وطأة
 وأشواط بين المروتين إلى الصفا
 ومن حج بيت الله من كل راكب
 وبالشعر الأقصى إذا عمدوا له
 وتوقفهم فوق الجبال عشية
 وليلة جمع المنازل من مني
 وجمع إذا القربات أجزنه
 وبالحمرة الكبرى إذا صمدوا لها
 وكندة إذا هم بالمحساب عشية
 حليفان شدا عقد ما اختلفوا له
 وحطتهم سمر الرماح وسرحة
 فهل عد هذا من معاذ لعائذ
 بطاع بنا أمر العداة وإننا

ونظعن إلا أمركم في بلابل
ولما نطاعن دونه ونناضل
أقاتل عنه بالقنا والقبائل
ونذهل عن أبنائنا والخلائل
نهوض الروايا تحت ظل الصلال
من الطعن فعل الأنكب المتخامل
لتلتبسن أسيافنا بالأمثال
أخي ثقة حامي الحقيقة باسل
منع الحمى عند الوغى غير واكل
عليينا وتأتي حجة بعد قابل
بحوط الذمار غير ذرب مواكل
ثمال البتامى عصمة للأرامل
فهم عنده في رحمة وفواضل
إلى بغضنا وجرا بأكلاة أكل
جزاء مسى لا يؤخر عاجل
ولكن اطاعا امر تلك القبائل
ولم يرقبا فينا مقالة قائل
وكل تولى معرضا لم يجامل
نكل لها صاعا بصاع المكاييل
ليظعننا في أهل شاء وجامل

كذبتم وبيت الله نترك مكة
كذبتم وبيت الله يزى محمد
أقيم على نصر النبي محمد
ونسلمه حتى نصرع حوله
وينهض قوم بالحديد إليكم
وحتى ترى ذا الضفن يركب ردعه
 وإن لعمر الله إن جد ما أرى
بكفي فتى مثل الشهاب سميدع
من السر من فرعى لؤي بن غالب
شهورا وأياما وحولا عمرها
ومات ترك قوم لا أبالك سيدا
وابيض يستسقى الغمام بوجهه
يلوذ به الأهلاك من آل هاشم
لعمري لقد أجرى أسيد وبكرة
جزت رحم عنا أسيدا وخالدا
وعثمان لم يربع علينا وقنفذ
أطاعا أبيا وابن عيد يغوثهم
كما قد لقينا من سبع ونوفل
فإن يلقيا أو يمكن الله منها
وداك أبو عمرو أبي غير بغضنا

فناج أبا عمرو بن اتم خاتل
 بل قد نراه جهرة غير خائل
 من الأرض بين أخشب فمجادل
 بسعيك فيما معرضاً كالمخاتل
 ورحمته فيما ولست بجاهل
 حسود كذوب مبغض ذي دغاول
 فعش يا بن عمي ناعماً غير ماحل
 تلاقي وتلقى مثل احدى الزلازل
 كما مر قبل من عظام المقاول
 ويزعم أني لست عنكم بغافل
 شقيق وبخي عارمات الدواخل
 ولا مطعم عند الأمور الجلائل
 أولى جدل مثل الخصوم المساجل
 وإن متى أوكل فلت بوائل
 عقوبة شر عاجلاً غير آجل
 له شاهد من نفسه غير عائل
 بني خلف قيضاً بنا والغياطل
 وأك قصي في الخطوب الأولل
 ونحن الذري من غالب والكواهل
 كيحض السيف بين أيدي الصيابل

بناجي في كل مسى ومصبح
 ويؤلي لنا بالله ما إن يغشنا
 أضاق عليه بغضنا كل تلعة
 وسائل أبا الوليد ماذا حبوتنا
 وكنت امرءاً من يعاش برأيه
 فعتبة لا تسمع بنا قول كاشع
 ولست أباليه على ذات نفسه
 فقد خفت إن لم تزد جرم وترتدع
 ومر أبو سفيان عنى معرضاً
 يفر إلى نجد وبرد مباهه
 ويخربنا فعل المناصح أنه
 أطعم لم أخذلك في يوم نجدة
 ولا يوم خصم إذ أتوك الدة
 أطعم إن القوم ساموك خطة
 جزى الله عنا عبد شمس ونوفلاً
 بميزا قسط لا يخس شعيرة
 لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا
 ونحن الصميم من ذوابة هاشم
 فكان لنا حوض السقاية فيهم
 شباب من الطيبين وهاشم

فما أدركوا ذحلاً ولا سفكوا دماً
بضرب ترى الفتیان فيه كأنهم
بني أمیة محبویة هندکية
وسهم وخرزوم غالوا وألبوا
وحت بنو سهم علينا عدیها
يقصون من غیظ علينا أکفهم
في بعد مناف أنتم خير قومكم
لعمري لقد أوهتم وعجزتم
وكتتم حدیثاً حطب قدر وأنتم
ليهن بني عبد المناف عقوتها
فإن تك قوماً نشر ما صنعتم
وسانط كانت في لؤي بن غالب
ورهط نقبل شر من وطا الحصى
فأبلغ قصياً أن سينشر أمرنا
ولو طرقـت ليلاً قصياً عظيمة
ولو صدقوا ضرباً خلال بيتهـم
فإن تك كعب من كعوب كثيرة
وان تلك كعب أصبحـت قد تفرقـت
وكـنا بـخـير قبل تسـويـد مـعـشر
بني أـسـد لا تـطـرقـن على الأـذـى

وما خالـفوـاـ الاـشـرار القـبـائل
ضـوارـيـ أـسـودـ فوقـ لـحـمـ خـرـادـلـ
بنـيـ جـمـعـ عـبـدـ لـقـيـسـ بنـ عـاقـلـ
علـيـنـاـ العـدـىـ منـ كـلـ طـمـلـ وـخـاـمـلـ
عـدـيـ بـنـيـ كـعـبـ اـحـتـبـواـ بـالـمـحـاـفـلـ
بـلـاتـرـةـ بـعـدـ الـحـمـىـ وـالـنـوـاـصـلـ
فـلـاـ تـشـرـكـواـ فـيـ أـمـرـ كـمـ كـلـ وـاغـلـ
وـجـئـتـمـ بـأـمـرـ مـخـطـئـ لـلـمـفـاـصـلـ
الـآنـ حـطـابـ أـقـدرـ وـمـرـاجـلـ
وـخـذـلـاـنـهـاـ وـتـرـكـهاـ فـيـ الـمـعـاـقـلـ
وـتـحـتـلـبـوـهـاـ الـقـحـةـ غـيرـ باـهـلـ
نـفـاهـمـ الـبـيـنـاـ كـلـ صـقـرـ حـلـاحـلـ
وـأـلـامـ حـافـ منـ مـعـدـ وـنـاعـلـ
وـبـشـرـ قـصـيـاـ بـعـدـنـاـ بـالـتـخـاذـلـ
إـذـاـمـاـ بـجـانـاـ دـوـنـهـمـ فـيـ الـمـاـخـلـ
لـكـنـاـ أـسـىـ عـنـ النـسـاءـ المـطـاـفـلـ
فـلـابـدـ يـوـمـاـ أـنـهـاـ فـيـ بـجـاهـلـ
فـلـابـدـ يـوـمـاـ مـرـةـ مـنـ تـخـاذـلـ
هـمـ ذـبـحـوـنـاـ بـالـمـدـىـ وـالـمـعـاـوـلـ
إـذـاـلـمـ يـقـلـ بـالـحـقـ مـقـولـ قـائـلـ

لعمري وجدنا غبة غير طائل
براء إلينا من معقة خاذل
ويحرر عنا كل باع وجاهل
زهير حساماً مفرجاً من حائل
إلى حسب في حومة المجد فاضل
وأخوته دأب المحب المواصل
وأظهر حقاً دينه غير باطل
وزيناً لمن والاه رب المشاكل
إذا قاسه الحكم عند التفاضل
يواли الهاليس عنه بغافل
تجر على أشياخنا في المافل
من الدهر جداً غير قول التهازل
لدينا ولا يعني بقول الأباطل
تقصر عنها سورة المطاول
ودافعت عنه بالذرى والكلاكيل
ومعلية في الدنيا ويوم التجادل
ووالده رؤيا هما غير آفل
إلى الخير آباء كرام المحاصل

فكـل صـديـق وـابـنـ أـختـ نـعـدهـ
سوـىـ أنـ رـهـطاـ منـ كـلـابـ بنـ مرـةـ
وـقـفـناـ هـمـ حـتـىـ تـبـدـ جـعـهمـ
ونـعـمـ إـبـنـ أـختـ القـوـمـ غـيرـ مـكـذـبـ
أـشـمـ منـ الشـمـ الـبـهـالـلـ يـتـمـيـ
لـعـمـرـيـ لـقـدـ كـلـفـتـ وـجـداـ بـأـحـدـ
فـأـيـدـهـ رـبـ العـبـادـ بـنـصـرـهـ
فـلـازـالـ فـيـ الدـنـيـاـ جـالـاـ لـأـهـلـهـاـ
فـمـنـ مـثـلـهـ فـيـ النـاسـ أـيـ مـؤـملـ
حـلـيمـ رـشـيدـ عـادـلـ غـيرـ طـانـشـ
فـوـالـهـ لـوـلـاـ أـجـيـءـ بـسـبـهـ
لـكـنـاـ اـتـبـعـنـاهـ عـلـىـ كـلـ حـالـةـ
لـقـدـ عـلـمـواـ أـنـ اـبـنـاـ لـاـ مـكـذـبـ
فـأـصـبـحـ فـيـنـاـ أـحـدـ فـيـ أـرـوـمـةـ
وـجـدـتـ بـنـفـسـيـ دـونـهـ وـحـيـتـهـ
وـلـاشـكـ أـنـ اللهـ رـافـعـ قـدـرـهـ
كـمـ قـدـ رـأـيـ فـيـ الـبـيـوـمـ وـالـأـمـسـ جـدـهـ
رـجـالـ كـرـامـ غـيرـ مـيـلـ نـهـاـمـ

فإن تك كعب من لؤي صقية

فلا بد يوماً مرة من نزائل^(١)

وقال ربته طالب (وهو اكبر أولاده) يخذه على اتباع النبي «صلى الله عليه وآلـه» ونصرته والدفاع عنه:
أبني طالب إن شيخك ناصح
فاضرب بسيفك من أراد مساته
هذا رجائي فيك بعد منيتي
فاعضد قواه يا بني وكن له
آها أردد حسرة لفراقه
أنرى أراه واللواء أمامه
أتراه يشفع لي ويرحم عربى

فيما يقول مسدلك راتق
ابدا وانك للمنية ذاتق
وانا عليك بكل رشد واثق
إني بجدك لا محالة لاحق
إذ لم أجده وهو عال باستق
وعلي ابني للسواء معانق
هيبهات إني لا محالة زاهق^(٢)

وقال في قضية سفره مع ابن أخيه محمد «صلى الله عليه وآلـه» إلى الشام:
شامي الهوى والركب غير شام
لنا فوق دور ينظرون عظام
لنا بشراب طيب وطعام
فقلنا جمعنا القوم غير غلام
له دونكم من سوقة وإمام
كثير عليه اليوم غير حرام
لكتم لدبنا اليوم غير كرام

وجاء مع العبر التي راح ركبها
فلما هبطنا ارض بصرى تشرفوا
فجاء بحيرا عند ذلك حاشدا
فقال اجمعوا أصحابكم عندما رأى
يتيم فقال ادعوه ان طعامنا
وآلـى يمنيا برة إن زادنا
فلو لا الذي خبرتم عن محمد

(١) أبو طالب حامي الرسول وناصره لنجم الدين العسكري ص ١٠٩ - ١١٤.

(٢) أبو طالب حامي الرسول وناصره لنجم الدين العسكري ص ٤٤.

يوقيه حر الشمس ظل غمام
إلى نحره والصدر أي ضمام
بحيرام من الاعلام وسط خيام
وليس نهار واضح كظلم
وكانوا ذوي بغي لنا وعoram
زديرو كل القوم غير نيم
فردهم عنه بحسن خصم
فقال لهم ما أنتم بطغام^(١)

وشعب العصا من قومك المتشعب
متى ماتزاحها الصحبة تجرب
أقاموا جيعا ثم صاحوا وأجلبوا
ودين قويم أهله غير خيب
ورأب الشأي بالرأي لا حين مشعب
وما عالم أمرا كمن لم يجرب
اتاك بها من غائب متعصب
وما تقموا من صادق القول منجب
ومن يختلق ما ليس بالحق يكذب

فليارأه مقبلان نحو داره
حنا رأسه شبه السجود وضمه
وأقبل ركب يطلبون الذي رأى
فذلك من اعلامه وبيانه
فشار إليهم خشية لعراهم
درسا وتماما وقد كان فيهم
فجاؤوا وقد هم باقتيل محمد
بتأنيله التوراة حتى تيقنوا
وقال في أمر الصحيفة:

وقال في أمر الصحيفة:
الا من هم آخر الليل منصب
وجريدة أراها من لوي بن غالب
إذا قائم في القوم بخطبة
وما ذنب من يدعوا إلى الله وحده
وما ظلم من يدعوا إلى البر والتقوى
وقد جربوا فيما مضى غب أمرهم
وقد كان من أمر الصحيفة عبرة
محى الله منها كفرهم وعقوقهم
وأصبح ما قولوا من الامر باطلًا

(١) أبو طالب حامي الرسول وناصره لنجم الدين العسكري ص ١٧.

على ساخط من قوما غير معتب
لذى غربة منا ولا متقرب
مركبها في المجد خير مركب
باهل العقير أو بسكن يثرب
طلب بجنبى نخلة فالمحصب
لنحلف بطلا بالعتيق المحجب
وما بال تكذيب النبي المقرب
متى ما نخف ظلم العشيرة نغضب
ولا تذهبوا في رأيكم كل مذهب
فنجزىكم ضعفام الام والأب^(١)

فأمسى ابن عبد الله فينا مصدقا
فلا تحسبونا خاذلين محمدا
ستمنعه منا يد هاشمية
وينصره الله الذي هو ربه
فلا والذى يمدى له كل مرثم
يمينا صدقنا الله فيها ولم نكن
نفارقه حتى نصرع حوله
فيما قومنا لا تظلمونا فإننا
وكفوا إليكم من فضول حلومكم
ولا تبدأونا بالظلمة والأذى

جاء أبو جهل بن هشام (لعنه الله) ذات مرة إلى الرسول «صلى الله عليه وآله» ومعه حجر كبير يريد أن يرميه به على رأسه إذا سجد «صلى الله عليه وآله»، وعندما رفع يده بالحجر ليرمي، يبست يديه على الحجر، فرجع وقد التصق الحجر بيده، فقال له أشياعه من المشركين: أجبت؟!
 قال: لا، ولكن رأيت بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه..

فقال أبو طالب «عليه السلام» في ذلك، هذه الأيات:

عن الغي في بعض ذا المنطق
بوائق في داركم تلتقي
ورب المغارب والمشرق

أفيقوا ببني عمنا وانتهوا
إلا فـإني إذا خائف
 تكون لغابركم عبرة

(١) أبو طالب حامي الرسول وناصره لنجم الدين العسكري ص ٣١ - ٣٢.

ثمود و عاد فمن ذا بقي
وناقة ذي العرش إذ تستقى
من الله في ضربة الأزرق
حسام من الهند ذو رونق
عجب في الحجر الملصق
إلى الصابر الصادق المتقى
على رغم ذا الخائن الأحمق
لغي الغواة ولم يصدق^(١)

كما ذاق من كان قبلكم
غداة أتتهم بها صرصر
فحل عليهم بها سخطه
غداة بعض بعرقوبها
وأعجب من ذلك في أمركم
بكف الذي قام في جنبه
 فأثبته الله في كفه
أحيق مخزومكم إذ غوى

عندما عجزت قريش عن قتل محمد «صلى الله عليه وآلـه» والمنابذة له
بسبب حمـاة أبي طالب «عليـه السـلام» ومناصـته له وحمـاة بنـي هـاشـم
وأشـاعـهم والتـافـهم حولـه.

قال أبو هـب (لعـنه الله)، وقد سـمع قـريـشاً يـتحدـثـون في شـأنـه ويفـيـضـون
في أمرـه: دـعوا عنـكم هـذا الشـيخ فإـنه مـغـرـور بـابـن أـخـيه، وـالله لا يـقـتـل مـحمدـاـ
حتـى يـقـتـل أـبـو طـالـبـ، وـلا يـقـتـل أـبـو طـالـبـ حتـى يـقـتـل بـنـو هـاشـمـ كـافـةـ، وـلا
يـقـتـل بـنـو هـاشـمـ حتـى تـقـتـل بـنـو عـبـدـ مـنـافـ، وـلا تـقـتـل بـنـو عـبـدـ مـنـافـ حتـى
تـقـتـل أـهـلـ الـبـطـحـاءـ، فـاـمـسـكـواـعـنـهـ، وـإـلاـ مـلـنـاـ مـعـهـ.

فـخـافـ الـقـوـمـ أـنـ يـفـعـلـ فـكـفـواـ، فـلـمـ بـلـغـ أـبـا طـالـبـ مـقـالـتـهـ (أـيـ مـقـالـةـ
أـبـيـ هـبـ) طـمـعـ فيـ نـصـرـتـهـ..

فـقـالـ (هـذـهـ الـأـبـيـاتـ) يـسـتعـطـفـهـ وـيـرـقـهـ:

(١) أبو طالب حامي الرسول وناصره لنجم الدين العسكري ص ٣٢.

وأحلام أو قوام لديك ضعاف
 بسوء وقم في أمره بخلاف
 وإنما قریب منك غير مصاف
 وأنت أمرؤ من خبر عبد مناف
 إلا فهم في الناس خير إلaf
 وليس بذی حلف ولا بمضاف
 إلى أنجم فوق النجوم ضوافي
 بنبي عمنا ما قومكم بضعاف^(١)

عجبت لحلم يا بن شيبة حادث
 يقولون شایع من أراد محمدا
 أضامبم إما حاسد ذو خيانة
 فلا تركبـن الـدـهـرـ منه ظـلامـةـ
 يـذـوـدـ العـدـىـ عنـ ذـرـوـةـ هـاشـمـيةـ
 فـانـ لـهـ قـرـبـىـ إـلـيـكـ قـرـبـيـةـ
 وـلـكـنـهـ منـ هـاشـمـ فيـ صـمـيمـهاـ
 فـانـ غـضـبـتـ فـيـهـ قـرـيشـ فـقـلـ هـاـ

(١) ابو طالب حامي الرسول وناصره لنجم الدين العسكري

ص ١٠٣.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

مجمع البيان

العلامة الشيخ الطبرسي - المجلد الثاني - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت -

الطبعة الأولى ١٩٨٨ م

مروج الذهب ومعادن الجوهر

السعدي - الجزء الأول والثاني - دار الأندلس - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٦٥ م

ظلامة أبي طالب

العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي - المركز الإسلامي للدراسات - بيروت -

الطبعة الأولى - ٢٠٠٣ م

الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)

العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي - دار السيرة - بيروت - الطبعة الأولى.

أبو طالب عم الرسول (سلسلة عظماء الإسلام)

الكاتب المصري محمد كامل حسن المحامي - المكتب العالمي للطباعة والنشر، بيروتن

. الطبعه الثانية، ١٩٧٧

موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام)

محمد باقر القرشي . مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية للطباعة، بيروت، لبنان،

الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ م.

شرح نهج البلاغة

ابن أبي الحديد، مؤسسة الأعلماء للمطبوعات - بيروت - لبنان -

الطبعة الأولى ١٩٩٥ م

ماذا في التاريخ

العلامة الشيخ محمد حسن القبيسي العامل م ١٥ - ١٦ - ١٧ .

آل أبي طالب

العلامة السيد محسن الأمين - دار الماهدي - بيروت - الطبعة الأولى - ٢٠٠٢ م .

الغدير في الكتاب والسنة والأدب

العلامة الأميني - الجزء السابع - مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى -

- ١٩٩٤ م

شيخ الأبطح

العلامة السيد محمد علي شرف الدين - دار الأرقم - صور الطبعة الثانية - ١٩٨٧ م

منية الراغب في إيمان أبي طالب

آية الله الشيخ محمد رضا الطببي - دار الولاءن بيروت - الطبعة الثانية - ٢٠٠٤ م

أبو طالب مؤمن قريش

عبدالله الخنزيري - مؤسسة البلاغ - بيروت - الطبعة الخامسة - ١٩٩٧ م

ليالي بيشاور

سلطان الوعظين - السيد محمد الموسوي الشيرازي - منشورات ذوي القربي - مطبعة

نهضت - قم - ايران - الطبعة الرابعة - المجلد الثاني - ١٤٢٤ هـ

سيرة المصطفى

العلامة السيد هاشم معروف الحسيني - ار التعارف - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٨٦ م

عبد المطلب بن هاشم (سلسلة عظماء الاسلام)

محمد كامل حسن المحامي

روضة الوعظين

العلامة محمد بن القتال النيسابوري، دار المرتضى - بيروت - الطبعة الأولى ٢٠٠٨ م

عبد المطلب بن هاشم (سلسلة عظماء الاسلام)

محمد كامل حسن المحامي، منشورات المكتب العالمي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٩٧٧.

مناقب أبا طالب

الامام الحافظ ابن شهر شوب - دار المرتضى - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٧.

ينابيع المودة

العلامة القندوزي الحنفي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧.

أبو طالب حامي الرسول وناصره

نجم الدين العسكري

حلية الأبرار

السيد هاشم البحرياني

المحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب

السيد فخار بن معد

بحار الأنوار

العلامة المجلبي

الخصائص الفاطمية

الشيخ محمد باقر الكجوري

الفهرس

٧	تقديم:
١١	مقدمة:
١٧	أسماوه وألقابه، كنيته ونسبه
الفصل الأول: من الولادة حتى الزواج	
٢١	١ - ولادته:
٢١	٢ - البيت والبيئة:
٢٤	٣. مكانته في قريش:
٢٦	٤. علاقاته:
٣٠	٥. زواجه:
الفصل الثاني: كفالة الرسول (ص)	
٣٥	١. أبو طالب يكفل الرسول (ص):
٣٧	٢. السر في هذا التكليف:
الفصل الثالث: تربيته وحبه لمحمد (ص)	
٤٥	١. معنى التربية:
٤٦	٢ - قد عرفت ديانتك وأمانتك:
٤٧	٢. مع الراهب بحيرا:
الفصل الرابع: حامي الرسول وناصره	
٥٥	١ - والله لا اسلمه إليكم أبداً:

٢. لو وضعوا الشمس في يميني:.....	٥٧
٣- قريش تعارض أبا طالب:.....	٦١
٤. أبو طالب يفقد الرسول:.....	٦٧
٥ - أبو طالب يشمل أنصار الرسول بحمايته:.....	٦٩
	الفصل الخامس: الصحيفة والحضار
١ - الحرب الباردة (المؤامرة):.....	٧٥
٢. حمية الدين لا حمية القرابة:.....	٧٨
٣. محمد نبي كموسى:.....	٨١
٤. الأرضة تأكل الصحيفة:.....	٨٤
٥ . المؤمن الموقن المطمئن:.....	٨٦
	الفصل السادس: اسلام ابي طالب
ما هو الاسلام؟ وما هو الایمان؟	٩٩
الاسلام هو الاعلان بالشهادتين:.....	٩٩
الارض لا تخلو من حجة:.....	١٠٤
عبد المطلب والخنيفة البيضاء:.....	١٠٦
إن الدعوة كانت في دار أبي طالب:.....	١٠٩
إنك الرفيع كعباً:	١١٣
كم من حقيقة... ذهبت فريسة الأهواء:.....	١٢٢
معاوية وثقافة اللعن وتشويه الحقائق:.....	١٢٣
يوم بيوم بدر:.....	١٢٩

الفصل السابع: الوصية والوفاة

١- وصيته ساعة الاحضار:..... ١٣٩

٢- وفاته... وتأبين الرسول (ص) له:..... ١٤٧

٣- سؤال؟.. وجواب:..... ١٥٢

الفصل الثامن: شبّهات وردود

شبّهات وتوضيح:..... ١٦٧

الفصل التاسع: اكاذيب وحقائق

١- أنك لا تهدي من أحببت:..... ١٧٣

٢- ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروه للمشركين:..... ١٧٤

٣- الحال ملتبسة عند ابن أبي الحديد: ١٧٧

الفصل العاشر: تجنٌّ .. ورد:

تجنٌّ .. ورد:..... ١٨٩

الفصل الحادي عشر: حديث الضحاضاح

حديث الضحاضاح:..... ١٩٥

الفصل الثاني عشر: اخرج منها... فقد مات ناصرك

اخراج منها... فقد مات ناصرك:..... ٢٠٧

الفصل الثالث عشر: نماذج من شعره

نماذج من شعره:..... ٢١٧

أبو طالب مع جم من قريش:..... ٢١٧

هذا هو

أبو طالب

محمد يوسف مرتضى العاملى



كتاب

أمجاد

لطباعة والنشر والتوزيع

لبنان - بيروت - حارة حريري

هاتف: 906620-70 ص.ب: 25/52

